وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية

دور قبيلة صِنْهَاجة في الحياة العامة في الأَنْدُلُس

(٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)

اطروحة يتقدّم بها الطالب

أحمد فرج فليّح

الى مجلس كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة البصرة

وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلاميّ

بإشراف
الأستاذ الدكتور
حسين جبّار مجيّل العلياويّ

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ
وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

سورة الحجرات، آیه: ۱۳

الإهداء

إلى

أبـــوي هـــذه الأمـــة محمـــد المصـــطفى وعلـــي المرتضـــى

(صَلوات الله عَليهِما وَعَلى آلِهما الطيبِين الطاهرين)

إلى

أمي وأبي - رحمة الله تعالى عليهما . . .

إلى

اخوتي عرفاناً وشكراً . . .

إلى

زوجتي عرفاناً بالجميل والوفاء . . .

إلى

نور عينيّ . . وثمرة فؤادي . . ولدي حيدر . . .

لهم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع

أحمد

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على حبيب اله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يسرني بعد أن انتهيت من اعداد هذا البحث، أن أتقدّم بالشّكر الخالص والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حسين جبّار مجيتل العلياويّ، لما قدّمه لي من عون ومساعدة، ولما بذله من جهود مخلصة، إذ كان لتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة ودقته في تفحص الأطروحة، الأثر البالغ والكبير في إنجاز هذه الدراسة.

كما اتقدّم بالشّكر الجزيل والعرفان إلى السيّد عميد كلية التربية للعلوم الإنسانيّة الأستاذ الدكتور حسين عودة هاشم النوّر، والسيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ المساعد الدكتور نوفل كاظم مهّوس، والسيّد رئيس قسم علوم القرآن الإستاذ المساعد الدكتور عليّ جاسب عبد الله، وإلى أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ، وإلى أعضاء الهيئة التدريسية في قسم علوم القرآن لما بذلوه من جهود خيرة طوال مدة دراستي.

واتقدّم بوافر الشكر إلى الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش، والأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية من جامعة وهران– الجزائر، لتواصله الحثيث والدائم، وكان لإرشاداته الأثر الواضح على متن هذه الأطروحة، والأستاذ الدكتور نزار عزيز الخاقاني والأستاذ الدكتور شكري ناصر المياحي، والأستاذ الدكتور حميد سراج الأسدي، والأستاذ الدكتور علي صالح المحمداوي، والأستاذ الدكتور فرقد عباس قاسم، والأستاذ الدكتور سليمة كاظم الفرطوسي، والأستاذ المساعد الدكتور أيمن كاظم حاجم الحلفي، الذي كان له الأثر الواضح في شحذ همتي لإتمام هذه الدراسة، والأستاذ المساعد الدكتور مصطفى جواد العيداني، والأستاذ المساعد الدكتور عدي صالح جبار، والمدّرس عبّاس فالح حسن، وإلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة، طيلة مدة الدراسة والبحث.

ولا يسعني أخيراً سوى أن اتقدّم بالشّكر والتقدير إلى موظفي مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة البصرة، لما أبدوه من عون ومساعدة في إمدادهم لنا بالكثير من المصادر التاريخية المهمة التي ساهمت في اخراج الاطروحة الى الوجود.

الباحث

إقرار المقوم العلمي

أشهد أني قرأت هذه الأطروحة الموسومة بـ (دور قبيلة صنهاجة في الحياة العامة في الأندلس ٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م) التي تقدم بها الطالب (أحمد فرج فليّح) في قسم التاريخ- كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة- جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلاميّ، وقد وجدتها صالحة من الناحية العلمية. ولأجله وقعت

التوقيع

الاسم: أ. د. سولاف فيض الله حسن

التاريخ: ٤/٨/ ٢٠١٩

إقرار المقوم اللّغوي

أشهد أني قرأت هذه الأطروحة الموسومة بـ (دور قبيلة صنهاجة في الحياة العامة في الأندلس ٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م) التي تقدم بها الطالب (أحمد فرج فليّح) في قسم التاريخ- كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة- جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلاميّ، وقد وجدتها صالحة لغوياً. ولأجله وقعت

التوقيع

الاسم: م. عباس فالح حسن

التاريخ: ٤/٨/ ٢٠١٩

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (**دور قبيلة صنهاجة في الحياة العامة في الأندلس ٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م**) التي قدّمها الطالب (أحمد فرج فليّح) قد جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ- كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة – جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلاميّ.

التوقيع

أ.د . حسين جبّار مجيتل
المشرف
التاريخ: /٧ / ٢٠١٩

توصية السيّد رئيس القسم

بناءً على توصية المشرف أرشّح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع

أ .م. د . نوفل كاظم مهّوس
رئيس قسم التاريخ/كلية التربية للعلوم الإنسانية
٢٠١٩/٧/

قرار اللجنة المناقشة

نشهد أننا اعضاء اللجنة المناقشة، قد اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة (دور قبيلة صنهاجة في الحياة العامة في الأندلس (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد إنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي بتقدير ( )

التوقيع
الأسم: أ. د. حميد سراج جابر
رئيساً

التوقيع
الأسم: أ. د. صباح خابط عزيز
عضواً

التوقيع
الأسم: أ. د. كريم عاتي لعيبي
عضواً

التوقيع
الأسم: أ. د. أنسام غضبان عبود
عضواً

التوقيع
الأسم: أ. د. عصام كاطع داود
عضواً

التوقيع
الأسم: أ. د. حسين جبار مجيتل
عضواً ومشرفاً

وقد صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة على ما جاء في قرار اللجنة المناقشة

أ. د. حسين عوده هاشم النور
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
/ /٢٠١٩

المحتويات

الموضوع	الصفحة	
	من	إلى
الإهداء	أ	
شكر وتقدير	ب	
المقدّمة	١	٩
الفصل الأول: نسب قبيلة صنهاجة وديانتها	١٠	٦٦
المبحث الأول: أصل تسميتهم ببربر صنهاجة	١١	١٧
المبحث الثاني: نسب قبيلة صنهاجة	١٧	٤٠
المبحث الثالث: بطون قبيلة صنهاجة	٤٠	٥٧
الطبقة الأولى/ وتمثلها قبيلة تلكاتة بإفريقية والمغرب الأوسط: (بلكانة، مزغنة، لمدونة، بطيوة، متنان، بنو خليل، صنهاجة، انجفة، وانوغة، بنو حميد، بنو سليب، بنو عمران، بنو دركون، بنو زروال، بنو حبر، بنو برزال)	٤٣	٤٨
الطبقة الثانية: يتزعمها بطون لمتونة بقلب الصحراء وتعرف "صنهاجة الجنوب"منها: (لمتونة، بنو وارث، لمطة، جزولة، مسوفة)	٤٩	٥٢
الطبقة الثالثة: فتعرف بـ "صناكة" وانتشرت بطونها شمال المغرب الأقصى منها: (صنهاجة البز، صنهاجة العز، صنهاجة الذل، صنهاجة القبلة، صنهاجة الظل، صنهاجة غذو، صنهاجة مصباح، صنهاجة الشمس، صنهاجة السراير، بنو مزكلدة، بنو الغليظ، جدالة، مليانة، بنو جعد، وبنو فشتالة).	٥٣	٥٧
المبحث الرابع: ديانة قبيلة صنهاجة	٥٨	٦٦
الفصل الثاني: أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية	٦٧	١٠٣
المبحث الأول: هجرة الصنهاجيين واستقرارهم في الأندلس	٦٨	٧٦
أولاً: مواطن استقرار الصنهاجيين في الجنوب	٧٦	٨٠
ثانياً: مواطن استقرار الصنهاجيين في الشرق	٨٠	٨٤
ثالثاً: مواطن استقرار الصنهاجيين في الغرب والشمال الغربي	٨٥	٨٧
رابعاً: مواطن استقرار الصنهاجيين في الوسط	٨٨	٩٤

المبحث الثاني: مكانتهم الاجتماعيّة	٩٥	١٠٠
المبحث الثالث: نشاطهم الاقتصاديّ	١٠٠	١٠٣
الفصل الثالث: الدور السياسيّ والعسكريّ لصنهاجة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)	١٠٤	٢٠٩
المبحث الأول: دورهم في عهديّ الفتح والولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م)	١٠٥	١١٣
المبحث الثاني: دورهم في عهد الإمارة الأندلسيّة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)	١١٤	١٣٥
المبحث الثالث: دورهم في عهد الخلافة الأموية حتى نهاية الدولة العامريّة (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م)	١٣٥	١٥٧
المبحث الرابع: دورهم في عهد الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)	١٥٨	٢٠٩
الفصل الرابع: الإسهام الفكريّ للصنهاجيين	٢١٠	٢٥٤
المبحث الأول: العلوم الدينيّة والأدبية	٢١١	٢١٥
أ- علوم القرآن الكريم	٢١٦	٢١٩
ب- علم الحديث	٢١٩	٢٢١
جـ- علم الفقه	٢٢١	٢٣١
المبحث الثاني: علوم اللّغة العربية وآدابها:	٢٣٢	٢٥٤
أ- علوم اللّغة	٢٣٢	٢٣٣
ب- الأدب	٢٣٣	٢٥٤
الخاتمة	٢٥٥	٢٥٧
قائمة المصادر الأولية والمراجع الحديثة	٢٥٨	٢٨١
English Abstract		

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة:

إن دراسة القبائل ودورها في نشوء الدولة الإسلامية وتطورها يعد من أكثر الموضوعات استحقاقاً للدراسة والتأمل والتعمق، ولاسيما أن هذا الدور أسهم في نشوءها في المشرق الإسلامي بكل ثقلها وقوتها، ثم إمتدادها إلى المغرب وشبه الجزيرة الآيبيرية أعقاب الفتح الإسلامي لها.

وبناءً على ما تقدم لا يمكن أن نعد موضوع دور قبيلة صنهاجة في الحياة العامة في الأندلس استثناءً من ذلك، ولاسيما وأن الدور الذي أدته هذه القبيلة على مختلف الصعد والمجالات كان لافتاً للإنتباه ومثيراً للجدل، ومثرياً للدولة الإسلامية وإمتدادها في الأندلس ولعدة اسباب يمكننا أن نجملها على النحو الآتي:

أولاً: إن صِنهاجة هي من أولى القبائل البربرية الكبرى التي وفدت إلى الأندلس واستوطنت أراضيها منذ الوهلة الأولى لعمليات فتح شبه الجزيرة الآيبيرية، وثانياً: إن الحضارة الأندلسية تدين بالشيء الكثير في نشأتها الأولى إلى قبائل البربر عامة وقبيلة صنهاجة ورجالاتها خاصة، إلا أننا لا يمكننا التعرف على طبيعة ذلك الدور، مالم نسلط الضوء على انجازات أبناء قبيلة صنهاجة في الأندلس، لكي نستطيع أن نفهم عظم هذا الدور، وما هو الأثر الذي تركته هذه القبيلة؟ على وفق رؤى موضوعية ومنطقية، متجنبين اشكال الغلو والمبالغة في توضيح ذلك الدور كلها، أما ثالثاً: لا يمكن لكل مهتم ومختص في رسم صورة واضحة ومتكاملة وناصعة لتاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس أن ينجح في ذلك من دون أن يعرف حجم الصنهاجيين وأهميتهم ومساهمتهم في رسم ملامح ذلك التأريخ ومساره.

وبناءً على هذه الإسباب التي شكلت مبرراً ودافعاً لدراسة الموضوع، ولاسيما أن دراسة الموضوع قد حوى في تضاعيفه جانباً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وفكرياً لصِنهاجة على امتداد مدة الدراسة، التي اتخذت من سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، نقطة لانطلاقها مركزين فيها على حلِّ اشكالية محورية تمحورت حول دور قبيلة صنهاجة في فتح شبه الجزيرة الآيبيرية، وما هي حدود تلك المشاركة الصنهاجية في ذلك وأثرها؟ إذ أن الغالبية العظمى من المصادر التي تطرقت إلى الفتح كانت قد اختزلت الدور الكبير لقبيلة صِنهاجة في هذا الأمر، تحت مسمى دور البربر من دون اشارة واضحة إلى اسم قبيلة صنهاجة. لهذا سنسعى جاهدين في ازاحة اللثام عن هذا الدور المغيب، وابرازه للعلن عبر التركيز على الجهود والتضحيات التي قدمتها قبيلة صِنهاجة أُبان فتح شبه الجزيرة، وما أعقبها من أحداث وكيف أسهمت قبيلة صنهاجة في إقامة الحكم

الإسلامي وترسيخه في الأندلس؟ وما هي قيمة حضورهم ومشاركتهم في الإدارة والجيش الأموي؟ وما هي اشكال مشاركتهم في الحكم؟ وماذا قدموا للثقافة والحضارة الإندلسية؟

في حين اختيرت سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، نهاية لموضوع الدراسة، ولاسيما أن الأحداث التي جرت في هذه السنة شكلت نقطة تحول مفصلية وجوهرية في تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس، ولعل أبرز هذه الأحداث واكثرها تأثيراً هو نهاية عهد الخلافة الأموية وبداية عصر دويلات الطوائف أعقاب الفتنة البربرية في الأندلس.

ولحلّ الأشكاليات التي وردت في موضوع الدراسة كلّها، ارتأينا بعد التروي استعمال المنهج التاريخي، القائم على سرد الأحداث التاريخية وتحليلها تحليلاً موضوعياً، قائماً على النقد والإستنتاج لمجريات تلك الأحداث وما صاحبها من تطورات، وفق رؤى منطقية على أساس الفرضية والنتيجة.

وبناءً على ما تقدم قسمت هيكلية البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول نسب قبيلة صِنهاجة وديانتها، وإحتوى على أربعة مباحث. تناول المبحث الأول أصل تسميتهم ببربر صنهاجة، وجاء المبحث الثاني حول قبيلة صنهاجة ونسبهم، الذي اختلفت فيه المصادر التاريخية، منها من جعله ذات أصول عربية، وآخر ذهب إلى جعل أصولها بربرية راسخت الجذور، لاتمتّ أية صلة إلى النسب العربي اطلاقاً، لذلك شكل تضارب الآراء وإختلافها وتشابك الفرضيات حول أصولهم وجذورهم بما فيها من مبالغات وعدم يقينيتها في ذلك، بينما فصل المبحث الثالث عن بطون قبيلة صنهاجة وإنتماءاتهم القبلية، ليكون دافعاً لنا للخوض والبحث والإستقصاء عن جذورهم وإنتماءاتهم القبلية ومواطن استقرارهم في المغرب الإسلامي، على إعتبار أنها المناطق الأولى للتواجد الصنهاجي، وفي سياق الفصل نفسه تحدث المبحث الرابع عن ديانة قبيلة صنهاجة قبل الإسلام وبعده، وما هي العادات والطقوس الدينية التي مارسها أبناء هذه القبيلة، وانعكاسها البارز على حياتهم الإجتماعية؟ وما مدى تأثر القبيلة بمؤثرات وموروثات تلك الديانات التي دانوا بها ولعل في طليعتها الوثنية قبل أن يدينوا بالمجوسية، ومن بعدها النصرانية قبيل اعتناقهم للدين الإسلاميّ.

في حين جاء الفصل الثاني بعنوان أحوالهم الإجتماعية والإقتصادية في الأندلس، وإحتوى على ثلاثة مباحث، إذ جاء الأول حول هجرة الصنهاجيين واستقرارهم في الأندلس أُبان الفتح الإسلامي وما بعده، مركزين على الأثر البالغ الذي تركه الصنهاجيين في عمليات الفتح الأولى والتضحيات الجسام التي قدموها كقرابين من أجل نشر الدين الإسلاميّ، الذي بات عقيدتهم الراسخة آنذاك، ثم تطرقنا إلى مناطق استقرارهم

واستيطانهم في الأندلس، سواء كان ذلك في المدن أم الأراضي الجبلية الوعرة، التي كانت في الغالب نسخة مقاربة من حيث الأجواء والمناخ والطبيعة الجغرافية والطوبغرافية لتلك المناطق التي كانوا يستوطنوها في المغرب قبل أن يهاجروا إلى الأندلس في أعقاب فتحها. ولاسيما أن المناطق التي سكنوها في الأندلس استطاعت أن تعطينا مؤشراً دقيقاً عن طبيعة مشاركتهم الفعالة في مدّ نفوذ الدولة الإسلامية في الأندلس قبيل أن يشرعوا في الثورة عليها بدوافع شخصية وأخرى عقائدية في مرحلة من مراحل التاريخ، وفصل المبحث الثاني عن مكانتهم الإجتماعية، إذ أخذت أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم وملبسهم وطبيعة زيجاتهم حيزاً من هذا الفصل، ولاسيما أنها كانت متأصلة فيهم منذ كانوا في المغرب ونقلوها إلى الأندلس وحافظوا عليها كجزءٍ من الموروث الإجتماعي والحضاري، وتضمن المبحث الثالث نشاطهم الإقتصادي وطبيعة المهن والحرف التي مارسوها في الأندلس محورٌ لدراستنا وإهتمامنا في هذا المبحث، ومن تلك المهن التي تطرقنا لها هي زراعتهم للمحاصيل الغذائية كالحنطة والشعير والذرة التي شكلت المحرك الأساسي للإقتصاد الزراعي في الأندلس، كما امتهنوا بعض الحرف التي ارتبطت باستخراج المعادن في مناطق سكناهم بالأندلس، ولاسيما الحدادة وصناعة السيوف، التي كان الحديد عاملاً اساسياً في صناعتها، إلى جانب تنقيبهم عن الأحجار الكريمة، مثل: الحجر النجادي الثمين، والذهب الذي كان متوفر بكثرة في وادي غرناطة الذي استوطنوه، إذ أن هذه المعادن وغيرها من المواد التي كانت تعود عليهم بمردودات مالية كبيرة(١).

أما الفصل الثالث: فقد ركّز على إبراز الدور السياسي والعسكري لصِنهاجة بالأندلس أُبان المدة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)، وتضمن اربعة مباحث: إذ تناول الأول دور صنهاجة في عهدي الفتح والولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م)، وتتجلى أهمية هذا المبحث في بيان دورهم في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية التي حدثت أُبان تلك المدة، ودارت وقائعها وأحداثها وتطوراتها بالأندلس وبلاد غالة الفرنسية، أما المبحث الثاني منه فقد حوى دور قبيلة صنهاجة ورجالاتها في عهد الإمارة الأندلسية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) إلى جانب الأمير عبد الرحمن الثالث، الذي لم يتوانَ عن استخدام قبيلة صنهاجة للحد من أطماع الدولة الفاطمية على إمارته، مستغلاً ما عرف عنهم من شجاعة وبأس في المعارك، في حين تناول المبحث الثالث دورهم في عهد الخلافة الأموية حتى نهاية الدولة العامرية (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م)، إذ تمحور الحديث عن دورهم في عهد الخليفة الناصر والخليفة الحكم المستنصر ومِنْ ثَمَّ عهد المنصور بن أبي عامر

(١) مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٧م ، ص٥٢-٥٣.

الذي اعتمد عليهم في صولاته وجولاته على نصارى الشمال، مفضلاً إيّاهم على من سواهم من البربر، بسبب مارآه من شجاعة كانوا قد اظهروها في زمن الخليفة الناصر، لذلك لم يتوان عن استغلال بأسهم وشجاعتهم في توسيع حدود دولته وإمتداد سلطانه، وفيما يخص المبحث الرابع فقد جاء موضحاً دورهم المحوري في عهد الفتنة البربرية التي حدثت في الأندلس خلال المدة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م).

وكانت الإسهامات الفكرية والعلمية لقبيلة صِنهاجة هي موضوع الفصل الرابع الذي جاء تحت عنوان (الاسهام الفكري للصنهاجيين في الأندلس) إذ اشتمل هذا الفصل على مبحثين: تناول الأول منه العطاءات العلمية والفلسفية لعلماء صنهاجة التي شكلت علامة فارقة في الحركة الفكرية التي نشأة بوادرها الأولى بالأندلس منذ بداية منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأمتدت إلى ما بعده بعِدَّة من القرون، دارسين أبرز تلك الإسهامات العلمية المتمثلة بعلوم القرآن، والشريعة، والفقه، ورواية الحديث، التي تركت بصمات وآثار على معالم تلك الحركة بريادة علماء صنهاجة، أما المبحث الثاني منه فقد أختص بدراسة العلوم اللغوية والأدبية، وكيف تعامل علماء صنهاجة معها وإلمامهم الشديد بها، ولاسيما أولئك العلماء الذين كانوا يتكلمون الأمازيغية التي شكلت حاجزاً أو عثرة في التبحر بعلوم اللغة والأدب، إلا أن ذلك لم يثنِ عزمهم عن الولوج إلى تلك العلوم والأبداع فيها بعد أن اتقنوا اللغة العربية قبال لغتهم الأصلية.

تطلبت الدراسة الرجوع الى العديد من المصادر التاريخية والجغرافية، وسنحاول فيما يلي تقديم عرضاً لأهم ما اعتمدنا عليها على مدار فصول الدراسة. بغية إبراز أهمية كل منها وتسهيل عرضها وفقاً لأسبقية وفاة مؤلفيها: ويأتي في المقدّمة كتاب (تاريخ علماء الأندلس) لمؤلفه عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، يكتسب هذا الكتاب أهميته لكونه أقدم معجم رجال عام بين أيدينا بلغ في الغاية والنهاية من الدقة والإتقان، ويعد من المصادر التي رفدت الدراسة في الجانب العلمي، إذ كان معاصراً للكثير من علماء صنهاجة الذي ترجم لحياتهم، لكونه تتلمذ على يد البعض منهم. لذا يعد اقرب للحقيقة والصواب في النقل عنهم، مستنداً على المشاهدة والمعاينة والتفسير والإشارة لجوانب حياتهم، ولاسيما الفقهاء ورواة الحديث منهم وعلى سبيل المثال لا الحصر، أبو أيّوب سليمان بن خلف بن سليمان بن عمرون، وبعض الأدباء والشعراء الذين برزت شهرتهم في العلوم الدينية والشرعية كأبي القاسِم خَلَفَ بن سُليمان بن عَمْرُون البَزَّاز الصنهاجي الفقيه، وإضافة إلى هؤلاء العلماء كان قد تحدث عن علماء اللغة أيضاً بكل تفرعاتها نحواً وصرفاً وبلاغةً، وقد افادني هذا الكتاب في الترجمة لعلماء صنهاجة من منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى ما بعد نهايتها بقليل.

والكتاب الثاني هو: (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، إذ يعدّ من ابرز كتب الأنساب وأدقها، إذ إعتمدت عليه الدراسة كثيراً لكونه ينفرد بمعلومات اعطتنا فرشة واسعة عن اصل هذه القبيلة ونسبها، فضلاً عن التعريف ببعض أفراد قبيلة صنهاجة ومناطق استقرارهم بالأندلس من دون كتب الأنساب الأخرى، كما حوى الشيء الكثير من المعلومات التاريخية التي اختصت بدور هذه القبيلة أُبان الفتح الأسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية، الذي كان مدار بحثنا وإهتمام دراستنا في الفصل الثاني منها كما أفدنا منه بتلك المعلومات التاريخية ذات القيمة الكبيرة، التي أختصت بالأدوار السياسية والعسكرية لقبيلة صنهاجة وأفرادها، التي لم تورد في غيره من المصادر. ومن المصادر الأخرى التي أفادة الدراسة ورصنتها هو كتاب (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) لابن حيان (ت: ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، إذ شكل هذا الكتاب رافداً قيماً لموضوع الدراسة، الذي اعتمدت عليه بأجزائه الخمسة على مدار فصولها. لكون أن مؤلفه وبأجماع الغالبية العظمى من المهتمين بدراسة الأندلس يعدّ من أبرز مؤرخي الأندلس خلال العصور الوسطى وكل ما يتعلق بالدولة الإسلامية في الأندلس، كما أن مؤلفه امتاز بحس وبصيرة فكرية في استقراء الأحداث التاريخية ليقدم لنا معلومات دقيقة عن الدور السياسي والعسكري لقبيلة صنهاجة في مجريات الأحداث التاريخية التي واكبت الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، واعتمد ابن حيان في تناول الأحداث على نسق السنيين فيسوقها بحسب منهج الحوليات المعروف سنة بعد سنة، وإذا رأى أنَّ هذا التقسيم سوف يقطع الأحداث فلا بأس في أن يعدل عنه، ويستطرد حتى يستكمل الموضوع الذي شرع في معالجته بصرف النظر عن التقسيم الزمني، أضف إلى ذلك أنَّ الكتاب زود بحواشي مفصلة في آخره، ولاسيما النسخ المحققة من قبل د.محمود علي مكي وهذا يدل على مدى دقة المحقق وعلميته.

أما الأجزاء التي تم الأعتماد عليها فهي التي تخص الحقبة التاريخية (١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، والمحققة من قبل محمود علي مكي، وقد تناول فيها أحداث حقبة الأمير الحكم بن هشام، ثم ابنه عبد الرحمن الثاني حتى سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، والجزء الآخر هو الذي يتناول الحقبة من سنة (٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، وحققت من قبل محمود علي مكي أيضاً، وتضمن هذا الجزء السنوات الأخيرة من حكم الأمير عبد الرحمن الثاني والمدة الزمنية الأكبر من إمارة ابنه محمد، أما الجزء الثالث الذي تم استخدامه فهو الخاص بالحقبة التاريخية (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، والمحققة من قبل اسماعيل العربي، الذي يتضمن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني الى بداية عهد عبد الرحمن الثالث، في حين عرض الجزء الرابع الخاص بالخليفة عبد الرحمن الناصر المتمثل بالحقبة (٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، للمحقق ب.

شالميتا بالتعاون مع ف. كورنيطي وم. صبح، إذ تحدث ابن حيان عن حقبة الثلاثين سنة الأولى من حكم عبد الرحمن الناصر، أما الجزء الخامس الخاص بالخليفة الحكم المستنصر فيمثل الحقبة (٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، للمحقق صلاح الدين الهواري.

ومن الكتب المهمة ايضاً هو كتاب (نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان، والمسالك الى جميع الممالك)، لمؤلفه أحمد بن عمر بن أنس بن الدلاني المعروف بالعذري (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) وهو من المصادر المهمة التي مزجت بين التاريخ والجغرافية، ففي اطار الجغرافية كان المؤلف قد ذكر لنا معلومات حول اماكن سكنى قبيلة صنهاجة واستيطانها في أعقاب الفتح الإسلامي لشبة الجزيرة الآيبيرية. كما حوى هذا الكتاب في طياته معلومات تاريخية دقيقة وذات قيمة كبيرة خاصة بغزوات محمد بن أبي عامر ودور الصنهاجيين فيها، ولعل من أبرز ميزات هذا الكتاب التي دفعتنا للإعتماد عليه هو التسلسل الزمني في ذكر الأحداث وسردها، وهذا الأمر قد جاء متطابقاً مع منهجنا الذي اعتمدنا عليه في دراسة الموضوع، الأمر الذي جعل كتابه ذا أهمية كبيرة لدينا، فهو قد سدّ بعض من ثغرات موضوع الدراسة وساعدنا في الكشف عن بعض الغموض الذي اكتنف ثورات الصنهاجيين، كما أوضح لنا عدداً كبيراً من البلدان والقرى والحصون والمواضع التي عمرها وعاش فيها الصنهاجيون، وهو يكشف لنا عن حلقة من حلقات التأليف في موضوع المسالك والممالك أيضاً، الذي شارك فيه علماء المسلمين عامة وصنهاجة خاصة، الذي اختلفت أساليب التأليف فيه بأختلاف العصور والمؤلفين، ولو وصل إلينا كتاب العذري هذا كاملاً لكان مرجعاً وافياً شاملاً، فهو كتاب ضخم ولكن الجزء الذي وصل الينا لا يتجاوز عُشْر الكتاب غالباً ومع ذلك فليس من شك في أنه خير الأجزاء وأكثرها نفعاً.

كما كان كتاب (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة) لمؤلفه عبد الله بن بلقين ابن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، من الكتب التاريخية التي لا يمكننا الإستغناء عنها لكون مؤلفها شاهد عيان على الأحداث التاريخية لأبناء عمومته من قبيلته صنهاجة في الأندلس، حتى نهاية عصر الخلافة، ومعظم مجريات الأحداث التي مرت في عصر دويلات الطوائف، إذ وضّح مراحل عبور الصنهاجيين من المغرب إلى الأندلس، ولاسيما عبور زاوي بن زيري الصنهاجي وأبناء إخوته وخدمتهم لأبن أبي عامر وأصبحوا القادة الذين يعتمد عليهم في الشدائد والمحن.

أما كتاب (الكامل في التاريخ) للمؤرخ ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، فيعدّ من المصادر التاريخية المهمة لما اشتمل عليه من ذكر الاحداث الساسية العسكرية التي وقعت بين المسلمين والنصارى

في الاندلس، فهو وإن تناول المشرق الإسلامي بالتفصيل لكنه لم ينسَ الغرب الإسلامي، لذلك يعدّ مِنْ أحسن مَنْ كَتب عن الأندلس من بين مؤرخي المشرق، وتتصف رواياته بالموضوعية والوضوح، فأورد معلومات قيمة عن الحقبة التي هي قيد الدراسة، ومما جعل البحث لا يستغني عنه لكونه ذكر الدور السياسي والعسكري لقبيلة صنهاجة في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، والملفت للنظر أن المؤرخ كان هو الآخر قد اعتمد على أساس التسلسل الزمني للأحداث التاريخية. وهكذا فقد كانت قيمة ما أورده ابن الأثير عن الأندلس كبيرة، إلا أنه لم يذكر أسماء المصنفات أو المؤلفين الأندلسيين الذين استقى معلوماته منهم.

ويعدّ كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)، من المصادر المهمة في جغرافية الأندلس وتاريخها لكونه دراسة جغرافية تناولت بلاد الأندلس بشكل مفصل، وإستخدم الحميري بالكتابة الطريقة الأبجدية في ترتيب المدن الأندلسية، فقام بتعريف مناطقها وأقاليمها، وتميز بالربط بين المواقع الجغرافية والحدث التاريخي فكان فهرست جغرافي تاريخي أضاف معلومات ثرية للدراسة.

فضلاً عن ذلك كتاب (البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب) لابن عذاري المراكشي (ت: ٧١٢هـ/١٣١٢م)، من المصادر التي تُعنى بالتاريخ السياسي والعسكري للأندلس، ويقع الكتاب في اربعة أجزاء، إعتمدنا عليها في الأطروحة، ولاسيما الجزء الثاني منه الذي ذكر الكثير من الأحداث التاريخية التي حصلت في عصر الولاة والأمارة والخلافة وينتهي هذا الجزء بسنة (٣٩٢هـ/١٩٩١م)، وسدّ لنا ثغرة السنوات التي فقدت من كتاب المقتبس لابن حيان ثم عصر دويلات الطوائف حتى نهاية مدة دراسته، معتمداً على الترتيب الزمني بحسب السنوات التي مرت بها تلك الأحداث، وكان اعتمادي على هذا المصدر كبيراً، أما الجزء الثالث فقد ذكر فيه أحداث الفتنة البربرية وقيام الخليفة سليمان المستعين بالله (٤٠٣-٤٠٧هـ/١٠١٢-١٠١٦م)، بتوزيع بعض كور الأندلس على القبائل البربرية عرفاناً لهم بالجميل لما قدموه من تضحيات جسيمة، وكانوا ستة، فأعطى صنهاجة من بني زيري بن مناد البيرة، إذ بقيت بيد حبوس بن ماكسن بن زيري وذريته حوالي مائة سنة، وأعطى مغراوة جوفي البلاد، وبني برزال وبني يفرن جيّان وذواتها، لذلك نستطيع القول إنَّه أفاد الدراسة في معظم فصولها من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، لذلك يعدّ الكتاب ذو أهمية كبيرة لنقله عن مصادر ضاعت ويكفي الإشارة إلى أنه اعتمد في كتاباته على ابن حيان وغيره، لذا سدّ النقص الذي تركه ضياع بعض اجزاء كتاب المقتبس لابن حيان.

أَمَّا المراجع الحديثة التي تناولت حقبة البحث، فمن أهمها التي استفدت منها بشكل كبير كتاب (البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)) للمؤلف عبد القادر بوباية، وهو من الكتب المهمة عن تأريخ الأندلس، فقد أورد معلومات جغرافية وتاريخية نادرة جداً لم توجد في أي كتاب آخر، ومما يعطي كتابه أهمية أنه زار المناطق التي كتب عنها، وأطلع على طبيعتها وأوصافها، وهو ما ساعده في الحصول على مصادر أجنبية نادرة وأصيلة تتعلق بصميم الحقبة التاريخية التي كَتب عنها، ولم يتسنَ لنا الحصول عليها، لذلك يعد هذا المرجع موسوعة جغرافية تاريخية لدراسة الأندلس وقد استفدت منه في موضوع دراستي كثيراً، ولاسيما فيما يتعلق بالفصل الثاني الذي يتضمن مناطق استقرار قبيلة صنهاجة في المدن الأندلسية وحياتهم الاجتماعية والأقتصادية، أما الفصل الثالث فكان عن الفتن التي واجهت قبيلة صنهاجة سياسياً وعسكرياً.

ويعدّ كتاب (دولة الإسلام في الأندلس) للمؤلف محمد عبد الله عنان، بقسميه الأول والثاني، من الكتب الهامة، إذ تناول القسم الأول منه أخبار الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر، أما القسم الثاني رَكَّز على الخلافة الاموية والدولة العامرية، من المراجع القيمة، فقد رجع كاتبها الى مادة غزيرة ومتنوعة عن تأريخ هذه الحقبة، فصّل فيها عن دور القبائل البربرية، ولاسيما قبيلة صنهاجة وعلاقاتها السياسية والعسكرية مع حكومة قرطبة وايراده كثيرٍ من الروايات النصرانية حولها، فكانت كتاباته موفقة، لاعتماده على مصادر عربية ومراجع أجنبية، لذلك أفاد الدراسة في معظم موضوعاته وخاصة بالنسبة لقبيلة صنهاجة ودورها في محاربة الممالك النصرانية وعلاقاتها مع بعضها ببعض من جهة، إلا أنه مما يؤخذ عليه عدم اسناده المعلومات الى مصادرها الأصلية في كثير من الأحيان.

ومن المراجع المهمة أيضاً كتاب (فجر الأندلس دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، للمؤلف حسين مؤنس الذي يعد من أعلام المؤلفين في تاريخ الأندلس، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون مؤلفه على معرفة تامة باللغات اللاتينية والإسبانية والبرتغالية، فضلاً عن اللغة العربية، لذا يعد هذا الكتاب أول مؤلف عربي في تاريخ الأندلس لا يكتفي بالمصادر العربية فقط في استقاء مادته العلمية بل يعتمد على المؤلفات باللغة اللاتينية.

ثمة مراجع اضافة للدراسة معلومات هامة منها: كتب المستشرقين وذكر آراهم التي وردت في طيات كتبهم عن القبائل البربرية، فضلاً عن ما أورده عبد الرحمن علي الحجي في كتابه (التاريخ الاندلسي من

الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩١م) وله قيمة علمية كبيرة، ولاسيما التواجد الصنهاجي في المدن الأندلسية فضلاً عن دورهم أُبان حكم ابن أبي عامر.

أما ما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع، فإنه بحسب اطلاعنا عليها كانت قد تناولت البربر ودرستهم في الأدوار السياسية والعسكرية والفكرية منها، إلا أنها جاءت تحمل في طياتها العمومية، ولم نجد دراسة متخصصة تتحدث وتلم بالجوانب التي تحيط بقبيلة صنهاجة كافة سوى كتاب للدكتورة مريم قاسم طويل بعنوان (مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(٤٠٤-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، الذي صدر عن دار الكتب العلمية في لبنان، واللافت للنظر أنه لم يشر صراحة إلى نسب بني زيري الصنهاجي وإنما اكتفى بذكر بني زيري البربر، إضف إلى ذلك اكتفى بعرض جغرافي عن مدينة غرناطة وأحوالها ومدنها وقراها، أما الفائدة التي خدمتنا ضمن سياق موضوعنا لتكمن في المبحث الرابع من الفصل الثالث دور بني زيري الصنهاجيين أُبان الفتنة البربرية والإستقرار في غرناطة .

وأخيراً فأن هناك العديد من المصادر والمراجع افادتنا في الدراسة في بعض جوانبها وقدّمت لنا فائدة لا يستهان بها استكملنا بها بعض الثغرات المهمة، التي تواجهها الدراسات كلها، وهذه الدراسة نقدمها أملاً منا في رفد المكتبة العراقية والعربية بمثل هذه الدراسات الأكاديمية لتكون فاتحة لدراسات أوسع عن التاريخ الأندلسي.

وأخيراً وليس آخراً نضع جهدنا بين يدي السادة أعضاء لجنة المناقشة الموقرين لإبداء توجيهاتهم وتصويباتهم وملاحظاتهم القيمة حول الموضوع، التي انا على يقين أنها ستسهم وبشكل فعّال في إغناء الدراسة وإنضاجها وتشذيب هفواتها وزلاتها، بغية اخراجها على أتم ما يكون، فليس هنالك من عمل متكامل فالكمال لله وحده والله ولي التوفيق.

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الأوّل

نسب قبيلة صِنهاجة وديانتها

المبحث الأول/ أصل تسميتهم ببربر صِنهاجة:

المبحث الثاني/ نسب قبيلة صِنهاجة:

المبحث الثالث/ بطون قبيلة صِنهاجة:

المبحث الرابع/ ديانة قبيلة صِنهاجة:

إن ترامي البحث عن قبيلة صنهاجة ودورها في مجريات الأحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، إلى جانب الإسهامات الفكرية والعلوم الأخرى، التي قامت بنشرها على أرض الواقع في بلاد شبه الجزيرة الآيبيرية، باعتبارها من كبرى القبائل البربرية الفاعلة منذ الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة، وهذا الأمر يدعونا للرجوع إلى سبب تسميتهم ببربر صنهاجة، ومِنْ ثَمَّ الولوج في أصول هذه القبيلة، وإذا ما علمنا أن هناك لبس كبير في مسألة نسبها، ثم بعد ذلك سنتعرف على أبرز بطونها ومواطن استقرارها بموطنها الأصلي الذي ينتشرون فيه، ألا وهو بلاد المغرب الإسلامي، ومِنْ ثَمَّ عن ديانتهم التي دانوا بها قبل الإسلام وبعده، قبل أن تشارك غيرها من القبائل البربرية في الهجرة إلى بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وما كان لهذا الأمر من أهمية كبيرة بمكان الانتقال بشكل سهل، وتبيان الكيفية التي أدت إلى ظهورها على مسرح الأحداث والعوامل التي ساهمت في ذلك لتصبح من القوى المؤثرة والبارزة في بلاد المغرب والأندلس، سنلاحظ ذلك خلال الدراسة.

المبحث الأول/ أصل تسميتهم ببربر صنهاجة:

إن الآراء التي وردت حول سبب تسميتهم ببربر صِنهاجة[١] متعددة، إلا أنها لا تعدو أن تكون منطلقة من موردين، وهما إما لغوي أو نَسَبي، وقد فصّل مؤلف مجهول كان حياً (٧١٢هـ/١٣١٢م)، حول تسمية البربر وتاريخها الذي ظهرت فيه[٢]، فذكر رواية عن الشيخ محمد بن أبي المجد[٣] في أخبار البربر قوله: "لما استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص على مصر قدم عليه ستة

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث – بيروت، ١٩٦٧م، ٤٤٢/١. ينظر أيضاً: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت، د.ت، ٣٣٧/٨.

(٢) مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر– الرباط– المغرب، ٢٠٠٥م، ص١٨٠.

(٣) أَبُو مُحَمَّد عَبْد اللَّه بْن أَحْمَد بْن أَبِي الْمَجْدِ بْن غنائم الحربي العتابي الاسكاف، من أهل بغداد، راوي للحديث ثقة، توفي في الموصل سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م). ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٦م، ٢١١/١٥–٢١٢؛ ابن نقطة الحنبلي، أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ١٩٨٨م، ص٣٢٨؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة– دمشق، ١٩٨٥م، ٣٦١/٢١–٣٦٢.

نفر من المغرب محلقي الرؤوس واللحى، فقال لهم عمرو بن العاص ما أقدمكم؟ قالوا قِدمنا رغبة في الإسلام وحباً له، قال فما بال رؤوسكم ولحاكم؟ قالوا شعراً أنبته الكفر، أردنا بذلك شعراً ينبت في الإسلام، قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإرادتهم ووجههم نحوه، ووجه معهم ترجمانا يخبر عنهم فلما قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخلوا وسلموا عليه، قال لهم: ما اسمكم الذي تعرفون به في الأمم؟ قالوا: بني مازيغ، فالتفت عمر إلى جلسائه وشيخ إلى جنبه فقال: هل تعرفون هؤلاء؟ فقالوا: نعم هؤلاء من البربر، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولمَ سموا البربر؟ قال: إن قيساً[١] وَلَد أولاداً كثيرين فسمّى أحدهم براً، فخرج مغاضباً لإخوته إلى ناحية المغرب، فقالت العرب بربر أي توحش، فأول من سماهم بهذا الاسم هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[٢].

علماً أن عمر بن العاص كان والياً على مصر من قبل عمر بن الخطاب سنة (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)[٣].

وذكر الطبري رواية أن صنهاجة وكتامة هم من أولاد أفريقش[٤]، وإنما سموا بربراً، لأنّ أفريقش الملك الحميري قال لهم: ما أكثر بربرتكم، وقال في ذلك شعراً جاء فيه:

بربرت كنعان لما سقتُها	من أراضي الهلك للعيش العجب[٥]

(١) قيس: ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد. ويسمى قيس الناس بن مضر لأنه يقال: إن عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فنسب اليه قيس، فقيل: قيس بن عيلان بن مضر. ينظر: ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية- بيروت، ١٩٨٨م، ص١٨؛ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت:٢٨٦هـ/٨٩٩م)، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة التأليف والترجمة والنشر- الهند، ١٩٣٦م، ص١.

(٢) مفاخر البربر، ص١٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٠/٤.

(٤) أفريقش: ابن قيس بن صيفي، كان من أعاظم ملوك التبابعة على عهد النبي موسى(عليه السلام) أو قبله بقليل، غزا أفريقية وقاتل البربر، وهو الذي سماهم بهذا الاسم على ما ذُكرَ. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، ١٩٩٧م، ١٧٦/١؛ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م، ١٦/١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٢/١. ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٩٦.

وفي الواقع نجد الرواية الأولى التي تقول أن عمر بن الخطاب هو أول من أطلق تسمية البربر على أولئك الذين قدموا من المغرب، إنما هي أسطورة تاريخية أراد صانعوها الرفع من شأن البربر وبيان فضلهم، ولاسيما هم الذين ذهبوا ليطلبوا الإسلام على وفق تلك الرواية، وهي أُحادية المصدر وواضحة جداً في إنها مختلقة، لأنّها تقول إن عمر بن الخطاب هو أول من سمّاهم بالبربر، في حين أنه لم يعرفهم وقد سأل لماذا سموا بربراً ؟ فكان الجواب من ذلك الشيخ الذي كان جالساً إلى جنبه، ثم إن الرواية الثانية التي أوردها الطبري تثبت أن تسمية البربر كانت قديمة، وليس كما ادعت الرواية الأولى أن عمر بن الخطاب هو أول من أطلقها عليهم، وتلك التسمية كما سبقت الإشارة لها موردين هما:

١- **المورد اللغوي:** تعني لفظة البربري في اللغة الكثير الكلام بلا منفعة(١)، والبربرة جَلَبَة باللسان، وتخليط بالكلام مع غضب ونفور(٢)، ويقال: بربر الأسد إذا زأر(٣)، وتبربر فلان لحق بالبربر فتوحّش(٤).

إذ إن هذه المعاني التي تحملها لفظة البربر تتوافق مع الرواية القائلة أن أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري لما غزا افريقية وافتتحها سمع أصوات أهلها فقال: ما أكثر بربرتهم، ولهذا سموا البرابرة(٥)، وذكر ابن خلدون بعد أن أورد شبيه هذه الرواية: "لما رأى- أفريقش – هذا الجيل قال: ما أكثر أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة"(٦).

وهناك من رأى أن كلمة البربر مشتقة من الفعل العربي بربر، بمعنى هَمَسَ، لأنّ اللهجة الإفريقية كانت عند العرب بمثابة أصوات الحيوانات العجماوات ومنهم من رأى أن بربراً هي تكرار برّ الذي هو

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، ١٥/ ١٣٧.

(٢) أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م، ١١٢/١.

(٣) دُوزِي، رينهرت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م، ٢٧٠/١.

(٤) معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ت)، ص٣١.

(٥) البلاذري، احمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٦م، ص٧.

(٦) العبر، ٦/ ١١٧.

الصحراء باللغة العربية[١]، ويحكى أن الملك أفريقش، عندما غلبه الاثيوبيون، هرب إلى مصر، ولما وجد نفسه مطارداً عاجزاً عن مقاومة العدو، إذ استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة، فأجابوه صارخين البربر أي: إلى الصحراء معبرين بذلك عن كونهم لا يعرفون أي حلٍ سوى عبور النيل واللجوء إلى صحراء إفريقيا، وهذا تفسير لكلمة بربر متفق مع رأي من يقول: إن أصل الأفارقة من اليمن[٢].

ويرى البعض الآخر أن اليونان[٣] كانوا يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية بارباروي فهو لفظ إغريقي، وهؤلاء هم الذين سموهم بالبربر، وعنهم أخذ اللاتين ثم العرب هذه التسمية، وأما البربر أنفسهم فلا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية، بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم[٤]، بينما رأى

(١) الأزهري ، تهذيب اللغة، ١٣٤/١٥؛ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٩٧٩م، ١٧٩/١.

(٢) ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت بعد: ٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، وصف إفريقيا، نقله عن الفرنسية إلى العربية: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان، ١٩٨٣م، ٣٤/١.

(٣) اليونان: ذُكر أنهم من ولد يونان بن يافث بن نوح (عليه السلام)، ولغتهم تسمى الإغريقية، وهم من الأمم التي اشتهرت بشتى العلوم مثل علم الفلك والحساب والهندسة والطب والمنطق وغيرها من العلوم، وكان علماؤهم يُسمّوْنَ فلاسفة أي مُحبي الحكمة. ينظر: المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٣-٩٤؛ ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٢٠.

(٤) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط٤، دار الرشاد- القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

البعض الآخر أن الروم[١] هم الذين أطلقوا هذه التسمية[٢]، لأنّهم كانوا يعدّون البربر أجانب عن حضارتهم ونعتوهم بالهمج (Barbari) ومنه استعمال العرب كلمة برابر وبرابرة[٣].

ويتبين من الرأي الأول أن أول من أطلق تسمية البربر هم اليونانّ ثم الروم ثم العرب، ولكن هناك رأياً آخراً أكّد على أن اليونانيين أخذوا تلك التسمية عن المصريين[٤].

كذلك كان يُطلق على سكان المغرب قديماً اسم أمازيغ التي انتسبوا فيها إلى جد يدعى مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح[٥]، ومعنى كلمة أمازيغ الرجل الحر الخشن[٦]، ومنهم من يضيف لها معنى الشرف، فيصبح معناها الأشراف الأحرار[٧]، وسكان المغرب جُلّهم يُحبذون اسم أمازيغ ولا يقبلون بتسمية البربر[٨].

---

(١) الروم: ذُكرَ أنهم من بني عيصو والروم لقب لهم، ولغتهم اللاتينية. أقاموا إمبراطورية تُعد من أعظم إمبراطوريات العالم القديم، وتبدأ رسمياً في عام(٢٧ق.م)، وكانت الحرب همهم الأول وصناعتهم الوحيدة، فاجتهدوا لإتقانها وتطوير أساليبها، وقد سقطت إمبراطوريتهم في عام(٤٧٦م)، وهو تاريخ سقوط إمبراطورية الغربية على يد الجرمان نتيجة لغاراتهم المتكررة عليها. ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس- بيروت، ١٩٩٦م، ص٩٩؛ ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد(٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩١٢م، ص٣٣؛ لورو، باتريك، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، ٢٠٠٨م، ص٧؛ مونتسكيو، شارل لوي دي سكوندا، تأملات في تاريخ الرومان، نقله عن الفرنسية إلى العربية عبد الله العروي، ط١، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء – المغرب، ٢٠١١م، ص٣١.

(٢) اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠١م، ص١٨٢.

(٣) جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، ٢٠١١م، ص٧.

(٤) الدراجي، بوزياني، القبائل الامازيغية، أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي- الجزائر، ٢٠٠٧م، ١/١١.

(٥) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٩٥.

(٦) العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٧٨م، ص١٢.

(٧) الكعاك، عثمان، البربر، ط١، مطبعة الترقي- تونس، ١٩٥٦م، ص٧.

(٨) الدراجي، القبائل الامازيغية، ١/٣٠-٣١؛ السائح، الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة- بيروت- لبنان، والدار البيضاء- المغرب، ١٩٨٦م، ص٦٣-٦٤.

والجدير بالذكر أن تسمية أمازيغ وردت لأول مرة في المصادر العربية المعروفة في كتاب التيجان في ملوك حمير، وقد ذُكرت فيه أكثر من مرة[١]، منها بعبارة "مازيغ[٢] بن كنعان بن حام بن نوح"[٣]، ومرة أخرى بعبارة "مازيغ بن كنعان بن جالوت بن هربال"[٤]، وهذا ما غفل عن ذكرهِ أكثر الباحثين الذين تعرضوا لذكر تسمية البربر.

٢- **المورد النسبي:** أي أن تسمية البربر بهذا الاسم قد تكون متأتية عن طريق النسب، ففي الخبر أن مازيغ بن كنعان بن حام، كان له ولد اسمه بربر[٥]، فإن صحَّ هذا الخبر، عندئذ تنتفي كل الآراء التي قيلت في تفسير لفظة البربر، لأنّ أصلها سيكون مأخوذاً من تسمية ذلك الجد الأعلى المشار إلى اسمه، ولكن كيف يصح الجزم بهذا الخبر، وهو من أخبار الزمن الغابر، وأنه ورد في كتاب قد أُشبعَت مادته التاريخية بالخرافات والأساطير والإسرائيليات[٦]، ومع ذلك فهي تَعدّ أولى الإشارات للفظة البربر في المصادر العربية المعروفة.

وإن براً هذا خرج إلى ناحية المغرب مغاضِباً لأخوته، فقالت العرب: بربر أي توحّش[٧]، وقد سبقت سبقت الإشارة لهذه الرواية التي لا تصمد أمام الواقع التاريخي لظهور الكلمة، وأن قبولها يعني الاعتراف بأن العرب هم أول من سماهم بالبربر، على أن فيها إشارة تدل على وجود شخص كان اسمه يحمل جزء من تلك التسمية، وقد قدّم أحد الباحثين بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة برّ في العهد

---

(١) ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن ايوب (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)، كتاب التيجان في ملوك حمير، يرويه عن اسد بن موسى عن أبي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية- صنعاء، ١٩٢٨م، ص٦٠، و ٩٧، ١٣٨-١٣٩، ١٨٠، ١٨٨، ٢٤٦. ينظر: العرباوي، محمد مختار، في مواجهة النزعة البربرية واخطارها الأنقسامية، ط١، نشر بيت الحكمة- بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٢ وما بعدها.

(٢) وردت التسمية في كتاب التيجان باسم: ((ماريع))، والصحيح ما هو مُثبَت، وقد أشار العرباوي إلى ذلك، إذ عد سقوط سقوط نقطة الزاي ونقطة الغين لنقص في الانتباه إثناء التحقيق والطباعة. ينظر: العرباوي، في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، ص١١.

(٣) ابن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير، ص١٨٠.

(٤) ابن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير، ص١٨٨.

(٥) ابن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير، ص٣٣.

(٦) ابن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير، ص٦-٧.

(٧) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٠.

الجاهلي، بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، إذ أتتْ الكلمة في كثير من المرات بعدة معانٍ، منها اسم لشخص يدعى برّ وبعض الأحيان تأتي بمعنى ابن(١).

وبعد هذا البيان للفظة البربر وتاريخ ظهورها ومن خلال المعطيات الواردة في أصلها، وعلى الرغم من الإشارة قد سبقت إلى وجود شخصين كان أحدهما يدعى بربر بن مازيغ بن كنعان، فيما ذكر البعض الآخر يُدعى برّ بن قيس عيلان، فإن صح ذلك سيكون بربر أو برّ ذلك الجد الأعلى هو أصل تسمية شعب البربر.

المبحث الثاني/ نسب قبيلة صنهاجة:

ينتسب الصنهاجيون إلى ولد صنهاج وأصل الكلمة صناك بالصاد المشممة زاياً والكاف القريبة من الجيم، إلا أن العرب عرّبته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار الكلمة صنهاج، وهو عند نسّابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن برّ، وهم وكتامة جميعاً من حمير(٢)، وقيل هو صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور بن الفند بن أفريقش بن قيس(٣).

كما نشأ خلاف كبير بين النسابة والمؤرخين العرب والبربر حول أصل قبيلة صنهاجة، أهي من البربر الخلص من ولد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام؟ أم من أصل عربي يمني جنوبي؟

ونتيجة لتضارب الآراء وتشابك الافتراضات حول أصل صنهاجة(٤)، فقد برز فريقان متناقضان يدافعان عن رأيين متباينين ويدعمان طرحهما بأدلة وبراهين، إلا أنها قابلة في مجملها للنقاش:

---

(١) الدراجي، القبائل الامازيغية، ٣٠/١.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦.

(٤) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م، ١٧٤/١. ينظر أيضاً: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت: ٥٦٢هـ/١١٩٦م)، الانساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد، ١٩٦٢م، ٣٣٦/٨–٣٣٧؛ ابن الاثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٢٤٩/٢؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الأربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م، ٢٦٦/١؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى، دار الكتب العلمية– بيروت، د.ت، ج٤١٧/١.

الفريق الأول: تمثل بعلماء الأنساب والمؤرخين العرب، إذ أن هؤلاء قد قسموا قبائل العرب إلى فرعين: عرب الشمال العدنانيون نسبة إلى عدنان بن إسماعيل (عليه السلام)، وعرب الجنوب القحطانيون نسبة إلى قحطان بن عابر[١]، فإنهم يؤكدون أن صنهاجة من العرب القحطانية.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه علينا بإلحاح شديد ومِنْ ثَمَّ هل علينا أن نسلم بما جاء به نسابة العرب من أن صنهاجة وكتامة من حمير؟ وما الحقيقة التي يجب أن نعوّل عليها وللإجابة على ذلك؟

بما أن هناك غياب للدراسات الاكاديمية العلمية واللغوية، التي تمكننا من الإجابة بدقة متناهية على تلك التساؤلات، فهذا يدفعنا بالعودة إلى المصادر التاريخية للقيام بعملية مقابلة النصوص لبعضها البعض، لكي يتسنى لنا معرفة الرأي الاقرب إلى الحقيقة، ونكون قد اقتربنا من جادة الصواب إلى حَدٍّ ما يثبت بطلان القول بعروبة صنهاجة في هذا الصدد الذي نحن نخوض غماره.

إن اتفاق أغلب الروايات حول الأصل العربي لصنهاجة بما فيها من مبالغات وعدم يقينيتها حول الأصل، وعلى الرغم من تعدد رواة الخبر فإن المادة الخبرية جاءت من مصدر واحد كان منبعه وأصله رواية ابن الكلبي (ت: ٢٠٤-هـ/٨١٩م) التي فصّل بها، ثم جاء من بعده جملةً من المؤرخين والرواة الذين لم يجدوا بديلاً عن رواية ابن الكلبي لاعتمادها كسندٍ لأثبات اصل النسب، ولعل في مقدمة هؤلاء الرواة ابن عبد الحكم (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، ثم البلاذري، (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، ثم الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، ثم المسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ثم علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة (ت: ٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، ثم السهيلي الأندلسي (ت:٥٨١هـ/١١٨٥م)، إذا ما استثنينا التفاصيل الزائدة في ما نقلوه إلينا، سنجد أن هؤلاء المتأخرين نقلوا عن ابن الكلبي فهو مصدر الرواية بهذا الصدد.

وأول من صرح بهذه النظرية هو النسابة ابن الكلبي الذي أرجع نسب صنهاجة وكتامة إلى قبيلة حمير اليمنية، إذ قال: "وأَقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة ابني السَّور بن سعيد بن جابر بن سعيد بن قيس بن صيفيّ"[٢]، ويعدّ ابن الكلبي من أقدم النسابين الذين روجوا لهذه الرواية، وعنه نقل من

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، ١٩٨٥م، ص٦٧.

(٢) نسب معد واليمن الكبير، ٥٤٨/٢-٥٤٩. ينظر أيضاً: البلاذري، الانساب، ٧/١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٧/١، و٤٤٢.

جاء بعده من نسابي العرب ومؤرخيهم الذين تبنوا روايته كالطبري والمسعودي والجرجاني والسهيلي الاندلسي(١).

وذهب إلى ذلك أيضاً الهمداني (ت:٣٣٤هـ/٩٤٥)، صاحب كتاب الاكليل في أنساب حمير وأيام ملوكها(٢)، الذي ذكر أن الروايات اجتمعت بأن صنهاجة من حمير اليمنية(٣)، وما ذهب إليه بعض المؤرخين المشارقة ومن قلدهم من المؤرخين المغاربة، بسبب اعجابهم بالبربر وبطولاتهم فألحقوهم بأبناء سام لا من أبناء حام بن نوح (عليه السلام)(٤)، وبسبب تبني جميع هؤلاء لرواية ابن الكلبي أصبحت لهذه الرواية مؤيدين ومؤمنين بصحتها، وهذا الأمر يدفعنا إلى التمحيص للوصول لنتيجة أقرب إلى الواقع.

ويرى ابن حزم أن جميع العرب ينحدرون من نسل ثلاث رجال وهم: عدنان، وقحطان، وقضاعة، فأما عدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك، أما قضاعة فمختلف فيه: فقوم يقولون: هو قضاعة بن معد بن عدنان، وقوم يقولون: هو قضاعة بن مالك بن حمير، وهذان الجذمان أي عدنان وقضاعة هما عرب الشمال(٥).

أما قحطان فأنه من ولد سام بن نوح ومنه ينحدر عرب الجنوب القحطانيين، واسمه يقطن بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام)، وقيل اسمه يقطان(٦).

وكذلك نجد رواية نقلها لنا ابن خلدون عن ابن الكلبي والطبري، التي قالا فيها أن صنهاجة من قبائل حمير المنحدرة من نسل صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور بن الفند بن أفريقش بن قيس بن

---

(١) نسب معد واليمن الكبير، ٥٤٨/٢-٥٤٩. ينظر أيضاً: البلاذري، الانساب، ٧/١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٧/١، و٤٤٢؛ ابن خلدون، العبر، ٥٩/٢، و ١٠٢،١٢٧.

(٢) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الاعلام، ط١٥، دار الصادر للملايين-بيروت، ٢٠٠٢م، ١٧٩/٢.

(٣) ابن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً نحو: ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: احسان عباس، ط٣، دار الثقافة- بيروت - لبنان، ١٩٨٣م، ٤٦/٤.

(٤) دبوز، محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية للطباعة والنشر، ٢٠١٠م، ٤٠/١.

(٥) جمهرة انساب العرب، ص٧-٨.

(٦) ابن عبد البر، الانباه على قبائل الرواة، ص٢٧؛ ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر(ت: ٤٧٥هـ/١٠٨٢م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ١٩٩٠م، ٣٤١/١. ينظر أيضاً: السمعاني، الانساب، ٣٤٤/١٠؛ الحازمي، أبو بكر زين الدين محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق وتعليق: عبد الله كنون، ط٢، العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة، ١٩٧٣م، ص٦.

صيفي أحد ملوك التبابعة[١]، إذ أن أفريقش قد احتل ومعه البعض من الكنعانيين الذين خرجوا من اليمن إلى سواحل الشام، في غزوته إلى المغرب ففتح افريقية وقتل ملكها جرجيس[٢]، وأنزل البربر افريقية وترك معهم صنهاجة وكتامة[٣].

وبهذا اتفق أصحاب هذه النظرية على الأصل العربي الجنوبي لصنهاجة[٤]، ولا ريب أن الرواية الرواية فيها الكثير من الخلط مما يجعلها تدحض نفسها بنفسها؛ لكون الخبر الذي تنقله إلينا يتعلق بالبطريق البيزنطي جرجيس، الذي كان يقيم بقرطاجنة، وقتله عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥]، في أثناء أثناء غزوته الأولى[٦] إلى أفريقية سنة (٢٧هـ/٦٤٧م)، زمن خلافة عثمان بن عفان[٧]، وقد علق أحد الباحثين

---

(١) العبر، ١٩٥/٦، ٢٠١.

(٢) هو جرجيس من أهل فلسطين، ممن ادرك بعض حواري عيسى بن مريم (عليه السلام)، كان رجلا صالحا مؤمنا يكتم إيمانه، كثير المال، عظيم التجارة، عظيم الصدقة، فكان يأتي عليه الزمان يتلف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء، حتى يصير فقيراً. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤/٢.

(٣) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ٥٤٨/٢–٥٤٩. ينظر أيضاً: البلاذري، الانساب، ٧/١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٧/١، و٤٤٢؛ ابن خلدون، العبر، ٥٩/٢، ١٠٢، ١٢٧، و ١٩٥/٦ و ١١٧/٦، ٢٠١.

(٤) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ٥٤٨/٢–٥٤٩. ينظر أيضاً: الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق، ط١، عالم الكتب– بيروت، ١٩٨٨م، ٢٢٣/٢؛ السمعاني، الانساب، ٣٣٧/٨؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥٥/١؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٩٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤١٤/١.

(٥) هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب العامري القرشي، ويكنى ابا يحيى ولد سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)، وقد كان كاتبا للوحي ثم ارتد عن الإسلام، اذ استجار بعد فتح مكة بعثمان بن عفان وكان عبد الله بن أبي سرح اخاً لعثمان بالرضاعة فاستجاره وعفى عنه النبي بعد فتح مكة، ولما افضت الخلافة لعثمان ولاه ملك مصر وجندها سنة (٢٥هـ/٦٤٥م)، ومات سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) في عسقلان بعد فتنة قتل عثمان بن عفان بسنتين ودفن فيها. ينظر: البلاذري، انساب الأشراف، ٥١٤/٥–٥١٥؛ البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى (ت: ٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق: محمد التونجي، ط١، دار الرفاعي للنشر والتوزيع–الرياض، ١٩٨٣م، ١٢٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة–بيروت–لبنان، ١٩٨٣م، ٨/١–١٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث–بيروت، ٢٠٠٠م، ١٠١/١٧.

(٦) لم تذكر المصادر التاريخية اسم هذه الغزوة.

(٧) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع– مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللباني للطباعة والنشر–بيروت، ١٩٦٤م، ص ٣٤–٤٦. وينظر ايضاً:

المحدثين على هذه الرواية بقوله: "يا لها من غلطة تاريخية فادحة!"[١].

كما أكد القنوجي أن رواية غزو أفريقش لأفريقية، قد وردت مع شيء من التحوير في مضمونها، وجاء فيها في أثناء غزوته هذه، إذ اثخن في البربر وسماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم، ويعد زمن حدوثها في عهد موسى أو قبله بقليل، وقد نفت أن يكون غزو أفريقية في زمن جرجيس الملك، وعلى الرغم من هذا التحقيق أكد صاحب الخبر أن هذه الرواية من الأخبار الواهية والضعيفة للمؤرخين، وخلص في نهايتها إلى ما عده ابن خلدون هو الصحيح، في أصل صنهاجة وكتامة ونسبها[٢].

ولا يختلف ابن خلدون مع نسابة العرب عند ذكرهم شعوب البربر التي ذكرها في تاريخه، فهو يرى أن شعوبهم من البربر كلها، غير أنه يستثني منهم كتامة وصنهاجة اللتان وقع فيهما الشك والخلاف بين نسابة العرب، وإن كان المرجح والمشهور عندهم أنهم يمنية، بنص تلك الرواية التي ساقوها عن غزو أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري أفريقية فأفتتحها ونزولهم بها[٣]، ويشكك ابن خلدون فيما يدعيه نسابة البربر أيضاً، إذ يزعمون في بعض شعوبهم انهم من العرب مثل لواته[٤].

وذهب ابن الوردي إلى مثل ذلك، وعنه نقل القرماني، من أن الملثمين هم من صنهاجة، عدَّة قبائل ينتسبون إِلَى حمير، وَأول مَسِيرهمْ من الْيمن فِي أَيَّام أبي بكر سيرهم إِلَى جِهَة الشَّام ثم انتقلوا إِلَى مصر، ثمَّ إِلَى الْمغرب مَعَ مُوسَى بن نصير وتوجهوا مَعَ طَارق إِلَى طنجة[٥]، وأحبوا الِانْفِرَاد فَدَخَلُوا

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (٤٥٣هـ/١٠٦١م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم= =ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي–بيروت، ١٩٩٤م، ١/١٤–٢٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٨–١٢؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ٢/٢٩٠.

(١) الهادي، روجي ادريس، الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقيا إلى عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الميلادي، نقله من الفرنسية إلى العربية: حمادي الساحلي، ط١، دار الغرب الاسلامي– بيروت – لبنان، ١٩٩٢م، ١/٣٤.

(٢) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ١٩٨٥م، ص ٢٢٠.

(٣) البلاذري، انساب الاشراف، ١/٧.

(٤) العبر، ٦/١٢٧–١٢٨.

(٥) بلد مساكن قبائل صنهاجة تقع عند الطرف الغربي بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ولا يفصلها عن الشاطئ الاسباني المقابل سوى ثمانية عشر ميلاً، بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد، مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم. ينظر: الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، المسالك والممالك، دار صادر– بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٩؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك

الصَّحرَاء واستوطنوها سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[١].

إذ لا تختلف هذه الرواية عن سابقتها، لكونها اعتمدت على نقل مادة الخبر دون التمحيص، فوقع أصحابها في ما وقع فيه اصحاب الرواية الأولى من الخلط نفسه، ومِنْ ثَمَّ هي رواية ضعيفة لا يعتد بها، أنّ الهجرة لو صحت فإنها وقعت قبل الإسلام بقرون عديدة، ولو كانت صنهاجة ضمن الجيش الإسلامي الذي بعثه الخليفة أبي بكر لكانت مناطق صنهاجة الصحراوية أكثر إسلاماً وتعريباً[٢].

وهناك بعض المصادر غير المباشرة بالموضوع، أسست إلى الأصل الحميري لصنهاجة كما بيناها سابقاً[٣]، فإن اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار للرشاطي، الذي عدّه حاجي خليفة مصدراً من الكتب المهمة ذات العلاقة المباشرة بالأنساب كما أعدّه من الكتب القديمة في الأنساب في هذا التخصص[٤].

والممالك، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ١٩٩٢م، ٦٧١/٢، ٧٨١؛ مجهول، مؤلف (ت: ق ٦ هـ)، الاستبصار في= =عجائب الامصار، دار الشؤون الثقافية– بغداد، ١٩٨٦م، ص١٣٨–١٤٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٢٩/٢–٥٣١؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، دار الصادر– بيروت، ١٩٩٥م، ٤٣/٤؛ الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٩٥–٣٩٦؛ أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، تحقيق: المستشرق رينود والمستشرق ماك. ن. ديسلان، دار الصادر–بيروت، ١٨٥٠م، ص١٣٢–١٣٣.

(١) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ١٩٩٦م، ٣٤٤/١–٣٤٥. ينظر أيضاً: القرماني، احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد، ط١، عالم الكتب– بيروت، ١٩٩٢م، ٤٠٩/٢.

(٢) بوتشيش، ابراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة– بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٥.

(٣) الرشاطي، أبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله(ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الأندلس في اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي– مدريد، ١٩٩٠م، ص١٩، ص٢٥؛ ابن الخراط الأشبيلي، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله(ت: ٥٨١هـ/١١٨٥م)، اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي– مدريد، ١٩٩٠م، ص١٨٦.

(٤) مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي– بيروت، د.ت، ١٣٤/١.

وأن الرشاطي كان يجزم بالأصول الحميرية لصنهاجة بقوله: "فشرف صنهاجة أصيل، ومجدهم أثيل، ورياستهم قديمة، ونسبتهم إلى حمير معلومة"[١]، إلا أن القلقشندي يرى غير ذلك على الرغم من أنه أورد مختلف الروايات التي ذكرت بشأن صنهاجة، ولم يتبين عنده رجحان رواية على أخرى، وإن كان يميل إلى رأي ابن حزم الاندلسي من أن صنهاج هو ابن امرأة اسمها (يصلي) ليس له أب معروف[٢]، إلا أن ابن حزم وضع النقاط على الحروف بجزمه من خلال نفيه أن يكون لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أساطير مؤرخي اليمن[٣].

إن المتتبع لأخبار الفاتحين لبلاد المغرب، يدرك حقيقة مفادها أن معظم الفاتحين العرب القادمين إلى المغرب، ضمن جيوش الفتح الإسلامي إن لم نقل جلّهم، هم من سلالة حميرية[٤].

لذا نجد أحد الباحثين يجذر انتساب صنهاجة إلى الأصل الحميري من خلال ظاهرة التشابه بين حياة العرب والبربر في كثير من أوجه الحياة مع حرصهم على الانتساب إلى الشعب العربي مهد النبوة وصانع الفتوحات العظيمة التي عمت المشرق والمغرب، يضاف إلى ذلك رغبتهم في المساواة بالعرب الذين جاءوا فاتحين، كانت إحدى الأسباب وراء محاولة النسابين جعل أنساباً عربية لصنهاجة ولغيرها من القبائل[٥]، وفسّر باحث آخر ادّعاء صنهاجة النسب العربي، لتكون على قدم المساواة مع القبائل العربية، حتى تستطيع المشاركة في الحياة السياسية الجديدة التي أظلّت المغرب بمجيء العرب، فاصطنعت لنفسها

(١) ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، مراجعه: طه حسين، دار العلم للجميع ــ بيروت – لبنان، ١٩٥٥م، ص٦١.

(٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ١٩٨٠م، ص٣١٧.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥.

(٤) الهادي، الدولة الصنهاجية، ٣٣/١.

(٥) حسن، حسن علي، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي– مصر، ١٩٨٠م، ص٢٩٥.

أنساباً عربية[١]، ولاسيما أن ظهورها على مسرح الأحداث لم يتجلّ إلا مع مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[٢].

وقد أدعى أعيان صنهاجة وأمراؤها وعلماؤها من بني زيري الصنهاجيين النسب العربي لصنهاجة، وكانوا يصرون عليه ولا يرضون عنه بديلاً، لذا تمسكوا بانتسابهم إلى الأصل الحميري، وكان ذلك محاولة منهم لفرض سلطتهم على القبائل البربرية، على اثر ما نقل عن فخر الدين أبو محمد علي بن عبد العزيز بن شداد حفيد الأمير تميم بن المعز بن باديس، في تاريخه كتاب (الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيراون) يؤكد أن نسبه ونسب أجداده يتصل بحمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر من عرب الجنوب [٣].

ويبدو أن هذا الادعاء أصبح أشبه ما يكون عند البعض بالحقيقة التي يجب التمسك بها، إذ افتخر أبو الفتح المنصور بن يوسف بلقين بن زيري الزيري الصنهاجي بنسبه الحميري في خطابه الذي ألقاه على أعيان صنهاجة بأشير[٤] عند توليه الإمارة، إذ قال: "إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً،

---

(١) محمود، حسن احمد، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي– القاهرة، ١٩٥٦م، ص٣٧.

(٢) عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي ـ الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين، منشأة المعارف–الاسكندرية، ١٩٩٠م، ٣/٢٩١–٢٩٢.

(٣) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد(ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي– طهران، ١٩٩٥م، ١/٢٣٠–٢٣١، و ٣/٨٤؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة، ٢٠٠٢م، ٢٤/١٥٦–١٥٧؛ ويرى احد الباحثين أن اسم الكتاب "الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان ومن فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والايام"، وقد املاه ابن شداد على ابنه فخر الدين في شهر رجب من سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وأن اسم مؤلفه هو أبو محمد فخر الدين علي بن عبد العزيز بن شداد بن الامير تميم بن المعز بن باديس، ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الاوسط. ينظر: السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتب– مصر، والدار البيضاء– المغرب، ١٩٩٤م، ٢/٧٩.

(٤) مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر، كان أول من بناها الامير زيري بن مناد الصنهاجي سنة (٣٢٤هـ/٩٤٦م) وتعرف بأشير زيري، وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة، وهي بين جبال شامخة محيطة بها. ينظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي(ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار صادر– أفست ليدن– بيروت، ١٩٣٨م، ١/٩٠؛ البكري، المسالك والممالك، ٢/٧٢٤–٧٢٥؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٧٠–١٧١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ١/٢٥٤–٢٥٦؛ الحِميري، الروض المعطار، ص٦٠؛=

وأنا لا آخذ الناس إلا بالإحسان، ولست ممن يولّى ولا يعزل بكتاب، ولا أحمد في هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى وهذا الملك ما زال في يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير"(١).

ولما سئل الشيخ المفتي أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي(٢) عن نسبه أقر أنه ينحدر من قبيلة صنهاجة الحميرية القحطانية بقوله: "انا ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، وبنو خطاب في قبائل من المغرب والبربر، فبنو خطاب في صنهاجة، وفي هسكورة من ملزوزة، وفي ورغة من مكناسة، وفي غمارة من صنهاجة الريف، وفي بني أبي عدي في الحامة، وأنا من الصنهاجيين، وهذا النسب حميري يسمى القحطاني"(٣).

وهناك بعض الروايات التي جذرت إلى الأصل الحميري لصنهاجة من المظهر والعادات والتقاليد، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة في معرض حديثه عن مدينة ظفار اليمنية بقوله: "ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم ... وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة لا يجعلون العمائم، وفي كلّ دار من دورهم سجّادة الخوص معلّقة في البيت يصلّي عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب، وأكلهم الذرة وهذا التشابه كلّه ممّا يقوّي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير"(٤).

=النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ١٦٠/٢٤-١٦١؛ ينظر ايضاً: ابن النية، رضا، صنهاجة المغرب الاوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين الى مصر (٨٠-٣٦٢هـ/٦٩٩-٩٧٣م) دراسة اجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر- جامعة منتوري قسنطينة- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، د.ت، ص٤٧.

(١) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ١٧٧/٢٤-١٧٨.

(٢) أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي الخطّابي، المعروف بابن خبازة، لم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ ولادته، كان اديباً وشاعراً بارع الخط من اكبر اعاجيب الدهر في سرعة البديهة، أصله من إحدى قبائل صنهاجة في جهات تونس، وتصوف ووعظ، وامتدح ملوك عصره، وولي في أواخر عمره حسبة الطعام بمراكش، وتوفي برباط الفتح سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م). ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك(ت: ٧٠٣ هـ/١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠١٢م، ٢٩٥/٥-٢٩٦؛ المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن احمد(ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٩٣٩م، ٣٧٩/٢؛ الزركلي، الاعلام، ٣٤١/٧.

(٣) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٩.

(٤) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد(ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسمات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، اكاديمية المملكة المغربية- الرباط، ١٩٩٧م، ١٢٥/٢.

وعلى الرغم من أهمية هذا النص، إلا أنه يقدم لنا معلومات عن أوجه التشابه في مجال حيوي ضيق باليمن ألا وهو مدينة ضفار، ويسقط تلك الفكرة التي تبلورت في عقله على نطاق جغرافي واسع للبربر في كل بلاد المغرب وعليه نحن بحاجة إلى نصوص أخرى تدعم هذا النص الذي تقدم به ابن بطوطة، وتقوي رأيه القائل بحميرية صنهاجة المغربية.

فيما ذهب أحد الباحثين في انتساب صنهاجة إلى حمير، ظلت من التأثيرات الفينيقية التي وفدت على المغرب في العصور القديمة، على إعتبار أن الحميريين فينيقيو البحر الأحمر، وأن بعض اللهجات الفينيقية ظلت باقية في البلاد أبان العصر الروماني، فليس ببعيد أن تكون القبائل البرنسية قد خضعت لمؤثرات فينيقية قديمة ظلت ذكراها مائلة لدى النسابين، فربطوا بين صنهاجة والحميريين عن طريق المؤثرات السامية والتي هيئت المغرب لاستقبال العرب في البلاد(١).

بينما يرى باحث آخر بعدما خلص إلى مختلف الآراء في هذه النسبة، إلى القول: أكاد أميل إلى الرأي الآخر أي الرأي الذي يجعل نسبتهم إلى البربر على الرغم من وجود هجرات فينيقية سامية دخلت بلاد البربر قبل الاسلام... لكن الشيء الذي لم يمكن اثباته بعد، هو : لماذا نفترض أن صنهاجة وكتامة هما اللذان وفدا إلى المغرب؟ ولماذا لا تكون هذه الهجرات جماعات سامية متناثرة اختلطت بالدم البربري كله، ولم تحتفظ لنفسها باستقلال جنسي معين وهو الشيء الذي نراه(٢).

أما عن لهجاتهم نجد ابن خلدون يصف هذه الروايات بالمزاعم، ويدافع عن الرأي الذي تبناه مستشهداً على صحة ذلك في منظوره، من خلال معرفة أسماء المواطن التي تسكنها صنهاجة القريبة من البربر، إذ أنها تشترك معهم في لهجات الرطانه والعجمة بعيدة عن اللسان العربي، وعلى الرغم من أنه استثنى منهم صنهاجة وكتامة، إلا أنه في الاخير يصرح بقوله: "وعندي أنهم من إخوانهم"(٣)، أي من البربر، خاتماً كلامه بعبارة "والله اعلم"(٤)، وفي موطن آخر نجده معلقاً على أُولئك الذين نسبوا صنهاجة إلى حمير: "وليس كما ذكر والله اعلم"(٥).

---

(١) محمود، قيام دولة المرابطين، ص٣٨.

(٢) عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٩-٥٠.

(٣) العبر، ١٢٧/٦-١٢٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، ١٢٨/٦.

(٥) ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦.

إلا أن عبارة "الله اعلم" تحمل في طياتها شيئا من الريب والتشكيك، ولتدارك ما يمكن أن يعتقد بأنه شك وقع فيه ابن خلدون، إذ صرح في مقدمته، التي انتهج فيها التمحيص والتدقيق، فأكد لنا باليقين الذي يبطل كل لبس، بأنّ ما تدّعيه نسابة العرب من أن صنهاجة وكتامة من حمير، فهو من الأخبار الواهية، ومن المغالط التي وقع فيها هؤلاء، والتحقيق عنده أن نسابة البربر تأبى ذلك وهو الصحيح(١).

وهذا ما ذهب إليه ابن حزم بقوله: "إنهم من بقايا ولد حام بن نوح (عليه السلام) وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، من حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان، وهذا باطل، لا شك فيه"(٢)، وكذلك ابن خلدون الذي يرجح بأن صنهاجة قبيلة بربرية برنسية تتحدر من ولد صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن قيما بن سدور بن صولان بن مصلين بن يوين بن مصراييم بن حام بن نوح (عليه السلام)(٣)، ومِنْ ثَمَّ فهما ينفيان النسب العربي اليمني لصنهاجة، وليس كما ادعى ابن الكلبي والطبري، الذين قالا أن صنهاجة من قبائل حمير، إذ يتفق عنان مع هذا الرأي الذي يرى أن الروايات التي تجعل نسب صنهاجة إلى العرب اليمانية، وهي كسائر الروايات المماثلة في أنساب البطون البربرية رواية ضعيفة، تقوم على القصص والأسطورة(٤).

أما الفريق الثاني تمثل بعلماء أنساب البربر، إذ اختلف في أنساب شعوب البربر، إلا أن أكثر نسابة المغرب يرجعونهم إلى أيلان فقد ذكر أبو صالح بن عبد الحليم، نقلاً عن ابن أبي المجد المغيلي، "هناك رجلان سماهما بأيلان، أحدهما: ايلان بن مصمود وهو أبو إيلانة بن مازيغ بن تميلا بن كنعان بن نوح عليه السلام، والثاني: ايلان بن بر بن قيس غيلان وأنهم عرب صريحين وأن أيلان خلاف المصامدة، ولكنه انتسب إليهم وصاهرهم فكثر ولده فيهم"(٥).

وَأما بَاقِي قبائل البرانس فَلم يكن لَهُم ملك يذكر، وَقد تقدم لنا أَن النسابين من الْعَرَب يَقُولُونَ: إِن صنهاجة وكتامة من حمير، وَأَن إفريقش الْحِمْيَرِي تَركهم حامية بإفريقية فتناسلوا بهَا واستحال لسانهم إِلَى

(١) العبر، ١٦/١

(٢) جمهرة انساب العرب، ص ٤٩٥.

(٣) العبر، ٢٠١/٦.

(٤) محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٩٧م، ٢٩٩/٢.

(٥) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١-١٧٢.

البربرية، لَكِن الْمُحَقِّقِينَ من نسّابة البربر كسابق المطماطي وَغَيره يُنكرُونَ ذَلِك ويجزمون بِأَنَّهُمَا قبيلتان عريقتان فِي البربر(١).

وقد تفرد ابن خلدون في ذكر اسماء نسابة البربر بقوله: "سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوياسر المطماطي الذي عده من كبار نسابة البربر المشهورين"(٢)، وكذا خالد بن خداش المطماطي المغيلي (توجد في الجنوب التونسي قلعة ابن خداش)، وخليفة بن خياط المطماطي المغيلي (ومغيلة بطن من مطماطة)، والنسابة أبو محمد بن يغني البرزالي الأباضي، وكان البرزالي رجلاً فقيهاً تقياً عالماً بأنساب البربر(٣)، ويضاف أيضاً من نسابة البربر سالم بن سليم المطماطي، وصابي بن مسرور الكومي، وهانئ بن بكور الضريسي، والنسابة أيوب بن كيداد(٤) وعبد الله بن ادريس(٥) كاتب الخراج لعبيد الله المهدي(٦)(٧).

---

(١) السلاوي، الاستقصا، ١٢١/١.

(٢) العبر، ١٦١/٦و١٦٣.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١٢٤/٦، و ٨/٧. للمزيد من التفاصيل ينظر: الكعاك، البربر، ص٤٥.

(٤) وهو أبو يزيد ايوب بن مخلد بن كيداد الزناتي، وكان أبوه من أهل قسطيلية من مدائن بلد توزر، إذ نشأ بتوزر، وتعلم القرآن وخالط النكاريّة من الخوارج وهم الصفريّة، فمال إلى مذهبهم، فكثر أتباعه، ولمّا مات عبيد الله المهدي خرج بناحية جبل أوراس، دعا للناصر صاحب الأندلس من بني أميّة فاتبعه أمم من البربر، إذ قتله اسماعيل المنصور سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م). ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٦/١؛ ابن خلدون، العبر، ٥١/٤-٥٨.

(٥) أبو محمد عبد الله بن إدريس الأودي المقرئ، من أهل الكوفة، من تلامذة مالك بن انس حجة في الحديث ثقة، توفي في سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م). ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع(ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م، ٣٦٢/٦؛ ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة(ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، طبقات ابن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٩٠؛ الصالحي، ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي(ت: ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)، طبقات علماء الحديث، تحقيق: اكرم البوشي و ابراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ١٩٩٦م، ٤٠٨/١-٤١٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤٩٩/٧-٥٠٠.

(٦) اختلفت المصادر في نسبه، فيذكر ابن خلكان أن اسمه هو أبو محمد عبيد الله المعروف بالشيعي. ينظر: وفيات الأعيان، ١١٧/٣- ١١٩؛ ويذكر النويري أنّه سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن القداح. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٦٤/٢٨.

(٧) ابن خلدون، العبر، ١١٧/٦، ١٢٤، ١٦٢-١٦٣، و ٨/٧؛ الناصري، أبو راس محمد بن احمد، عجائب الاسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية-وهران، ٢٠٠٥م، ٩٠/٢.

ويورد لنا ابن خلدون أيضاً رواية فريدة من نوعها تتضمن الكثير من المعاني عندما تكلم عن اجازة كهلان بن أبي لوا بن ازلاسن المطماطي[١]، إلى الأندلس ونزله على علي الناصر بن حمود[٢] أمير مالقة (Malaga)[٣] (٤٠٧-٤٠٨هـ/١٠١٦-١٠١٧م)، وهو من أهل العلم بأنساب البربر[٤]، وقد وقد اعتمد عليه ابن خلدون في دراسته للبربر[٥]، وكما ابن حزم اعتمد في جمهرته في تدوين انساب البربر على أحد النسابين من البربر بقوله: "قال لي أبو محمد ويكنى البرزالي الأباضي[٦]، وكان ناسكاً، عالمـاً

(١) لم اجد له ترجمه سوى ذكر أنه كان نسابة مشهور من البربر. ينظر: ابن خلدون، العبر، ٦/١٦٢-١٦٣.

(٢) أبو الحسن علي بن حمود بن ميمون بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، اول العلويين بالأندلس، لقب بالناصر لدين الله، قتل في سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م). ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩-٥١؛ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب- ليبيا – تونس، ١٩٧٩م، ١/٩٦؛ ابن عسكر، أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر بن هارون (ت: ٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي (ت:٦٣٩هـ/١٢٤١م)، أعلام مالقة المسمى الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام، تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، ط١، دار الامان ودار الغرب الاسلامي-بيروت، مطابع دار الصادر-بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٩٤-٢٩٦؛ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١١٩-١٢٠؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠١٠م، ٢٤/٥١-٥٢؛ ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٢م)، الاحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م، ٤/٤٣-٤٤؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٣) مدينة بالأندلس جنوبي قرطبة على شاطئ البحر، بينها وبين قرطبة خمسة أيام، وعليها سور صخر، والبحر في قبليها، وهي في غاية الحصانة، حسنة عامرة ذات أرض خصبة كثيرة الأشجار والتين. ينظر: المنجم، اسحاق بن الحسين (ت: بحدود ق٤ الهجري/ ق١٠ الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٩؛ الزهري، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت بعد: ٥٤١هـ/١١٥٤م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد، د.ت، ص٩٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٧-٥١٨.

(٤) العبر، ٦/١٦٢-١٦٣.

(٥) الكعاك، البربر، ص٤٦-٤٧.

(٦) لم اجد له ترجمه سوى ذكر أنه كان نسابة مشهور من البربر. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٨.

بأنسابهم"[١]، والنسابة محمد بن يوسف الوراق القروي[٢]، وعبد الحق بن ابراهيم الصنهاجي[٣][٤]، العلاّمة المحدث الأديب المؤرخ، أصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة بني حماد بالجزائر، من كبار الأئمة وفضلائهم، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي(ت: ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) صاحب كتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية[٥][٦].

وأما ما يخص الشعراء الذين تغنوا وتفاخروا بالنسب الصنهاجي الحميري فإن ما يُرَدّ من كلامهم أكثر مما يعتد به لكون أكثرهم لا يؤمنون بما يقولون، ولا يهمهم من الأمر سوى التكسب والمردود المادي والتقرب من السلاطين، فكم هي نسبة الصدق من الكذب في كلامهم، عندما يتعلق الأمر بالأُمراء وأصحاب السلطة والنفوذ في الدولة؟ إذ ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

(١) جمهرة انساب العرب، ص٤٩٨.

(٢) أبو عبد الله مُحَمَّد بن يُوسُف الْوراق أَصله من وَادي الْحِجَارَة وانتقل آباؤه إِلَى إفريقية فَنَشَأَ بالقيروان، ولا نعلم سبب رجوعه إلى موطنه الأصلي الأندلس بعد إقامته زمناً بالقيروان، وعني بِالْعلمِ وَدخل الأندلس فِي دولة الحكم الْمُسْتَنْصر بِاللَّه وَألف فِي مسالك إفريقية وممالكها ديواناً ضخماً وَفِي أَخْبَار مُلُوكهَا وحروبهم والقائمين عَلَيْهِم كتبا جمة إلا أن مؤلفاته ضاعت ولم يبق منها سوى ما نقله عنه الآخرين، توفّي بقرطبة ودفن فيها سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م). ينظر: ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد–لبنان، ١٩٦٨م، ص٨–٩؛ ابن الابار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر(ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر– لبنان، ١٩٩٥م، ١٥٥/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٩/١؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان، ١٩٠٠م، ١٦٣/٣–١٦٤؛ محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط٢، دار الغرب الإسلامي–بيروت–لبنان، ١٩٩٤م، ١٢٦/٥–١٢٧.

(٣) عبد الحق بن ابراهيم بن عبد الله بن وهب الصنهاجي المراكشي، لم نجد له ترجمة سوى اسمه ولا شيئاً عن وفاته. ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٩٨/٥ و٢٠٨.

(٤) البيدق، أبو بكر علي الصنهاجي (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب، تحقيق: عبد عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة–الرباط–المغرب، ١٩٧١م، ص١٤.

(٥) قاعدة المغرب الأوسط، تقع على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين جزيرة بني مزغنّاي أربعة أيام، والبحر والبحر يضرب في سورها، وهي كثيرة الفواكه والأثمار. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٥٩/١–٢٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨٠–٨٢.

(٦) الغبريني، أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت: ٧١٤هـ/١٣١٤م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط٢، دار الافاق الجديدة–بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢١٨–٢٢٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٤/٤٥؛ الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان، ١٩٩٠م، ٢٠٩/٣–٢١٠.

الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[١].

فإن اداة الاستثناء "إلا" في الآية الكريمة تفيد أنه هناك تعارضاً بين أفعال هؤلاء الشعراء وأقوالهم في كل عصر ومصر يمثلون أقلية، ومِنْ ثَمَّ هم شواذ والشاذ لا يقاس عليه فهناك شعراء كان لهم دور بارز في الاسلام كأمثال حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وغيرهم[٢].

ولا يخفى على أحد ذلك الدور المميز الذي أداه الشعر في التاريخ سواء كان قبل الإسلام أم بعده للترويج لمسألة الأصل والنسب، ومساندة اصحاب السلطة في دعواتهم، بقصد التأثير على رأي عامة الناس في المجتمع من أجل ضمان انقياد الرعية وانصياعها لهم، والتخلص من تيار المعارضة وكانت ظاهرة التملق لدى بعض الشعراء في مدحهم الأُمراء، وهم يرومون بذلك التقرب والتزلف إليهم لنيل الحظوة عندهم، التي تجعلهم من شعراء السلطة الحاكمة، الذين يستفيدون من جود ما تدره عليهم أكفّ الحكام وعطائهم، وهذا ما نستخلصه من الأبيات الشعرية التالية، للأديب عبد الكريم بن فضال الحلواني[٣]، إذ قال مادحاً أحد أمرائهم مفتخراً بالنسب الحميري:

منادية أنسابه حميرية	متوجة بالمجد قبل العمائم
فما انبسطت إلا لجود أكفهم	ولا انقبضت إلا لضبط القوائم
يجرون أطراف الرماح إلى الوغى	كما جرت العقبان سود الأراقم[٤]

(١) سورة الشعراء، من الآية ٢٢٤-٢٢٧.

(٢) ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة(ت: ٢٠٠هـ/٨١٥م)، تفسير، تحقيق: هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م، ٥٣٠/٢.

(٣) أبو الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني، شاعر وأديب وقد غرب فدخل صقلية والأندلس توفي في حدود (ق٥ الهجري/١١ الميلادي). ينظر: ابن الصيرفي، أبو القاسم تاج الرياسة علي بن منجب بن سليمان(ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق: عبد الرزاق حسين، ط١، دار البشير- عمان، ١٩٨٥م، ص٦٩-٧١؛ ابن دحية الكلبي، المطرب من اشعار أهل المغرب، ص٥٩-٦٠، و ٧٥؛ الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع-تونس، ١٩٧١م، ج١٨٨/٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥٨/١٩-٥٩.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٢٩٩/٧.

وهكذا أصبح أمر انتماء صنهاجة لحمير متداولاً بين النسابة والمؤرخين وأنتقل ذلك إلى ألسن الشعراء ليتغنوا ويتفاخروا به، فهذا الشاعر والمؤرخ المغربي أبو فارس الملزوزي المكناسي(١)، يعد من أعظم شعراء العصر المريني، إذ قال في نسب صنهاجة في أرجوزته:

إن المرابطين هم من حمير	قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكاً في الزمان الأول	وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت في كتاب النسب	قولاً به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاج أبوه حمير	وهو أب لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح	فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهود	ومجدهم وسعدهم مذكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا	في غربنا وبلغوا فيه المنا(٢)

ويرى أحد الباحثين المعاصرين إن الأقلية من المؤرخين أو النسابة الذين نسبوا صنهاجة إلى البربر مغاربة متعصبون لأصلهم البربري (٣)، إلا أنه قد حكم على هذه الفئة حكماً قاسياً، لكونهم لم يقتنعوا بالأساطير ورفضوا التعامل معها رفضاً قاطعاً، ولكونهم حكموا العقل واستندوا إلى الدليل الأقرب إلى الحقيقة والمنطق السليم.

في حين ذهبت طائفة من علماء أنساب البربر الراغبين في إسناد نسب شريف إلى أبناء جنسهم، لم يترددوا في تأكيد انحدار البربر من سلالة عربية مضريه(٤)، كما بيناها سابقاً، لإثبات نسبهم في العروبة، إذ اعتنى نسابة البربر في العصر الإسلامي بضبط انسابهم والحاقها بحمير وذلك لأغراض عرقية وجنسية ودينية وسياسية، إذ نستطيع أن نلمس ذلك من خلال التصانيف البربرية، ولاسيما كتب الأنساب من ناحية وكتب الطبقات والسير من ناحية أخرى(٥)، وهو ما ذهب إليه دُوزِي بشأن أمير

(١) مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البرّ الأعظم، بينها وبين مرّاكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، يجري في شرقيها نهر صغير وتتصل بها عمارات وأرضها طيبة كثيرة الثمار. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٤.

(٢) الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن المكناسي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية– الرباط، ١٩٦٣م، ص٤٨.

(٣) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص١٤.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦.

(٥) عثمان الكعاك، البربر، ص ٤٤–٤٥.

غرناطة (Granada)[١] باديس[٢]، إذ قال عنه: "وكان يزعم حتى لا ينسب إلى ضعة، إذ أن السلالة التي انحدر منها وهي صنهاجة، لم تكن من عنصر البربر، بل كانت من العرب"[٣]، وهذا ما ذهب إليه عبد الحميد أيضاً فالملك قد أستفحل في صنهاجة بعد أن توارثته أسرة بلقين باتخاذها ما يتخذه الملوك من آلة الملك، إذ اتخذوا القصور الفخمة وغص بلاطها برجال الدولة واصناف الحريم والجواري، ولبس الأُمراء عمائم التيجان المذهبة ودثروا أمواتهم في أكفان السبعين ثوباً وزيادة، وقبروهم في توابيت عود البخور الهندي الثمين، وهكذا لم يكن من الغريب أن يصطنع لهم الكتاب ممن عملوا في خدمتهم بل ومن غيرهم، النسب المناسب الذي يرقى بهم إلى الأرومة العربية النقية، من حمير ملوك اليمن القدامى ورموز الحضارة[٤].

وذكر النويري في معرض حديثه عن التعريف بنسب بلقين "هو أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد بن منقوش بن زناك بن زيد الأصغر بن واشفاك بن وزعفى ابن سرى بن وتلكى بن سليمان بن الحارث بن عدى الأصغر– وهو المثنى بن المسور بن يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث الأصغر– بن سعد– وهو عبد الله بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد ابن شداد بن زرعة– وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن

(١) هي مدينة من أعظم واقدم مدن البيرة بينها وبين البيرة ستة أميال ويقال لها أيضاً أغرناطة، ومعناها الرمانة بلغة الأندلسيين، وتعرف بمدينة اليهود، ويخترقها نهران عظيمان شنّيل وحدرة، أما نهر شنّيل فينحدر من جبل شلير بجنوبها، وأما حدرّه فينحدر من جبل بناحية مدينة وادي آش شرقي شلير، وفيها البساتين العامرة. ينظر: ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٦؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٩٤–٩٦؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٥/٤؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر– بيروت، د.ت، ص٥٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ١٧٦–١٧٧.

(٢) أبو مَناد، باديس بن المنصور بن بُلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي، نصير الدولة، صاحب إفريقية، من امراء الدولة الصنهاجية بالقيروان، ولد في مدينة آشير سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)، ولي بعد وفاة أبيه سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، وكان ملكاً حازماً شديد البأس، واتخذ من سردانية (Sardaigne) سكنا له، وولاه القائم بأمر الله الفاطمي على المغرب وقامت في أيامه فتن أثارها الطامعون بالملك من أقربائه، فتغلب عليهم وتمكن من قمعها، توفي ودفن بالقيروان في سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م). ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٨٥/٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٦٥/١–٢٦٦.

(٣) ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مكتبة ومطبعة عيسى الجلبي وشركاه من مصر– القاهرة، ١٩٣٣م، ص٤٢.

(٤) تاريخ المغرب العربي، ٢٩٣/٣.

الغوث بن قطن بن عوف بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن عمرو بن حمير– وهو العرنجج– ابن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر– وهو هود"[١].

مما يسجل على هذا النص أنه متصل الرجال لا يوجد قطع في سلسلة النسب التي يقدمها إلينا صاحب الكتاب، الذي ينهي ذلك النسب بنبي الله هود (عليه السلام)، لكن النسابة ابن حزم يَعُدّه ليس من ولد هود (عليه السلام) وهذا باطلاً[٢] بيقين قول الله تعالى: (وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً)[٣]، وقوله تعالى: (وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ، سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ)[٤]، وهود (عليه السلام) من عاد، ولا ترى باقية لعاد[٥].

وهناك نص آخر ساقه السلفي[٦] في هذا الاطار بقوله: "سمعت أبو محمد مهدي بن تميم بن المعز الصنهاجي بالثغر، يقول : سمعت أبي الامير أبا يحيى تميم بن المعز بن باديس الحميري بالمهدية[٧] يقول ألذّ الأشياء في الدنيا، تقليد المنن الثقال، في أعناق الرجال"[٨]، وهذا النص يشير بكل وضوح الى الادّعاء بالنسب الحميري من قبل أحد أبناء الأُسرة الزيرية الصنهاجية بالمغرب.

---

(١) نهاية الارب في معرفة فنون الادب ١٥٦/٢٤.

(٢) جمهرة انساب العرب، ص٧.

(٣) سورة الاعراف، الآية ٦٤.

(٤) سورة الحاقة، الآيات ٥–٧.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٧.

(٦) صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت: ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية – مكة المكرمة، د.ت، ص٣٧٧.

(٧) مدينة كبيرة بساحل افريقية يقال لتلك الناحية "جمة"، استحدثها عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين ونسبها إلى نفسه، وتم بنائها في سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، وهي في شرق سوسة وجعلها المهدي كرسي مملكة افريقية عندما استولى على المغرب، متصلة بحدود القيروان، غربي صفاقس، ذات اسوار حصينة وخيرات وفيرة. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٨؛ مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٨٠؛ البكري، المسالك والممالك، ٦٨١/٢–٦٨٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٨١/٢–٢٨٣؛ ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: وتعليق: اسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ١٩٧٠م، ص١٤٤–١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٦–٢٧٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٦١–٥٦٢؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ص١٤٤–١٤٥.

(٨) السلفي، معجم السفر، ص٣٧٧.

ويرى كل من التهامي نفرة وعبد الحليم عويس في مقدمة الكتاب عند تحقيقهما مخطوطة أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم بقولهم: إن الذي دفع الصنهاجيين إلى الادعاء بالنسب العربي الحميري وجعله متداولاً بين الأسرة المالكة هم الدعاة العبيديون الذين ادعوا بدورهم الانتساب إلى آل بيت النبي محمد (عليهم السلام) وتأسيس دولتهم الفاطمية في المغرب ومصر لقرابة ثلاثة قرون(١).

مما يلاحظ على كلامهم أنهم كانوا متحاملين على الدولة الفاطمية وانتسابها إلى فاطمة بنت رسول الرحمة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتشكيك بنسبهم بل رفضوه تماما، وخلصا في مقدمة تحقيق المخطوطة إلى الاعتقاد بأنهم قرامطة متسلطون، من أصحاب العقائد المستترة(٢).

وإذا كان الفاطميون عملوا على تثبيت النسب العربي الحميري واعترفوا به لصنهاجة التي وقفت إلى جانبهم في احلك الظروف للحفاظ على هيبتهم من خلال مباركة الخليفة القائم بن المهدي(٣) لزيري بن مناد بناءه لمدينة اشير، بقوله : "مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر"(٤)، لكونها تضايقت من تحركات زناتة وتحرشاتها على حدودها الغربية فتبنت ذلك الادعاء للنسب العربي وباركت بناءهم لمدينة أشير، حتى يكونوا يداً ضاربة لهم على الزناتيين وحصناً منيعاً لصد زحفهم نحو الشرق، ولاسيما بعد تحالفهم مع أمويي الأندلس، مما يدعم هذا الرأي ما ذهب إليه ابن الخطيب "وكانت قبائل صنهاجة متقلدة آراء الشيعة، مخالفة لقبائل زناتة في انحيازهم إلى الطائفة الأموية لتحقق جُلَّ ملوكهم يومئذ من آل خزر بولاء عثمان بن عفان (رضى الله عنه)"(٥)، وهذا ما اكده ابن خلدون في معرض حديثه عن صنهاجة

(١) ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي (ت: ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨١م، ص ٧-٢٩.

(٢) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص ٢٠-٢٤.

(٣) أبو القاسم محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي الشيعي الفاطمي صاحب المغرب ولد في افريقية سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وتوفي في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م). ينظر: الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، تاريخ الأنطاكي المعروف بـ صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس-طرابلس-لبنان، ١٩٩٠م، ص٧٠-٧١؛ الاصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م، ص٢٣١؛ ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قِزأُوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية- دمشق-سوريا، ٢٠١٣م، ١٧/٧٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤/٦-٧.

(٤) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ٢٤/١٦٠-١٦١.

(٥) اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام المسمى بتاريخ اسبانيا الاسلامية، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف-بيروت- لبنان، ١٩٥٦م، ص٢٢٨.

بقوله: "كانت لها ولاية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولاسيما عندما استوسق الملك للشيعة بأفريقية تحيز الصنهاجيون إليهم بعدما تحيزت مغراوة وسائر بطون زناته التي كانت لهم ولاية للخليفة عثمان بن عفان إلى المروانيين ملوك العدوة بالأندلس"(١).

وذهب احد الباحثين بالقول على عروبة البربر، ولاسيما صنهاجة واصولهم من اليمن، وساق عدة روايات في انتقال البربر من اليمن إلى المغرب(٢)، إلا أن جل هذه الروايات التي ساقها هي من الإسرائيليات والمرسلة.

لكن بعد الرجوع إلى المصادر التاريخية الإسلامية، نجد تضارباً بشأن هذه النسبة الصنهاجية التي سبقت الإشارة إليها، إلا أن المؤرخ المقريزي احتفظ لنا بنص واضح وصريح لا غبار عليه، إذ ذكر مؤسس الدولة الزيرية يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي قوله يؤكد فيه نسبه البربري، وقد ورد فيه أن المعز الفاطمي(٣) دعا يوسف الصنهاجي(٤)، وقال له: "تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال: يا مولانا: أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفوا لي وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح، ولم يزل به حتى أجاب وقال: يا مولانا: بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره، والخبر لمن تثق به، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم، فمن استعصى

(١) العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٢) الفرح، محمد حسين، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن الى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر، النشر والتوزيع الجمهورية اليمنية- وزارة الثقافة، ٢٠١٠م، ص ٣١-١٣٢.

(٣) هو أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الملقب بالمعز لدين الله والذي تنسب اليه القاهرة المعزية، ولد بالمهدية سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، وجلس على سرير الملك يوم الاحد ٧ ذي الحجة سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م. ينظر: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٨٣-٩٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٣٨/٧؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ٢٢٤/٥-٢٢٨؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية-القاهرة، د.ت، ١١٥/٢-١١٦؛ اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، ١٩٩٦م، ٢٨٨/٢-٢٨٩؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب- مصر، ١٩٦٣م، ٦٩/٤-٧٠.

(٤) هو الذي يقال له بُلُقين او بُلُكِّين. ينظر: أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١١٢/٢؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٨٣-٩٢ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٧/٧و ٣٠٦-٣٠٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م، ٣٩٣/٢.

عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك فحسن هذا من المعز وشكره"[١].

ومما تقدم تتضح لنا الحقيقة التي يمكن التوصل اليها باللجوء الى المناقشة العلمية الهادفة، فمن خلال المقابلة بين النص الذي ساقه الينا السلفي، إذ جاء فيه ما يلي "سمعت أبي الأمير ابا يحيى تميم بن المعز بن باديس الحميري..."[٢] في إشارة إلى النسب الحميري لصنهاجة، وبين نص المقريزي الذي أبدى فيه يوسف الزيري اندهاشه وتعجبه في أن يؤول أمر بلاد المغرب إليه وعبر عن دهشته هذه بصدق جعله يفصح عن نسبه قائلاً: "يا مولانا: أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفوا لي وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح..."[٣]، والملاحظ على قوله الذي ختمه بعبارة "انا صنهاجي بربري" فهنا يجب تحكيم العقل في الروايتين الاولى بالتصديق امام هذا التعارض الحاصل بين القولين أحدهما ورد بلفظة سمعت، والآخر ورد بلفظ قال له المعز وقال هو أي (بلقين)؟

إن المنطق السليم يحتم علينا الرجوع بالنسب إلى الأكبر سناً، لكونه بحسب ما جرت عليه عادة الناس الأعلم والأجدر والأعرف بشجرة نسب قومه ومِنْ ثَمَّ كبير القوم يفترض أن يتناقل الأبناء والأحفاد عنه أُمور نسبهم، بمعنى أن الجد ينقل عنه الأب وهكذا ينتقل الخبر بين الأبناء وعنهم يأخذه الأحفاد، ولا يمكن حينئذ تقديم قول الحفيد على الجد، ومِنْ ثَمَّ فأن الاعتراف من صاحب الأمر الذي يعدّ كأول حاكم للدولة الزيرية بأفريقية والمغرب الأوسط، بعد رحيل الفاطميين إلى مصر يسقط ويلغي ادعاء أُولئك الذين جاءوا بعده من الزيريين، كما ينفي ما يدعيه البعض من المؤرخين والنسابة والشعراء من دون دليل قاطع، وما يخص رواية السلفي وورود كلمة سمعت دون معرفة من هؤلاء الذي سمع منهم هذا الحديث!! ومِنْ ثَمَّ تعد هذه الرواية ضعيفة قياساً برواية المقريزي التي ذكر فيها اعتراف بلقين مؤسس الدولة الصنهاجية بنسبه البربري، فليس هناك ما يدفعه للكذب والتدليس فهو أعلم بنسبه من غيره، ولو كان له نسب يتصل بحمير كما زعم من ادعو هذه النسبة لصنهاجة لما تردد عن ذكرها بين يدي المعز، إذ ليس من مصلحته

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٧م، ٢/١٨٨-١٨٩.

(٢) معجم السفر، ص٣٧٧.

(٣) المقريزي، أبو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م، ١/٩٩.

اخفاء حقيقة نسبه لو تحقق عنده أنه من حمير؛ لأنّ ذلك كان سيخدمه أكثر، ويدعم مركزه ويعزز مكانته ويرفع من شأنه، على اعتبار أن لشرف النسب أهمية بالغة لكون مؤسس الدولة الإسلامية وواضع قواعدها الرئيسة النبي العربي المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجزيرة العربية لذا نرى شريطة البقاء في سدة الحكم أن يكون من أُصول عربية كالدولة الأُموية والدولة العباسية في أوج عظمتها.

ثم أن هناك نصاً آخر يدعم نص المقريزي ساقه الينا ابن بسام تحت عنوان: فصول من رقعة عن حبوس إلى ابن عبد الله أمير قرمونة(Carmona)[١] الزناتي[٢]، الذي بعث اليه بكتاب اغلظ له به به شتما وسبابا، فرد عليه حبوس رد عاقل من خلال هذا هذه الرقعة مترفعا عن معاملته بالمثل لكنه قرعه ولآمه لوماً شديداً، وقد كتب له هذه الرسالة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عامر البزلياني(Bezmiliana)[٣] المالقي، الذي كان من كتاب بلاطه، وكان يعد من شيوخ الكتاب وجهابذة الأدب، وقد جاءت الرسالة بأسلوب أدبي رفيع، تضمن نثراً رائعاً وجاء فيها: "من النصح تقريع، ومن الحفاظ تضييع، ولكل مقام مقال، إذا عدي به عنه استحال، ووصل إلي منك كتاب طمست منحاه، وعميت معناه، أومأت فيه إلى النصح، ودللت على سبيل النجاح، فوقفت على فصوله ومعانيه، وأحطت علماً بجميع ما فيه، ولم يكن لمن أوحشت جهته، وتغيرت مودته، أن يدخل مدخل الناصحين، وقد خرج من جملة المشفقين، وكان بالجملة أوله سباب، وآخره إعجاب، والسباب لا ينطق به كريم، والإعجاب لا يرضى به حليم، وقد نزهني الله عن المقارضة بهذا ومثله، وما أحسن قول القائل:

---

(١) مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية، وغرب من قرطبة وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢؛ ابن غالب، محمد بن ايوب البلنسي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م)، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية – القاهرة، ١٩٥٦م، ص٢٣؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ١٨١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٣٠/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١.

(٢) الذخيرة، ٦٢٥/٢.

(٣) وهي قرية على ساحل البحر قريبة من كورة مالقة، أشبه ما تكون بالمدينة في مستوى من الأرض، وأرضها رمل وبها وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى الجهات المجاورة لها، وبينها وبين مالقة ثمانية أميال. الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٣٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٥/٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١١٢؛ الحميري، الروض المعطر في خبر القطار، ص٩٢.

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا	ونشتم بالأفعال لا بالتكلّم[١]

فإن كنت أردت أن تستصلح مني بسبك فاسداً، وتستقرب من ودي باستطالتك مباعداً، فما هذه شيم يقضي بها الفضل، ولا سياسة يُحكّم بها العقل، وإن كنت أردت التخويف والإيعاد، والإبراق والإرعاد، فقد كفني بيت الكميت:

أبرق وأرعد يا يزيد	فما وعيدك لي بضائر
وأنا أحد البرابرة	لا أخرج عن جماعتهم
ولا أبعد عن موافقتهم	ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم
وما أنا إلا من غزية إن غوت	غويت وإن ترشد غزية أرشد
وفي لزوم الجماعة السداد والرشاد	والغي في الانفراد والاستبداد[٢]

وأما قولك: "فمن كان متبوعاً قلما يستقيم أن يكون تابعاً، ومن عرف في النادي مطاعاً لم ينقلب مطيعاً، إلا أن يصادف هدي العمرين، وأجدر بذلك أن يبعد " – فقد أزريت على كل خلافة، وبينت أنك خارج عن كل فرقة، وأن غرضك المحاماة عن غزك، والمرامات دون حرزك، وليس هذا نظر مشفق، ولا قول محقق، إذ لا تتم ديانة إلا بإمامة يدعى إليها، وتجري السنن عليها، إلا في مذهب نافع بن الأزرق وعبد ربه وأشباهها"[٣].

فبعد أن ذكر يوسف بن زيري نسبه في بربر صنهاجة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، نجد حبوس بن ماكسن وهو أحد أحفاده بالأندلس يكرر ما جاء على لسان جده ومؤسس دولة بني زيري في أفريقية، ويعلنها صراحة أنه أحد البرابرة[٤] دون تردد ولا تلكؤ، فهو أمير قومه صنهاجة على غرناطة بعد زاوي بن زيري، ولا حاجة له إلى ادعاء النسب العربي ليسود في تلك البلاد التي اعترفت بقوتهم وقبلت بأُمارتهم،

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢-٦٢٦.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٦/٢.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢-٦٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٣/٧.

بل أنه بات من الواضح لأهل الأندلس، ولاسيما أهل قرطبة(Cordaba)[١] بعد أحداث الفتنة التي شهدتها في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أن صنهاجة من ضمن البربر.

المبحث الثالث/ بطون قبيلة صنهاجة:

تعدّ قبيلة صنهاجة إحدى قبائل البربر البرانس، ولم تكن مجرد قبيلة عادية بل كانت من أعرق قبائل بلاد المغرب وأقدّمها وأعظمها، إذ ذكر ذلك ابن خلدون بقوله: "صنهاجة من أوفر قبائل البربر، وأكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر"[٢] بل زاد على ذلك ابن ابي زرع بقوله "إن بطون صنهاجة ينتهي إلى سبعين بطناً"[٣] وعلى هذا هي أكثر سعة وانتشاراً في كامل سهول وجبال وتلول وحتى أقاصي صحراء بلاد المغرب.

---

(١) مدينة مشهورة بالأندلس، عامرة مكتظة بالسكان ذات نعم وتجارات كثيرة، وأقرب الطرق منها إلى البحر مسير ثلاثة أيام، وتعد قاعدة الأندلس وقطبها وقطرها الأعظم، وأم مدائنها، وهي على ضفة النهر الأعظم، متوسطة بين بلاد شرق الأندلس وبلاد غربها، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣-١٩٤؛ المنجم، آكام المرجان، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٩٦م، ص١٣٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١١-١١٦؛ مجهول، مؤلف (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر-القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٨١-١٨٢؛ العذري، أبو العباس، أحمد بن عمر بن أنس بن الدلاني (ت: ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد-اسبانيا، ١٩٦٥م، ص١٢١-١٢٨؛ البكري، جغرافية الأندلس وأُوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ط١، دار الارشاد-بيروت، ١٩٦٨م، ١٠٠-١٠٦؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٧٦-٧٨؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٧٤-٥٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٦-٣٧؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦-٤٥٨.

(٢) العبر، ٦/٢٠١.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي (ت: حوالي ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: دار المنصور للوراقة- الرباط- المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط-المغرب، ١٩٧٢م، ص١٢٠؛ ابن الاحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الخزرجي (٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، بيوتات فاس الكبرى، تحقيق: دار المنصور للوراقة- الرباط- المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- المغرب، ١٩٧٢م، ص٢٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٢.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نلقي نظرة شاملة على أهمها بحسب ما أوردته المصادر التاريخية وكتب الجغرافيا والرحلة، وانفرد ابن حوقل بإضافته بطون لصنهاجة منها: وهم انكيتو، وبنو ماركسن، وبنو كاردميت، وبنو سيغيت صالح، وبنو مسوفا، وبنو وارت، وبنو توتك، وسرطه، وسططه، وترجه، ومداسه، وبنو لموتونا، ومغرسه، ومومنه، وفريّه، وملوانه، وانيكارت، فهذه قبائل صنهاجة الخلّص(١)، بل زاد على ذلك بني تانماك ملوك تادمكة(٢)، وهندزه، ومكيته، وكلماته، وانكرياغن، وكركه، وايللغموتن، وكطوطاوه، وسكره، وبلغلاغه، واندیمن، وهاكته، وانمزيرن، وايمزواغن، وكيلتموتى، وكيلمكزن، وكيلفروك، وفداله، وكلساندت، وكيل دفر، وبنو بزار، وايمكدرن، وايكوفان، وانككلن، وايسطافن، وايفكرن(٣).

وزاد في ذلك ابن حوقل روايتين عن صنهاجة أولهما: تجعل من صنهاجة المنحدرين من أُمهات سود زنجيات من السودان أبيضّت أبشارهم وألوانهم لقربهم إلى الشمال وبعدهم عن أرض كوكو(٤)، وهم لأُمّاتهم من ولد حام واستند إلى روايته على الكندي، الذي يعتقد أن البيض الذين يعيشون بأرض السودان إذا تناسلوا لسبعة أجيال يصبحون سودان بسوادهم وعلى العكس من ذلك فأن السودان الذين يعيشون في بلاد البيض لسبعة أجيال عادوا في صورتهم وخلقهم من البياض والنقاء(٥)، إلا أنه شكك في مصداقية هذه الرواية من الناحية العلمية، ويحكم عليها بالبطلان بقوله: "وليس بمثل هذه الدعاوى يتكلم على الأنساب"(٦).

---

(١) صورة الأرض، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) مدينة في بلاد السودان كبيرة بين الجبال والشعاب وهى أشبه البلاد بمكّة شرفها الله وزادها تشريفاً وتعظيماً، ومعنى تاد عندهم هيئة، إذ أنّها على هيئة مكّة، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وعرة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢/٨٨٠-٨٨٣؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص٢٢٣-٢٢٦؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨-١٢٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٥.

(٤) مدينة كبيرة مشهورة الذكر على النيل من بلاد السودان واقعة على خط الأستواء من الإقليم الأول عرضها عشر درج وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به، وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه يشرب اهلها، ولباسهم الجلود يسترون بها عوراتهم. ينظر: المهلبي، الحسن بن احمد (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر-دمشق، ٢٠٠٦م، ص٥٥؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراف الآفاق، ١/٢٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٩٥؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ص١٥٦-١٥٧.

(٥) صورة الأرض، ص١٠٥.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٥.

أما الرواية الثانية: أن بني تانماك ملوك تادمكة والقبائل التابعة لهم من أصل صنهاجي، ويقرون بأن تماكيزت، ومساطة، تابعين لاسرة بلقين يوسف بن زيري خليفة بني عبيد في المغرب(١).

ومن القبائل الخارجة من صلب صنهاجة: هم بنو عمر زيري وقبيلته يسّوه، وايفرين، وايمكيتن وايتوتين، وايتروين، وايوازين، واسواله، وبني كسيله، وبني ورتاف، وايزقارن، وتلكاته، وسيّد ملوك تادمكه بن الفاره، واياناو بن سبنزاك، وهم الولاة وفيهم رياسة وعلم وفقه وسياسة الى علم بالسير واضطلاع بالأثر والخبر وهم بنو تانماك(٢)، وذكر الادريسي أن قوماً من صنهاجة يقال لهم آملو، كانوا يسكنون شرقي تادلة أيضاً(٣) في جبل النازلي إلى داي(٤)(٥).

فضلاً عن ذلك صنف ابن خلدون طبقات صنهاجة بحسب الظهور التاريخي إلى ثلاث طبقات الطبقة الأولى: وتمثلها قبيلة تلكاتة بإفريقية والمغرب الأوسط، والطبقة الثانية: ويتزعمها بطن لمتونة بقلب الصحراء وتعرف بـ "صنهاجة الجنوب"، أما الطبقة الثالثة: فتعرف بـ "صناكة" وانتشرت بطونها شمال المغرب الأقصى، وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام صنهاجة البز، وصنهاجة العز، وصنهاجة الذل(٦).

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٥.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٥.

(٣) مدينة بجبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس، مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول، بنى الملثمون فيها حصناً منيعاً، وفيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراف الآفاق، ٢٤١/١-٢٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٧.

(٤) أرض في المغرب، بينها وبين أغمات أربعة أيام وبين داي وتادلى مرحلة، وداي في أسفل جبل خارج من جبل درن، وفيها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس في أقطار الأرض ولونه إلى البياض، ويدخل في لحام الفضة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٤١/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣١.

(٥) نزهة المشتاق، ٢٤٢/١.

(٦) ابن خلدون، العبر، ٢٠٢/٦؛ ابن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية- الرباط-المغرب، ١٩٦٨م، ٣٢٩/١.

الطبقة الأولى/ وتمثلها قبيلة تلكاتة بإفريقية والمغرب الأوسط:

اولاً/ بلكانـة (تلكاتة):

أكبر بطون صنهاجة، من ولد بلكان بن كرت بن صنهاج الاكبر، وكانت لهم الزعامة على سائر بطون صنهاجة ملوك إفريقية والأندلس، كما للمتونة سلطة على سائر فروع الملثمين ملوك المغرب الاوسط المسمون بالمرابطين(١).

ولعل أعظم فروع بلكانة(٢) بنو مناد بن منقوش، وذكر ذلك النويري بقوله: "وأول من دخل منهم بلاد المغرب المثنى بن المسور، وكان سبب دخوله أنه لما رأى الحبشة قد غلبت على اليمن وأخرجت حمير عن ملكها، سار إلى الشّحر فوجَد بها كاهناً من حمير، فلما رأى المثنى، سلّم عليه وسأله عن خبره وما الذى أتى به، فأعلمه أن الحبشة غلبتهم على ملكهم، فقال له الكاهن: اذهب إلى المغرب واتخذه قرارا، فو الله، ليكونن لولدك فيه شأن، وليملّكن منهم جماعة، ويتوارثونه، ويطول ملكهم"(٣).

من خلال الرواية تبين وفودهم على المنطقة بعد أن هزم ملوك حمير أمام الأحباش، بتحفيز من كاهن أخبرهم بأنه سوف يدرك ولدهم ملكاً عظيماً فاختاروا المغرب الأوسط وإفريقية مستقراً لهم.

مما يفهم أن قبيلة تلكاته، التي تولت حكم افريقية، والمغرب الاوسط، نيابة عن الفاطميين وهم من أهل المدر فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط، وكانوا بمثابة الدرع الواقي، الذي تصدى للقبائل الزناتية، المستميتة في قتال الفاطميين وتدرجت تلكاتة الصنهاجية من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة، أصبح أعيانهم قادة، وأُمراء، في ظل الدولة الفاطمية، بعدها أضحوا ولاةً وحكاماً في الأقطار، ثم انتهى بهم إلى الاستبداد والسلطان المطلق(٤).

---

(١) ابن خلدون، العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٢) ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الأربلي(ت: ٦٣٧هـ)، تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام- دار الرشيد للنشر- العراق، ١٩٨٠م، ٦٩٢/٢.

(٣) نهاية الارب في فنون الادب، ١٥٧/٢٤.

(٤) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٠/٢-٨١.

ثانياً/ مزغنة:

عرفت لدى بعض الرحالة والجغرافيين بـ " مزغنى" أو " مزغناي " أو "مزغنا" أو " مزغنان "[١]، وهي من أشهر بطون صنهاجة بالمغرب الأوسط ، تمتد أراضيها من غربي حمزة إلى غرب الجزائر قبل تأسيسها، التي اقترن اسمها فيما بعد بهذه القبيلة "جزائر بني مزغنة"، مدينة عامرة يحيط بها ماء البحر من ثلاثة جوانب، ويحفّ بها طوائف من البربر وهي كثيرة الخصب والسعة على ما تكون عليه المدن[٢]، وبقيت إحدى بطونها مندمجة في قبيلة سليمان تحمل نفس الاسم، وتنتشر بقاياها إلى الآن على العدوة اليمنى لوادي يسر[٣].

وذكر الادريسي أن جزائر بني مزغنا على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون وآبار على البحر عذبة، وهي عامرة بأهلها وتجاراتها مربحة، وأسواقها قائمة، وصناعاتها نافقة ولها بادية كبيرة وجبال، إذ سكنها قبائل من البربر ولهم حرمة مانعة وزراعتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيراً لذلك العسل والسمن كثير في بلدهم وربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم[٤].

ثالثاً/ لمدونة (لمدية)

ويسميها ابن خلدون"لمدونة"[٥]، او المدية[٦] وهي من أشهر بطون صنهاجة المغرب الأوسط، إذ إذ أن بأرض لمدونة اختطّ الأمير بلقين بن زيزي البلكاني مدينة حملت نفس اسم القبيلة[٧]، وجعلها همزة وصل بين أشير وجزائر بني مزغنة، وقاعدة لمراقبة تحركات القبائل المجاورة[٨].

---

(١) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت: حوالي ٣٨٠ هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، ليدن دار الصادر– بيروت و مكتبة مدبولي– القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٨؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٣/٦.

(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٨؛ مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٩، و ١٨١.

(٣) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٥/٢.

(٤) نزهة المشتاق، ٢٥٨/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٦٣.

(٥) العبر، ٢٠٤/٦.

(٦) ابن خلدون، العبر، ٢٣١/٦.

(٧) ابن خلدون، العبر، ٢٠٤/٦و ٢١٠/٧.

(٨) البكري، المسالك والممالك، ٧٣٢/٢.

رابعاً/ زناكة: كما يطلق عليها إيزناكن، وإيصنهاكن، وينتشرون في المغرب الأوسط، والمغرب الاقصى(١).

خامساً/ بطيوة:

وتعرف بـ (بطوية) أيضاً، وهي قبيلة شهيرة كان موطن جمهورها بالمغرب الأقصى في إقليم الريف، ومن بقاياهم بالمغرب الأوسط فرقة تقيم قرب أرزيو غرب وهران(٢) تحمل اسم القبيلة نفسها(٣)، وكانت بطوية تشتمل على ثلاث بطون كبيرة منها: بنو ورياغل، وبقوية، وأولاد علي(٤)، وكما ذكر البكري البكري وجود رباط بأحواز صفاقس(٥)يعرف بـ (محرس بطوية)، إذ أن هناك أوزاعاً منهم إنتقلت إلى إفريقية(٦).

سادساً/ متنان:

من فروع صنهاجة بالمغرب الأوسط، التي تركزت مواطنهم الأصلية حول عين بسام(٧)، على وادي السفلات أحد روافد وادي يسر، كما أشار البكري إلى فرقة منهم إستقرت بين طنجة وسبتة(٨)(٩).

(١) بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ٨٤/٢.

(٢) مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر وأكثر أهلها تجار، فهي حصينة ذات مياه سائحة وبساتين. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٣٨/٢.

(٣) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٠/١.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٢٧٤/٦.

(٥) صفاقس مدينة بإفريقية، بينها وبين قفصة ثلاثة أيام، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة، وذات اسوار حصينة وعلى أبوابها أبوابها صفائح حديد منيعة، وجل غلاته الزيتون. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٦٦٨/٢-٦٧٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٨٠/١-٢٨١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٦٥.

(٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتب الاسلامي- القاهرة، د.ت، ص٢٠.

(٧) مدينة طيّبة فيها بيوت منقورة في صخرة صمّاء ثلاثمائة ذراع في مثلها، ارضها خصبة كثيرة الخيرات. ينظر: البكري، البكري، المسالك والممالك، ٣٦٤/١.

(٨) وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر، ضاربة في البحر داخلة فيه، تقابل جزيرة الأندلس، مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٧٩/٢-٧٨١.

(٩) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٠٨؛ ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٢/١.

سابعاً/ بنو خليل[١]:

اشتهروا أيضا "ببني خليلي"، وتوجد بقاياهم بين بجاية (وتيزي وزو)[٢] بالمغرب الأوسط[٣]، كما كما أضاف الإدريسي إليهم بطن يقطن جبال الونشريس تحت اسم "بنو أبي خليلي"[٤].

ثامناً/ صنهاجة:

هناك العديد من بطون صنهاجة، بقيت محافظة على الاسم الجامع العام للقبيلة، منهم الجزء الذي يقطن على ضفة الوادي الكبير بين بونة[٥] وسكيكدة شرق المغرب الأوسط، وجزء منهم على وادي يسر[٦] جنوب شرقي جزائر بني مزغنة[٧].

تاسعاً/ انجفة:

وتعد من أكثر بطون صنهاجة بالمغرب التي يقال لها: هنجافة، وتنسب إلى سكان السهوب، كما تعد من سكان الجبال من فروعها: بنو مزوارت، وبنو سليب، الذين تركزوا بأحواز بونة شرق المغرب الأوسط[٨]، وكذلك انبثقت منها سطة من شعب صنهاجة بشمال اقليم فاس[٩][١٠].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ٢٠٣/٦.

(٢) لم اجد لهما ترجمة.

(٣) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣١/١.

(٤) نزهة المشتاق، ٢٥٣/١.

(٥) مدينة بساحل إفريقية جليلة عامرة على البحر بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغنّاي، وهي مدينة حصينة كثيرة الرّخص والفواكه والبساتين القرينة. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣١؛ البكري، المسالك والممالك، ٧١٧/٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٢٩١/١؛ الحازمي، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر– الرياض، ١٩٩٤م، ص١٤٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٥.

(٦) لم اجد له ترجمة.

(٧) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٣/١.

(٨) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٣/١.

(٩) مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قبل أن تختطّ مرّاكش، وفاس مختطّة بين ثنيّتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه على نهر كبير يسمى وادي فاس. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٩٥/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٤٢/١، ٢٤٦–٢٤٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٣٤.

(١٠) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣١٦/١، و ٣٣٤.

عاشراً/ وانوغة:

تعرف أيضا بـ "أنوغة" بحذف الواو، وإليها تنسب جبال "وانوغة" بالقرب من سور الغزلان، وتوجد بقاياها قرب مدينة الجزائر مندرجين في عدة قبائل، كقبيلة بني مكلا قرب وادي يسر شرق مدينة الجزائر[١].

حادي عشر/بنو حميد:

لم تبق آثارهم سوى جنوب شرقي جزائر بني مزغنة مندمجين ضمن قبيلة يسر الغربي، أو ضمن بطون بني عثمان[٢].

ثاني عشر/ بنو سليب: تركزت مواطنهم الأصلية بأحواز بونة شرق المغرب الأوسط[٣].

ثالث عشر/ بنو عمران:

من بطون صنهاجة المشهورة في بالمغرب الأوسط توجد منهم خمسة بطون تقيم جميعها شرق المنطقة ، منهم بنو عمران الساكنون في الساحل على العدوة الغربية لوادي يداس[٤] على بعد ١٨ كم الى الى الشمال الغربي من بجاية، واستقرت فرقة منهم قرب برج منايل وتيزي وزو شرق بني مزغنة، وسكنت فرقة أخرى منطقة الأربعاء قرب وادي يسر، كما وجدت أوزاع لبني عمران السفلية قرب مرسى جيجل، إلى جانب بني عمران الجبالة[٥].

رابع عشر/ بنو دركون[٦]:

يطلق عليهم بني دركول أيضاً، منهم فرقة مستقرة في ناحية أُزْمُورَةُ[٧] بالقرب من مدينة غليزان من المغرب الأوسط، وبطون مندرجة في بعض القبائل الصنهاجية بشمال المغرب الأقصى[١].

---

(١) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٥/١؛ لقبال، موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ١٩٧٩م، ص٩٠.

(٢) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٤/١.

(٣) ابن خلدون، ا العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٤) لم اجد له ترجمة

(٥) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٤/١.

(٦) ابن خلدون، العبر، ٢٧٥/٦.

(٧) بلد بالمغرب في جبال البربر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٦٩/١.

خامس عشر/ بنو زروال:

كانت مواطن بني زروال من صنهاجة جبل سريف[٢]، وذكر ابن منصور أن مواطن جمهورهم على مشارف وادي ورغة[٣] شمال إقليم فاس وبطن مندمج في قبيلة بني ستيتين في الجنوب الغربي للمغرب الاوسط[٤].

سادس عشر/ بنو حبر الصنهاجيين:

وقد أورد طه حول سكن بنو حبر الصنهاجيين وتجمعهم في بلكونة(Porcuna)[٥]، التي تعدّ من القرى الصغيرة بالقرب من مارتوس(Martos)، الواقعة إلى الجنوب من الطريق بين قرطبة وجيان(Jaen)[٦][٧].

سابع عشر/ بنو برزال الصنهاجيون: وكانوا يملكون مالقة والجزيرة وغرناطة في الأندلس[٨].

---

(١) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣١/١.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٢٧٥/٦.

(٣) وهو وادي كبير يصب فيه نهر مشهور من أنهار المغرب يسمى ورغة وعلى جانبيه العمائر المتصلة وفيه مدينة كبيرة اسسها الملثمون من صنهاجة، على وادي ورغة، كثيرة الزرع والضرع. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٦٤/٢.

(٤) قبائل المغرب، ٣٣١/١.

(٥) مدينة بالأندلس، على جبل كثيرة الأشجار ومزارع الكروم والتين والزيتون، شربهم من اعين كثيرة، تبعد أربعين ميلا من قرطبة، قد خرب حصنها لكنها منيعة بالجبل وفيها اثنتا عشرة عيناً .ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٨، ٢٢٣، و ٢٣٤.

(٦) مدينة مشهورة بالأندلس، لها كورة واسعة تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف (الشمال) في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، وبينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخيرات واللحوم والعسل. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢-٥٦٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣-١٨٤.

(٧) عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ط١، دار المدار الاسلامي- ليبيا، ٢٠٠٤م، ص٢٦٧.

(٨) المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠٠٦م، ص٦١، و ٧٤؛ ابن خلدون العبر، ٧٣/٧.

الطبقة الثانية: يتزعمها بطن لمتونة بقلب الصحراء وتعرف بـ (صنهاجة الجنوب):

أما صنهاجة الجنوب فتنتشر في الصحراء الافريقية، من بداية الرمال إلى التخوم الداخلية للصحراء الأفريقية، على امتدادها الجغرافي من وادي النيل شرقاً، إلى المحيط الاطلسي غرباً، وهو ما يعبر عنه بصنهاجة ما بين الحبشة والزنج(١)، إذ قام ابن منصور بتحديد هذا الإقليم من الصحراء الكبرى، بداية من غدامس(٢) إلى البحر المحيط وبلاد السودان بأقصى الجنوب(٣).

وذكر ابن خلدون بطونهم التي تضرب منطقة الأطلس الأوسط بدقة متناهية مفادها أن هذه الطبقة ليس فيها ملك، وهم لهذا العهد أوفر قبائل المغرب، فمنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبال درن(٤) ما بين تازا(٥) وتادلا(٦)، ومعدن بني فازان، إذ الثنيّة المفضية إلى آكرسلوين(٧) من بلاد النخل النخل

(١) القاسمي، هاشم العلوي، مجتمع المغرب الاقصى حتى منتصف القرن الربع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية–المملكة المغربية، ١٩٩٥م، ١٠١/٢.

(٢) مدينة لطيفة بالمغرب ثم في جنوبيّه ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون، وفي وسطها عين أزليّة وعليها أثر بنيان بنيان عجيب روميّ يفيض الماء فيها ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه، كثيرة النخل والمياه. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٨١/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٧.

(٣) قبائل المغرب، ٣٢٩/١.

(٤) جبل من جبال البربر في المغرب الممتدة من تونس والجزائر إلى المغرب الأقصى في حوالي ٢٥٠٠٠ كيلو متراً ويتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠٠– ٤٥٠٠ م ونظراً لضخامتها أطلق عليها البربر اسم جبال (درن) أي جبل الجبال، وهو جبل معترض في الصحراء وهو فاصل بين الصحراء والسّاحل. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٢٣٨/١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٢٩/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٤–٢٣٥.

(٥) مدينة من بلاد المغرب، ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول، وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة، حصينة كثيرة التين والأعناب والفواكه. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٩٩/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٨٣.

(٦) هي مدينة قديمة بين جبال صنهاجة وفي غربيها جبل درن ممتد من البحر المحيط، وتادلا بين مراكش وبين أعمال فاس من المغرب الأقصى. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٠٠؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ١٣٤–١٣٥.

(٧) آكرسلوين مدينة بناحية سجلماسة، إذ تبتدأ مواطن الزناكة أو صنهاجة الجنوب. ينظر: ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٢٢/١.

سجلماسة[١]، ومقصد تلك الثنية من بلادهم في المغرب من جبال درن، ثم اعتمروا قنن تلك الجبال وشواهقها، وتنعطف مواطنهم في تلك الثنية إلى ناحية القبلة (الجنوب) إلى أن ينتهي إلى آكرسلوين[٢].

أولاً/ لمتونة:

تنسب إلى أولاد لمت، وعرفوا بكثرة ترحالهم، إذ ذكر مؤلف مجهول (ت: حوالي ق ٨ الهجري/ق١٤ الميلادي)، بقوله: "وهم ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون اليها"[٣]، إذ استقرت لمتونة في المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي حتى رأس بوجادور، والى الشرق من وادي نول[٤] تقع مدينة ازكي[٥] على مسيرة سبعة أيام من هذا الوادي، وهي حصن لمتونة ومعقلها[٦]، وكما تتوغل لمتونة في الصحراء الشرقية حتى تصل إلى الطريق الرابط بين غانة[٧]، وسجلماسة[٨]، ومن أفخاذها: بنو زمال، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وبنو ورتنطق[١].

---

(١) مدينة سهلية في صحراء المغرب، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، على نهر يقال له زيز وبينها وبين البحر عدة مراحل وأهلها أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة، كثيرة الخضر والجنات. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٣١؛ البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١، و ٨٣٥/٢-٨٤١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٢٢٥/١-٢٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٥-٣٠٧.

(٢) العبر، ٢٧٣/٦.

(٣) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمانة، ط١، دار الرشاد الحديثة- القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٧.

(٤) وادي من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، بينه وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنه إلى البحر ثلاثة أيام، وبينه وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة، وهو نهر كبير يصب في البحر المحيط، وعلى جانبيه العمائر والبساتين الكثيرة المتصلة والفواكه والأعناب، وفيه قبائل جزولة ولمطة ولمتونة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٦٢/٢، و٧٥٣-٧٥٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٢٤/١-٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨٤.

(٥) مدينة بالمغرب من بلاد مسوفة ولمطة وهي أول مراقي الصحراء ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ومنها إلى نول سبع مراحل وهذه المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٢٥/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨.

(٦) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٦٣-١٦٧.

(٧) مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وهي اكبر بلاد السودان قطراً، واكثرها خلقاً، واوسعها متجراً. ينظر: ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٣٧/٢، و ٨٧١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٢٣/١-٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٥-٤٢٧.

(٨) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤٥.

ثانياً/ بنو وارث:

يعرفون باسمهم البربري "بني وارثن" أيضاً، مواطنهم الأصلية بناحية بجاية بقرية تعرف بإسمهم "آيت وارث وأعلي"[٢]، كما عثر على أحد فروعها بين تامدلت[٣] وأوداغست[٤]، في الطريق بين درعة[٥] والصحراء مندمجين في قبائل صنهاجة الجنوب[٦].

ثالثاً/ لمطة:

يقال: إن أمها هي أم جزولة نفسها، من فروعها: زكن، ولخس، ثم نسبت إلى قبيلة ذوي حسّان الهلالية، ومنهم من بقيت في أعماق الصحراء بين الملثمين من صنهاجة، ومنهم من تواجد في السهوب الجنوبية لتلمسان[٧] وافريقية، ومنهم من وجد بجبل مدينة زالغ[٨] المشرف على فاس[٩].

---

(١) لقبال، دور كتامة، ص٨٧-٨٨.

(٢) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٥/١.

(٣) مدينة من بلاد المغرب شرقي لمطة، في مضيق جبلين على رأس النهر وبينها وبين درعة مسيرة ستة أيام في عمارة متصلة، وعليها اسوار حصينة واسواق عامرة، وارضها خصبة كثيرة البساتين والحنطة والشعير، وفيها معدن فضّة غزير كثير المادّة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٥٥/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨.

(٤) مدينة بين جبلين في قلب البحر، جنوبي مدينة سجلماسة، مدينة لطيفة اشبه بلاد الله بمكة ذات مناخ حارة وأمطارها في الصيف، يزرعون على أرضها الحنطة والدّخن والذرة واللوبيا. ينظر: المهلبي، المسالك والممالك، ص٤٥-٤٦؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٤٨/٢-٨٥٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ١٠٨/١.

(٥) مدينة كبيرة كثيرة الاهل وفيها معدن فضّة بالمغرب من جنوب الغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، وعرف درعة بواديها فإنه نهر كبير يجرى من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن. ينظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن- بيروت، ١٨٨٩م، ص٨٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٤٥/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٢٦/١-٢٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٥.

(٦) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٥٦-١٥٧.

(٧) قاعدة المغرب الأوسط، مدينة مسوّرة في سفح جبل شجره الجوز، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمّام وباب وهب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرّة، وفيها آثار للأوّل قديمة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٤٥/٢-٧٤٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٤٨/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٣٥.

(٨) مدينة مشهوره من مدن الحبشة مطلة على ساحل البحر المالح المتصل بالقلزم نحو من أربع عشرة مرحلة، وأهلها مسلمون، ومدينة زالغ صغيرة القطر كثيرة الناس. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٩٤/٢؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٩٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٤٤/١-٤٥.

(٩) ابن خلدون، العبر، ٢٧٠/٦-٢٧١.

رابعاً/ جزولة:

ضمن التجمعات الكبرى لصنهاجة الجنوب، مارست الضعن والترحال في الصحراء بين افريقية وصحراء أودغست، ومجال انتشارها إلى منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، شرق مواطن لمطة، ويمتد انتشارها شمالاً إلى الأطلس الصغير وحوض نهر درعة[١] ثم مالا إلى سهل سوس حيث منطقة تزنيت[٢].

خامساً/ مسوفة:

هم من أهل الوبر وأُشتهروا بالترحال والتنقل في أعماق الصحراء القاحلة المجدبة[٣]، وكانت مساكن الملثمين التي تنتشر بين سجلماسة في الشمال، وادغشت في الجنوب، وبناحيتها معدن الذهب الجيد، متمركزة في هذا النطاق شرق الانتشار اللمطي والجزولي، وكانت بعض بطونها توغل شرقاً حتى تصل إلى تادمكة وكوكو[٤]، وتعدّ من أكبر التجمعات الصنهاجية[٥]، وكانت مسوفة تسيطر على التجارة التجارة المارة بين بلد السودان وسجلماسة إلى فاس، وأورد ابن حوقل نصاً قال فيه: "وكانوا يملكون تلك الطرق حيث كانت لديهم المعرفة بأوضاع البرّ وأشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة ولهم الحسّن الذي لا يدانيه في الدلالة إلّا من قاربهم وسعى سعيهم، والاستدلال في الظلام والليل البهيم بغير نجوم ... ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كلّ جمل وحمل ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم"[٦].

---

(١) وهو نهر عظيم في المغرب (بلاد السوس الأقصى) ينصبّ في بحر نول في البحر المحيط وعلى جانبيه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار والأعناب وقصب السكر. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨.

(٢) القاسمي، مجتمع المغرب الاقصى، ٢١٠/٢.

(٣) دندش، عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الاسلام غرب افريقيا (٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م)، تحقيق: أبي بكر بن العربي، ط١، دار الغرب الاسلامي- بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢-٣٤.

(٤) البكري، المغرب في بلاد افريقية والمغرب، ص١٨١؛ شيخ الربوة الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب(٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، اعتنى بطبعه العلامة مهرن والعلامة فراين، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية-بطرسبورغ-روسيا، ١٨٦٤م، ص٢٣٨-٢٣٩؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص٤٦.

(٥) القاسمي، مجتمع المغرب الاقصى، ٢١٠/٢.

(٦) صورة الارض، ١٠١/١-١٠٢.

الطبقة الثالثة/ فتعرف بـ "صناكة" وانتشرت بطونها شمال المغرب الأقصى:

وينتشر هؤلاء إلى الغرب من آكرسلوين، ثَم إلى درعة ومِنْ ثَمَّ إلى ضواحي السوس الأقصى، وأمصاره من تارودانت وأيفري إلى فوتان وغيرها، ويعرف هؤلاء كلهم باسم صناكة حرفت إليها من اسم صنهاجة(١)، وكذا صنهاجة الريف التي تتوغل عناصرها في شمال المغرب الأقصى(٢)، وكانوا يتوزعون بين نهر كرط وبلاد غمارة والبحر المتوسط بالمغرب الاقصى(٣)، وينقسم بدوره إلى عدة أقسام.

أ- صنهاجة البزّ الذين يستوطنون في هضاب وأودية وبسائط ويسكنون بيوت الحجارة والطين مثل: فشتالة ووسطه، وبنو ورياكل، وبنو حميد، وبنو مز جلدة، وبنو عمران، وبنو دركون وورتزر ولواتة، وبني وامرد، ومواطن هؤلاء كلّهم بورغة، وأمركو(٤)، يحترفون بالحياكة والحراثة، وهم في عداد القبائل المغارمة ولغتهم في الأكثر عربية(٥)، وأضاف إليهم ابن منصور: أنوغة او وأنوغة، بجاية، تاركة، جزولة، بنو جعد، بنو خليل، الزناكة، زغاوة، لمدية، لمطة، متنان، مزغنة، مليانة، هنجافة، هسكورة، وتريكة، ورتنطق(٦)، وكذلك وكذلك تازكاغت وكاكدم(٧)، وتادمكه ومن بطونها سغمارة(٨).

ب- صنهاجة العز: إذ تتصل بجبل غمارة(٩)، من ناحيتهم جبل سريف موطن بني زروال من صنهاجة وبني مغالة لا يحترفون بمعاش ويسمّون صنهاجة العزّ لما اقتضته منعة جبالهم الوعرة عن أداء الضرائب(١٠).

---

(١) العبر، ٦/٢٧٣.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٩.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٢، ابن منصور، قبائل المغرب، ١/٣٢٩.

(٤) لم اجد لها ترجمة.

(٥) العبر، ٦/٢٧٤-٢٧٥.

(٦) قبائل المغرب، ١/٣٣٠-٣٣٥.

(٧) شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر، ص ٢٣٨.

(٨) البكري، المغرب في بلاد افريقية والمغرب، ص١٨١؛ شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٣٩.

(٩) وجبل غمارة من أخصب جبال المغرب، يسكنه قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تحصى، وفى هذا الجبل بسائط كثيرة كثيرة لا تحصى للحرث، ومدن قديمة، وآثار كثيرة للأوائل، وهو كثير العمارة تشقه الأنهار والمياه السائحة، كثير الأعناب والفواكه والعسل والضرع. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٩٠.

(١٠) ابن خلدون، العبر، ٦/٢٧٥؛ ابن منصور، قبائل المغرب، ١/٣٢٩.

ت- صنهاجة الذلّ: لأنها تكون تحت طاعة الحكومة وتؤدي الضرائب لهم وتنفر عند الاستنفار[١].

ث- صنهاجة القبلة: (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة[٢]، حيث الشمس الساطعة)، ومنها ملواقة تسمى ملوانة وتعرف أيضاً بـ "إيملوان" بالبربرية، وهي من أكبر بطون صنهاجة القبلة (الجنوب)، وتتركز مواطن جمهورهم في المغرب الأقصى بإقليمي الرباط[٣] وورزازات[٤]، ومنهم أوزاع أوزاع بالمغرب الأوسط، ومازالت الحمامات المعدنية التي اشتهرت بها بلادهم تحمل الاسم نفسه على بعد ٤٥ كم جنوب جزائر بني مزغنة[٥].

ج- وصنهاجة الظل: (أي: أهل الجبال حيث الظلال).

ح- صنهاجة غذو: وأفراد هذه القبيلة يتواجدون في شمال أقليم تازة بالمغرب الأقصى[٦].

خ- صنهاجة مصباح: وأفراد هذه القبيلة متواجدون في شمال اقليم فاس، بالمغرب الأقصى، ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل[٧].

د- صنهاجة الشمس[٨].

ذ- صنهاجة السراير: هي قبيلة كبيرة، تنتشر أحياؤها بإقليم الحسيمة في المغرب الأقصى، ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة هم: بنو أحمد، وبنو نشير، وبنو بو شيبت، وبنو تغزوت، وبنو خنوس، وبنو زقت، وبنو سدات[٩].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ٢٧٥/٦؛ ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٢٩/١.

(٢) هو وادي بالمغرب بينه وبين سجلماسة خمسة أيام، وعليه الطريق في الصحراء إلى بلاد السودان. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٣٧/٢، و ٨٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦.

(٣) مدينة كبيرة أسسها في الأزمنة الحديثة المنصور ملك مراكش وخليفتها، ويمر على طولها من جهة الشرق نهر أبي رقراق، الذي يصب في البحر، تشبه هذه المينة مراكش في اسوارها وابنيتها، لأنها بنيت من قبل المنصور لنفس الغرض. ينظر: ليون الافريقي، وصف افريقيا، ٢٠١/١.

(٤) هي بلد هسكورة، تقع بالمغرب قرب وادي درعة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٤٢/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٩.

(٥) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٣/١.

(٦) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٥/٢.

(٧) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٥/٢.

(٨) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٣/٢-٨٤.

(٩) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٥/٢-٨٦.

ر- بنو مزكلدة: توجد بقية منهم بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى إضافة إلى زغاوة، كدالة، تريكة، وكلهم من أهل اللثام[١].

ز- بنو الغليظ: وبنو دراج قبيلة الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي (Cacella)[٢]، فيمثلون فيمثلون فروعاً من صنهاجة الشمال التي استقرت في الاندلس[٣]، وكان منهم محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان، من ولد ذر بن عيسى بن درّاج، ومنهم ببلكونة يحيى بن ضريس، ومنهم بأشونة (Osuna)[٤] بنو عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد، وهم من ولد ميمون بن أبي جميل، وهو ابن أخت طارق بن زياد، وبنو طاهر بن مناع، من أشونة[٥].

س- جدالة: هي إحدى قبائل صنهاجة، وقد اكسبها موقعها الاستراتيجي أهمية في خط تجارة العبور، إذ امتدت إلى نهر السنغال وكانت مدينة أوليل[٦] مركزها، وتعد هذه المدينة مصدراً للملح الذي يؤخذ إلى إلى السودان[٧].

---

(١) بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ٨٥/٢.

(٢) ذكر أنها حاضرة كورة البيرة، وقيل مدينة في غرب الأندلس على نحر البحر ولها بساتين وغلات شجر التين كثيراً، وقيل قرية من قرى الجزيرة الخضراء، وقيل من اعمال مدينة جيان نسبة إلى جد الشاعر الأندلسي أبو عمر احمد بن دراج. ينظر: ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف القرطبي الأندلسي (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق: اسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب، ١٩٩٠م، ص٧٩؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٢/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٩-٤٨٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة النسب، ص ٥٠١.

(٤) اقليم من كور استجة وعمل قرطبة، وفيه حصون عامرة كالمدن منها لورة واشونة ممدن كثير الساكنة وهو إقليم صغير. ينظر: الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢، و٥٧٢؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٦٠.

(٥) ابن حزم، جمهرة النسب، ص ٥٠٢.

(٦) هي جزيرة في الاقليم الأول من أرض السودان، على مقربة من الساحل، وفيها ملاحة مشهورة، ولا يعلم ملاحة غيرها، غيرها، ومنها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٦٧/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ١٧/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٤.

(٧) حسن، الحضارة الإسلامية، ص٢٩٧-٢٩٨.

ش- مليانة هي من فروع قبيلة صنهاجة الشمال بالمغرب الأوسط، وبأرضها اختط الأمير بلقين بن زيري بأمر من والده زيري بن مناد مدينة جديدة، ونسبها إلى قبيلة مليانة على الضفة الشرقية لوادي شلف(١)، ثم جعلها عاصمة له(٢).

كما توجد بقايا مليانة مندمجة ضمن كثير من قبائل المغربين الأوسط والأقصى، وإليها تنسب مدينة مليانة(٣)، بالمغرب من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات، مشهورة بالحسن والطيب وكثيرة(٤).

ص- بنو جعد: من بطون صنهاجة الشمال الساكنين بالقرب من حمزة وعين بسام شرق بني مزغنة(٥)، وتوجد بقاياهم في عين بسام بنواحي البويرة(٦).

ض- وبني فشتالة يوجد البعض منهم في شمال أقليم فاس بالمغرب الأقصى(٧).

(١) مدينة في المغرب قرب مدينة مليانة على نهر عليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب وفيها أسواق عامرة. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٧؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٣٧/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٥١/٢، و٢٥٣، و ٢٧٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٢٠٤/٦.

(٣) وهي مدينة كبيرة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف من أعمال بجاية، كثيرة الخيرات وافرة الغلات، وتعدّ من أمنع المدن. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ٩٠/١؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٢٥/٢، و ٧٣٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ، ٢٥٣/١؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٥٤٧.

(٤) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٧٣.

(٥) ابن خلدون، العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٦) مدينة عظيمة من مدن الإفرنج، قالوا اولهم من المدن نحو مائة وخمسين مدينة غير العمائر والكور، وقد كانت مملكتهم قبل ظهور الاسلام بإفريقية وصقلية. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١١٧.

(٧) ابن منصور، قبائل المغرب، ٣٣٣/١.

بطون قبيلة صنهاجة

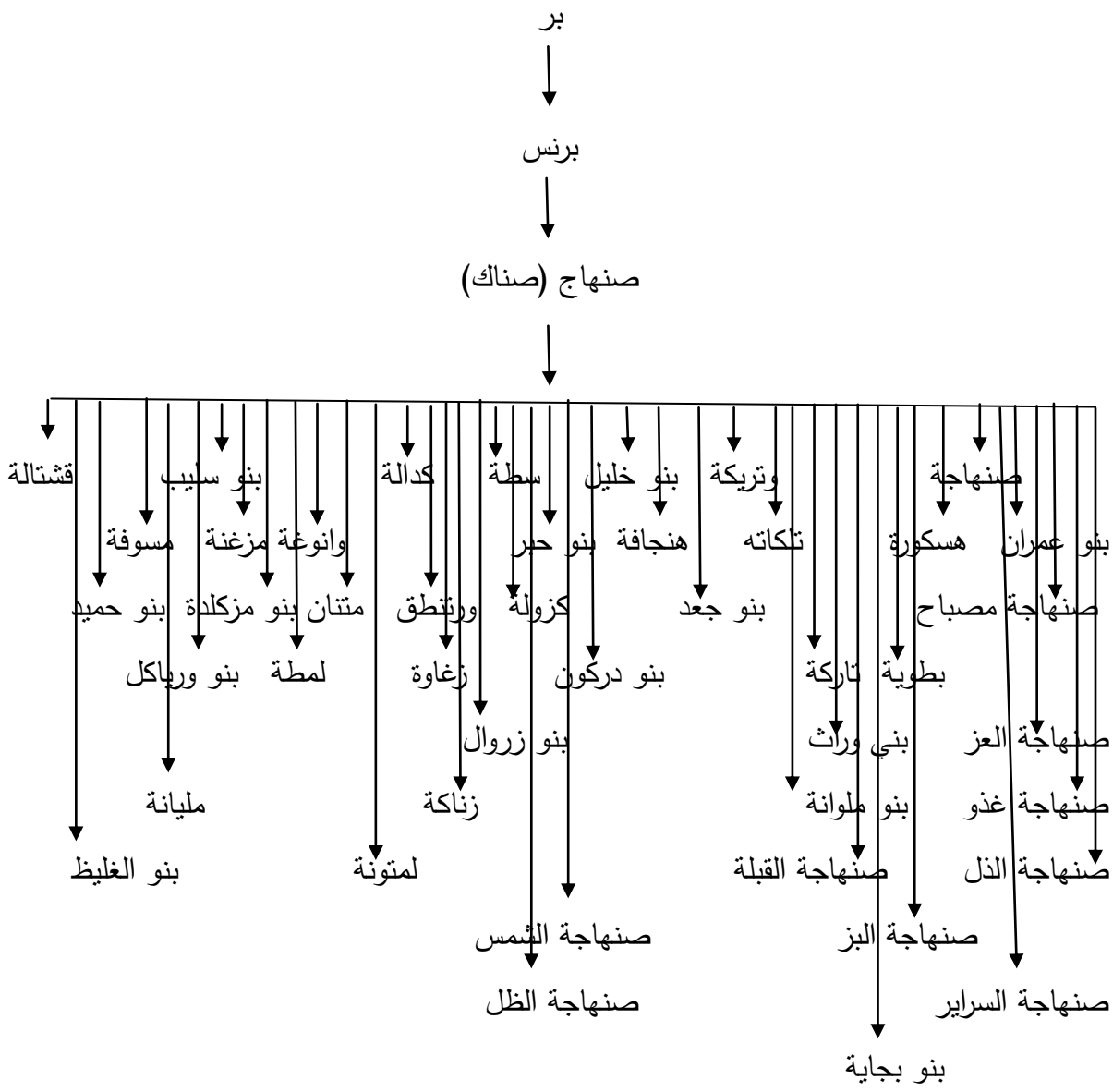

المبحث الرابع/ ديانة قبيلة صنهاجة:

مما لا شك فيه أن للجانب الديني والعقائدي أثراً كبيراً وانعكاساً بارزاً على الحياة الاجتماعية وفي تحديد الكثير من العادات والتقاليد القبلية، إذ نجد الانتشار الواسع لقبائل صنهاجة في كامل بلاد المغرب، كان سبباً في تديّن أفرادها بأكثر من ديانة تبعاً لسكناها، ومدى تأثرها بالمؤثرات الخارجية.

فمن الناحية الدينية وجد القرطاجيون الأوائل عند قبائل البربر إلهاً محليا يعرف بـ إله "آمون" الذي تجاوزت قداسته بلاد البربر، وتطورت عبادته في مصر الفرعونية، إذ اقترن هناك بالشمس، وهو الإله الذي أدمج في قرطاج بالإله الفينيقي "بعل" وتحول إلى "بعل آمون" في كل أرجاء أفريقية، وهذا يجعلنا نستنتج بأنه كان سيد الأرض، وهو إله على شكل كبش، إلا أن المسألة تبدو معقدة، لأنّ الإله آمون أصبح تدريجياً متطابقاً مع الإله آمون – رع المصري وبعل – همون البوني وزوس (Zeus) الإغريقي ثم يوبيتر (Jupiter) الروماني[1].

وأن كلمة آمون (AMN) أو (IMN) المشتقة من كلمة (Amen) وهو الماء والشمس، أما (IMEN) فهي الروح ومنه هذه العناصر الثلاثة المقدسة: الماء، والشمس، والروح، التي شكّلت عناصر الحياة للإله الأكبر لدى البربر[2]، ومِنْ ثَمَّ نستنتج من ذلك أن هناك عملية تأثر وتأثير بين المعتقد البربري، والحضارة القرطاجية (الفينيقية) وبما أن البربر منذ فجر التاريخ ما بين الحضر المستقرين في المدن المعروفين بالبرانس، ومنهم صنهاجة وكتامة الذين يسكنون النواحي الخصبة والسفوح المزروعة، هؤلاء كانوا يعملون بالزراعة والصناعة، نتيجة لاتصالهم بحضارة القرطاجيين، وطائفة البربر البدو المعروفين بالبتر الذين يقيمون في الصحاري والواحات وهؤلاء يعيشون على الرعي وتربية الحيوانات[3]،

---

(١) العربي، عقون محمد، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية–الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٢١٧. ينظر ايضاً: جوليان، شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الاقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي إلى سنة (٧٤٧هـ/١٨٣٠م)، ترجمة: محمد مزالي و البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية– الدار التونسية للنشر، ٢٠١١م، ص٩٨–١٠١.

(٢) العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ص٢٣٥–٢٤٤.

(٣) الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد محمد عزب، ط١، دار الفرجاني للنشر والتوزيع–المغرب، ١٩٩٤م، ص١٩.

وهذا يعني أنهم يعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات، لذلك نجد ديانتهم مرتبطة بالزراعة والرعي قبل كلِّ شيء، وكانت دعواتهم متجهة أساساً إلى وفرة الحقول والمحاصيل وتكاثر القطعان والمواشي(١).

ولهذا نستطيع أن نستنتج ان الديانة تطورت لدى البربر على غرار باقي الحضارات القديمة، ولاسيما الفينيقية (القرطاجية)، إذ عرف البربر مشاعر لم يعرفها الإغريق لمشيئة الرب، وكانت قبائل البربر في المدن أو القرى قد أخذوا عن قرطاجة عبادة الإله بعل الفينيقي، الذي صبغوه بصبغة بربرية كالإله آمون ووضعوه في مرتبة الأولي بين طائفة صغار الآلهة وهي المسمات الماورية (Mauri Dii Mauri) وكلمة الماروية معناها المحلي أو الأهلي غير القابل للاندماج، ولاسيما وأن الآلهة الماورية توصف أحياناً بأنها باربارية (Barbari)(٢).

وذكر البكري أن بعض بربر صنهاجة المقيمين في منطقة جبلية بين أغماس والسوس، كانوا مجوس يعبدون كبشاً(٣)، وكما أورد رواية أخرى أيضاً مفادها أن صنهاجة كانت تدين بالمجوسية، الساكنة في جبل درن المعترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها من بلاد السوس، ويبدو أن سكان تلك المنطقة استهجنوا فعلهم، وعابوا عليهم تصرفهم القبيح وأنكروه، فأخذوا يستترون من السكان، وكان أحدهم لا يدخل السوق إلا مستتراً(٤).

وهناك رواية أخرى عن ابن خلدون يذكرها في الاطار نفسه الذي سلكه قبله البكري: "ان قبيلة لمتونة الصنهاجية فيهم بطون كثيرة منهم: بنو ورتنطق، وبنو زمال، وبنو صولان وبنو ناسجة، وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كأكدم وكان دينهم جميعاً المجوسيّة شأن برابرة المغرب، ولم يزالوا مستقرّين بتلك المجالات حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس، وكانت الرئاسة فيهم للمتونة، واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل"(٥).

---

(١) العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ص٢٣٨-٢٤٣. ينظر ايضاً: ديرنر، دونالد، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: راشد البراوي، دار الجيل للطباعة – مكتبة الوعي العربي للنشر- المغرب، ٢٠٠١م، ص٢٥-٣٠.

(٢) العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ص٢٢٥-٢٢٨.

(٣) المسالك والممالك، ٨٥٣/٢.

(٤) البكري، المسالك والممالك، ٨٥٣/٢.

(٥) العبر، ٢٤١/٦.

وكذلك ذكر في الصدد نفسه أن بعض بربر صنهاجة دانت بالمجوسية، لما دخل عقبة بن نافع الفهري[١] في ولايته الثانية على المغرب سنة (٦٢هـ/٦٨١م) إلى بلاد السوس لقتال من فيها من صنهاجة أهل اللثام، وهم يومئذ على دين المجوسية، ولم يدينوا بالنصرانية[٢].

كانت للمؤثرات الخارجية دوراً بارزاً، ولاسيما تلك القريبة من الساحل بالمغرب الأوسط التي كانت أكثر احتكاكاً بالإفرنجة والروم، والكثير منهم من مارس الشعائر النصرانية خضوعاً للغالب، إذ ذكر ابن خلدون "وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقيال، وأمراؤها لا يرامون بذل، ولا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة... وكانوا يؤدّون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية... وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية، فكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر إفريقية ولم يكن للروم فيها شيء من ولاية، وإنما كان كل من كان منهم بها جنداً للإفرنج ومن حشودهم، وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية فمن باب التغليب؛ لأنّ العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج، وما قاتلوا في الشام إلا الروم، فظنوا أنهم هم الغالبون على أمم النصرانية، فإن هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية"[٣]، وذكر أيضاً "كان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج، وعلى دين النصرانية الّذي اجتمعوا عليه مع الروم"[٤].

وما يؤيد ذلك أن أهل جزائر بني مزغنة من صنهاجة، يمارسون الشعائر النصرانية، إذ قال البكري: "جزائر بني مزغنة مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة للأول وصحن دار الملعب فيها مفروش بحجارة ملونة صغيرة مثل: الفسيفساء فيها صور الحيوان

(١) عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ومن فهر بن مالك ولد قبل وفاة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بسنة واحدة فتح مصر وولي أمر المغرب واختط القيروان في خلافة معاوية بن أبي سفيان وفي سنة (٥٥هـ/٦٧٤م)، عزله معاوية عن ولاية افريقيا فعاد للمشرق، ثم عاد عقبة لولاية المغرب مرة ثانية في خلافة يزيد بن معاوية سنة (٦٢هـ/٦٨١م)، إذ قتل في احدى غزواته والتي تسمى تهودة على البربر في افريقية سنة (٦٣هـ/٦٨٢م). ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق وتقديم: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٢٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٥–٢٢٦؛ ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد الصدفي المصري (ت: ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، تاريخ ابن يونس، ط١، دار الكتب العلمية–بيروت، ٢٠٠٠م، ١/٣٤٩–٣٥٠؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٢٠٠–٢٠٢؛ ابن عذاري البيان المغرب، ١/١٩–٢٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/٢٣٧، ٦/١٤٢.

(٣) العبر، ٦/١٤٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٦/١٤١.

بأحكم عمل لم يغيرها تعاقب القرون... وكانت بها كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق الى الغرب مفصص كثير النقوش والصور..."[١]، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك: "وتنصر الكثير من البربر"[٢]، وإذا ما علمنا أن صنهاجة تمثل ثلث البربر.

وبعد عمليات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، اعتنقت قبيلة صنهاجة الإسلام وهذا ما أكده السلاوي بقوله: "لما افْتتح عقبَة الْمغرب وَنزل على طنجة فحاصرها واستنزل ملكهَا يليان[٣] الغماري وَكَانَ نَصْرَانِيّاً فَنزل على حكمه بعد أَن أعطَاهُ أَمْوَالًا جليلة ثمَّ أَرَادَ عقبَة بن نافع الفهري، اللحاق بالجزيرة الخضراء[٤] من عدوة الأندلس فَقَالَ لَهُ يليان أتترك كفار البربر خَلفك وَتَرْمِي بِنَفْسِك فِي بحبوحة الْهَلَاك مَعَ الفرنج؟ وَيقطع الْبَحْر بَيْنك وَبَين المدد فَقَالَ عقبَة وَأَيْنَ كفار البربر؟ قَالَ بِبِلَاد السوس وهم أهل نجدة وبأس قَالَ عقبَة: وَمَا دينهم؟ قَالَ لَيْسَ لَهُم دين وَلَا يعْرفُونَ إِن الله حق وَإِنَّمَا هم كَالْبَهَائِمِ وَكَانُوا على دين الْمَجُوسِيَّة يَوْمئِذٍ، فَتوجه عقبَة نحوهم فَنزل على مَدِينَة وليلى[٥] بِإِزَاءِ جبل زرهون وَهِي يَوْمئِذٍ من أكبر مدن الْمغرب فِيمَا بَين النهرين العظيمين سبو(Sebou)[٦] وورغة وَهَذِه الْمَدِينَة هِيَ الْمُسَمَّاة فِي لِسَان الْعَامَّة بقصر فِرْعَوْن فافتتحها عقبَة وغنم وسبى ثمَّ توجه إِلَى بِلَاد درعة والسوس فلقتيه جموع البربر

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص٦٦؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٣٢.

(٢) مفاخر البربر، ص١٩٦.

(٣) يدعى يُلْيَان (جوليان، يوليان، وليان، بليان، إليان، جليان) وهو رجل نصراني، حاكم مدينة سبتة وكانت له علاقات طيبة بملك الأندلس الأسبق غيطشة، والذي عمل على تشجيع موسى بن نصير وطارق بن زياد على الفتح، ومعاونة الفاتحين لإنجاز فتح الأندلس لأن لذريق قتل غيطشة واغتصب ابنة يوليان مما اثار غضبه عليه. ينظر: البكري، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢-٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٦/٣، و ٣٩/٤-٤٢؛ البيان عذاري، البيان المغرب، ٤/٢-٧؛ خطاب، محمود شيت، قادة فتح الأندلس، ط١، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، ومنار للنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠٠٣م، ١٤٢/١.

(٤) مدينة متحضرة على ساحل البحر إلى الشرق من جزيرة طريف، لها سور حصين وثلاثة ابواب ودار صناعة داخل المدينة. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٩٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٩/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣.

(٥) مدينة طنجة وتعرف بالبربرية وليلي. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٨٧/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٤/٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٦.

(٦) يسمى أيضاً نهر المعمورة من أعظم أنهار بلاد المغرب قرب طنجة، ومنبعه من جبال الأطلس الوسطى في بلاد بني بني وارتين، ورأس العين، حتى يحاذي فاس من جهة شرقيها وعلى ستة أميال منها ثم يصب في البحر المحيط. ينظر، اليعقوبي، البلدان، ص١٩٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٤٧/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٣٥، و ٦٠٦.

فَاقْتَتَلُوا قتالاً شَدِيداً ثمَّ انْهَزَمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم الْمُسلمُونَ قتلاً ذريعاً وتبعوا آثَارهم إِلَى صحراء لمتونة لَا يلقاهم أحد إِلَّا هزموه"[١].

وهنا يمكننا القول أن معرفة صنهاجة بالإسلام تعود إلى منتصف القرن الأول الهجري/منتصف السابع الميلادي، ويعود الفضل في ذلك إلى الوالي عقبة بن نافع الفهري الذي وصل إلى السوس الأقصى حيث توغل في ديار الملثمين سنة (٦٢هـ/٦٨١م)، الذين ينتشرون في المنطقة الممتدة من جبال درن إلى نهر السنغال وهناك بنى مسجداً في ماسة[٢].

وارجع المستشرق جورج مارسية سبب أسلمت البربر إلى عقبة بن نافع الفهري، لكون أن البربر لم يجدوا سبيلاً إلا إعلان إسلامهم أمام قوة الجيش العربي بقيادة الفهري، الذي أسس مدينة القيروان[٣] سنة (٥٠هـ/٦٧٠م)[٤]، وقد أعدّ الباحث كارل بروكلمان بقوله: أن عقبة هو المؤسس الحقيقي للحكم العربي الإسلامي في أفريقية الشمالية[٥]، ولاسيما كانت هذه المعرفة سطحية بالإسلام، وهي ومِنْ ثَمَّ تحتاج إلى تعميق ذلك الفهم لدى البربر ليحسن، إسلامهم، فقد كانوا حينئذ عناصر جديدة العهد بالإسلام، كما كانوا بحاجة إلى تأليف قلوبهم لتثبيت نفوسهم وترسيخ انتمائهم إلى الدين ولكن سوء معاملة عمرو بن عبد الله المرادي[٦] والي طنجة وما والاها[٧]، وتعسفه في اخضاع صنهاجة الصحراء من السوس الأقصى إلى

(١) الاستقصا، ١٣٨/١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ص ٤٠؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص ١٦٠؛ دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام غرب افريقيا، ص١٦٠.

(٣) وهي من أعظم مدن المغرب وأكثرها بشراً واوسعها أحوالاً وأربحها تجارة وتعد قاعدة بلاد افريقيا. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٨٥-١٩٠؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ٩٦/١-٩٩؛ البكري، المسالك والممالك، ٦٧٥/٢-٦٧٨؛ الحميري، الروض المعطار، س٤٨٦.

(٤) مارسيه، جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة واستخراج النصوص، مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف- الاسكندرية، ١٩٩١م، ص٣٤-٣٥.

(٥) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس و منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٦٨م، ص١٢٧.

(٦) ابو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن مراد الكوفي، احد الأئمة الاعلام محدث ثقة، مات سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م). ينظر: ابن خياط، طبقات ابن خياط، ص٢٧٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٩٦/٥-١٩٩.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦..

مدينة أوداغست[١]، إذ أنه تعدى على الصدقات والعُشر وأراد أن يخمّس مسلمي البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وهذا الأمر لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام[٢]، بل زاد ابن خلدون على ذلك بقوله: "أن عمرو بن عبد الله المرادي كان يطالب مسلمي البربر بجلب الوصائف البربريات..."[٣].

وبيّن ابن عذاري أن البربر دخلوا إلى الإسلام في عهد حسان بن النعمان[٤]، ولاسيما بعد هزيمة الكاهنة وقتلها وكان مع حسّان جماعة من البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفاً يجاهدون مع العرب فأجابوه وأسلموا على يديه في سنة (٨٣هـ/٧٠٢م) وتم عزل حسان من قبل عبد العزيز بن مروان والي مصر وتولية أبي عبد الرحمن موسى بن نصير بدلاً عنه[٥].

إلا أن ابن عذاري تفرد برواية أخرى مفادها أن موسى بن نصير خرج غازياً من أفريقية إلى طنجة، فوجد البربر قد هربوا إلى الغرب خوفاً من العرب، فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم سبياً كثيراً حتى بلغ السوس الأدنى، وهو بلاد درعة فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا، فولى عليهم والياً واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها في سبعة عشر ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر وأمر العرب أن يعلّموا البربر القرآن، وأن يفقهوهم في الدين، ثم مضى موسى قافلاً إلى أفريقية.

ومن الاتهامات التي واجهت البربر بشكل عام التقصير بالواجبات الدينية لكون طبائعهم مائلة عن الحق، إذ أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: "والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشاً وأسرعهم إلى

---

(١) هي مدينة سكانها اخلاط من البربر والمسلمين، والرئاسة فيها كانت لصنهاجة ينظر: ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١١٣.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٤/٤-٢٢٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٣٣٨/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥١/١-٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨/٨.

(٣) العبر، ١٥٦/٦.

(٤) هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر الأزدي الغسانى، من قادة الدولة الأموية وفرسانها، برز اسم حسان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، حيث اشترك في عدة فتوحات في شمال إفريقية في سنة (٧٦هـ/٦٩٥م)، ثم دخل في عدَّة حروب مع البيزنطيين، واستعاد منهم مدينة قرطاجنة، وفي سنة (٨٠هـ/٦٩٨م) وكان حسان محبًّا للعمارة والصناعة، فبنى مسجد القيروان ثم أنشأ دار الصناعة واتخذ منها ترسانة بحرية، صنَّع بها أكثر من سبعمائة سفينة بما يلزمها من معدات حربية، استخدمت في فتح صقلية، وتُوفِّي في سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) في خلافة الوليد بن عبد الملك. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١/ ٣٤-٣٩.

(٥) البيان المغرب، ٣٧/١-٣٩.

الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط، ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسّن لهم الشيطان الغوايات وزيّن لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة وغرائزهم ضد الحق جائلة، فكم من ادّعى فيهم النّبوّة فقبلوا، وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا"(١)، وعلى الشاكلة نفسها اتهم البربر بشدة التهور والفساد والطيش "فأنهم قوم إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا، بل إن قتل الإنسان عندهم كذبح العصفور ... وكم قتيل قُتِل عندهم على كلمة، وهم بالقتل يفتخرون"(٢)، فهم ينظرون للبربر نظرة النكد والشؤم "وهوان الدماء عليهم"(٣).

أضف إلى ذلك ما ذكره ابن حزم وهو من أكثر المؤرخين الأندلسيين المتحاملين على البربر وأشدهم وطأة ونقمة في ذمهم والوصف الشنيع لدرجة أنه يتهمهم بالكفر والزندقة، بقوله: "كفار البربر كانوا أشد كفار، فإنهم أشر كفار، فأنهم ليسوا أهل كتاب، ولا ارتباط لهم بشرع، كذلك مسلموهم، شرار المسلمين وأكثرهم غائلة"(٤)، فأبن حزم في هذا القول قد خرج عن ثوابت الكتابة التاريخية الموضوعية، ولاسيما بعد تحميله البربر مسؤولية الفتنة وتبعاتها كاملة لعنصر البربر من دون غيرهم فكثير ما ترد على لسانه "الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثلة، المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الاسلامية"(٥)، ويبدو هذا السبب كافٍ لتوليد مشاعر الحقد والضغينة في الضمير الأندلسي تجاه تجاه العنصر البربري بشكل عام.

بينما يورد ابن خلدون نصاً يبدد تلك النظرة التشائمية بحق البربر قال: "أن هوارة وصنهاجة وبعدهم كتامة وما أقاموا من الدولة التي ملكوا بها المغرب والمشرق، وزاحموا بني العباس في ديارهم وغير ذلك منهم كثير، وتخلقهم بالفضائل الإنسانية، وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق من عزّ الجوار وحماية النزيل، ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات في الشدائد وحسن الملكة

(١) معجم البلدان، ٣٦٩/١.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ١٧٣/٥.

(٣) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٧٥.

(٤) مجهول، مؤلف (ت: ق ٨ الهجري/ ق١٤ الميلادي)، فتح الاندلس، تحقيق: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية– الوكالة الأسبانية للتعاون العلمي، ص٥٥.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ٥٧٦/٢.

والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبرّ الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم... وأما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملّة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وصاغيتهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة في آثارهم وسؤال الاعداد عن صالحيهم، وإغشائهم البحر أفضل المرابطة والجهاد، وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم التي كانت ملاكا لعزهم ومقاداً إلى سلطانهم وملكهم"[١]، وعلى الرغم من حداثة عهدهم بالإسلام كانوا أكثر تمسكاً بالإسلام وحماساً للفتح من العرب؛ لأنّ الإسلام كان وسيلتهم الأولى في النهوض بأنفسهم، والاحتفاظ بحقهم، كأنداد للعرب وسادة في البلاد المفتوحة، وأصحاب حق في الغنائم والأرضين، ولهذا نراهم يحتجون دائماً على العرب، ويتهمونهم بمخالفة الدين ويطالبونهم بتنفيذ أشراطه، وكانوا إذا استقروا بالأرياف استمسكوا بالإسلام حتى يميزوا أنفسهم عن أهل البلاد، ولهذا لا نبالغ إذا قلنا إن جانباً عظيماً من الفضل في إسلام أهل الأندلس يرجع إلى هؤلاء البربر، الذين آمنوا بالدين الجديد في قوة، واحتفظوا بهذا الإيمان، لأنّه يكسبهم حقوقاً معنوية ومادية لا يبلغونها من دونه[٢].

ويبدو أن غالبية بربر قبيلة صنهاجة أصبحت فيما بعد على مذهب التشيع، وهذا ما ذكره البكري[٣] بقوله: "أن قبيلة صنهاجة الساكنة في جبل درن المعترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها من بلاد السوس، اعتنقوا التشيع مذهب الروافض على يد أبي عبد الله الشيعي[٤] يقال له محمّد

(١) العبر، ١٣٥/٦-١٣٦.

(٢) مؤنس، حسين، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، ط٤، دار الرشاد- القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٣١٨.

(٣) المسالك والممالك، ٨٥٢/٢-٨٥٣.

(٤) ابي عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي ، ويعد من الممهدين للإمام المهدي المزعوم بالنسبة للإسماعيلية وهو عبيد الله الفاطمي الذي تلقب بالمهدي بعد ان خاض تجربة مريرة وقاسية جاب بها بلدان الري وسوريا واليمن والحجاز حتى رحيله مع حجاج كتامة وسفره معهم، ثم بعدها مكث في أرض صنهاجة وكتامة، إذ بدأ بنشر التشيع من خلال الدعوة الإسماعيلية في سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وحشد انصاره من قبيلتي صنهاجة وكتامة ضد الإمارات والدولة التي تناصب الإسماعيلية العداء وتدين بالولاء للعباسيين واخذ يدعوهم للتجهز لظهور الامام المهدي والتي تكللت بمبايعة عبيد الله المهدي الفاطمي بتنصيبه خليفة على المسلمين برقادة وسجلماسة سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، وقد توفي في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م). ينظر: القاضي النعمان، أبو حنيفة أبي عبد الله بن محمد بن منصور(ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، رسالة=

بن ورسند، ودعاهم إلى سبّ الصحابة رضوان الله عليهم وأحلّ لهم المحرّمات وزعم أنّ الربا بيع من البيوع، (وزادهم في الأذان) بعد "أشهد أنّ محمّداً رسول الله" : أشهد أنّ محمّداً خير البشرِ، ثمّ بعد «حيّ على الفلاح» : حيّ على خير العمل آل محمّدٍ خيرِ البريّة، وهم على مذهبه، وأنّ الإمامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين، وكان صاحبهم إدريس بن القاسم بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس"(١).

ويبدو أن البكري كان متحاملاً على تشيع صنهاجة، ولا نستبعد أن يكون الغرض من ذلك هو التقرب من بني العباس المتحاملين على الدولة الفاطمية، ولاسيما وهو كان معاصراً لها، كما أكد ابن خلدون على تشيع قبيلة صنهاجة قوله: "كان لصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب"(٢).

=افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط٢، الشركة التونسية للتوزيع والنشر– تونس، ١٩٨٦م، ص٤٧ –٢٩٩؛ ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور بن الحسين (ت: ٦١٣هـ/١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع– أربد–الأردن، ١٩٩٩م، ١٦٣/١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١٩٩/٢؛ الشدود، حيدر ناجي مطلك، ابو عبد الله الشيعي ودوره في قيام الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٢م، ص٣٠–٣٣.

(١) البكري، المسالك والممالك، ٨٥٢/٢–٨٥٣.

(٢) العبر، ٢٠٢/٦.

الفصل الثاني

أحوالهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة

المبحث الأول/ هجرة الصنهاجيين واستقرارهم في الأندلس:

المبحث الثاني/ مكانتهم الاجتماعيّة:

المبحث الثالث/ نشاطهم الاقتصاديّ:

المبحث الأول/ هجرة الصنهاجيين واستقرارهم في الأندلس:

مما لا شك فيه أن تدفق هجرة البربر الصنهاجيين من العدوة المغربية إلى شبة الجزيرة الآيبيرية، بدأت مع عمليات الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الآيبيرية سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، إذ أنه اجتمع لطارق بن زياد في أثناء عبوره لشبه الجزيرة اعداد كبيرة من البربر، وكان من بين هؤلاء الفاتحين ميمون بن أبي جميل الصنهاجي ابن أخته(١).

وبعد الانتصارات التي تحققت على يد طارق، بلغت الأخبار إلى العدوة المغربية، عن كثرة الغنائم التي حصل عليها الجيش الإسلامي، وعن وفرة خيرات أرضها، لذلك فتح باب الهجرة على مصراعيه، فتدافع أهل العدوة في دفعة ثانية نحو شبه الجزيرة الآيبيرية، وهذا ما أشار إليه المقري بقوله: "وتسامع الناس من أهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق"(٢).

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها البربر، ومن ضمنهم صنهاجة في الفتوحات الإسلامية الذي فاق العرب، إلا أنهم لم يجنوا ثمار هذا المجهود من خلال تقسيم الأراضي بينهم وبين العرب ، إذ نال العرب بالرغم من قلة المجهود الأراضي الخصبة، بينما نال البربر الأراضي الوعرة الجبلية(٣).

وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين عند حديثه عن توزيع الأراضي بين العرب والبربر بالقول: لقد تأكد في مناسبات مختلفة أن العرب اختصوا أنفسهم بالمناطق الأكثر خصوبة، ودفعوا سكان شمال أفريقيا أي: البربر إلى المناطق ذات التضاريس الصعبة الجبلية، والسبب في ذلك التوزيع غير العادل لكون العرب فرضوا هذا التقسيم نظراً لتحكّمهم في البلاد، أي: امتلاكهم للسلطة، إذ أن الولاة الذين تعاقبوا على حكم الأندلس منهم مِنْ أصول عربية، ويحمل بعضهم فكرة التعصب لبني جلدته، وهو ما سيتأكد للباحث

---

(١) مجهول، مؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم (ت: ق٤ الهجري/ ق١٠ الميلادي)، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان، ١٩٨٩م، ص١٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٢/٦.

(٢) نفح الطيب، ٣٥٩/١.

(٣) دُوزِي، تاريخ مسلمي اسبانيا، تعريب حسن حبشي، ط١، دار المعارف-القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٥٦-١٥٧.

من خلال التطرق إلى تصرفات بعض الولاة، وما تسببوا فيه من حروب بين عناصر المجتمع الأندلسي بصفة عامة، وبين العرب والبربر بصفة خاصة(١).

ويعزو الصوفي أن السبب في نقمة البربر على العرب في الأندلس، ولاسيما بعد انتهاء العمليات الحربية التي رافقت الفتح، بعدما أخذ أفراد الجيش الفاتح يعسكرون في مختلف أنحاء البلاد، وقد ظهر منذ الوهلة الأولى أن الفاتحين يشكّلون طبقتين اجتماعيتين متميزتين هما طبقة جند العرب، وطبقة جند البربر، وقد سكن العرب في الأراضي الجنوبية، بينما سكن معظم البربر المهاجرين في المناطق الشمالية القاحلة ما عدا جماعات قليلة منهم، كانت موزعة في باقي أنحاء الأندلس، وبالنتيجة دفع هذا الأمر البربر بالدرجة الأولى الذين لم يكونوا مسرورين من إقامتهم في تلك المناطق الجبلية التي يصعب العمل فيها ولا تعطي إلا منتوجاً ضئيلاً، وبالدرجة الثانية أنه كان عليهم بحكم اقامتهم في تلك المناطق الشمالية أن يواجهوا العدو النصراني، وأن يشكّلوا سداً منيعاً في وجهه يعوق سيره وتقدمه نحو الجنوب، ولهذين السببين لم يكن البربر راضين عن إقامتهم في الأندلس، وكانوا ينظرون إلى العناصر العربية نظرة حسد وعدم الرضى؛ لأنَّهم اصطفوا لأنفسهم أحسن الأراضي وتركوا لهم اسوأها(٢).

وربما يقول قائل: إن معظم البربر كانوا يسكنون في بلاد المغرب ذات المناطق الوعرة والجبلية، فلماذا يتذمرون الآن من سكنهم في مثلها في الأندلس؟ والجواب على ذلك أن هؤلاء البربر قد وعدهم قوادهم قبل الفتح وعلى رأسهم طارق بن زياد بأنهم إذا انتصروا فأنهم سيحصلون على بلاد مليئة بالخيرات والنعيم والأطايب والملذات، فدفعوهم بتلك الطريقة إلى الإستماتة في القتال من أجل تحقيق النصر، ولما شعروا أن احلامهم بدأت تتلاشى نقموا على سادة العرب الذين حرموهم في اعتقادهم من تلك الأشياء باصطفائها لأنفسهم وكانوا القادة عندما ينتصرون في المعارك لا يعمدون إلى توزيع الغنائم توزيعاً عادلاً بين العرب والبربر من الجند فيأخذون لأنفسهم ولاتباعهم معظمها ويتركون الكمية القليلة الباقية للبربر يتقاسمونها، مما ولَّدَ حقد هؤلاء عليهم وجعلهم يشعرون وكأنهم دخلاء على المجتمع الأندلسي وتشكل من جراء هذا الشعور لدى البربر مع الزمن شعور بالنقص رافقهم ذلك طوال مدة الحكم الإسلامي في الأندلس

(١) بوباية، عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠١١م، ص٩٧.

(٢) خالد، تاريخ العرب في أسبانيا- نهاية الخلافة الاموية في الأندلس، ط١ مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع- حلب، ١٩٦٣م، ص٨١-٨٣.

وأصبحتْ صفة ملازمة لهم، وكان السبب في إثارة كثير من المتاعب لحكومة قرطبة وجعلتهم على حذر دائم من العرب(١).

وإن اختيار البربر ومن ضمنهم صنهاجة للمناطق الجبلية كمناطق استقرار، لا يمنع هذا الأمر من وجود اعداد كبيرة سكنت السهول والمدن، ذلك أن بلادهم لم تكن جبلية بحد ذاتها، إذ كان من البربر من يسكن الجبال، ومنهم من يسكن المناطق السهلية والمدن في بلاد المغرب، وما يؤكد ذلك ما جاء عن لسان مؤلف مجهول عندما تكلم عن مواطن البربر في المغرب قال: "ومن الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازاز، وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر، ويطردهم الثلج عنه فينزلون إلى ريف البحر الغربي، وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل"(٢)، وما يفهم من هذا النص أن البربر لم يقتصروا فقط على المناطق الجبلية وانما كانوا يستقرون في المناطق السهلية لمزاولة نشاطاتهم المهنية أيضاً، وما يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن الأحمر بقوله: "أما البربر فمن كان من أهل الحاضرة استقر في المدن، ومن كان من أهل البادية استقر بالبوادي"(٣)، ومِنْ ثَمَّ فإن طبيعة الإنسان من كان من أهل الحاضرة يسكن المدن، وكذلك بالنسبة إلى أهل البادية فإنهم يفضلون العيش والاستقرار في البوادي، فضلاً عن ذلك نقل لنا ابن حزم نصاً يقول فيه: "أن الارباض الغربية من مدينة قرطبة كانت منازل البرابره"(٤)، وعلى هذا الأساس فإن الصنهاجيين يشكّلون بعضاً من هؤلاء، وإن كان النص جاء بلفظ العموم، فهو لم يخصص أياً كان من القبائل بحد ذاتها، ويبدو لنا من خلال لفظة عبارة منازل البرابرة التي تدل دلالة واضحة على أنها كانت مأهولة بهم، وهذا ما يجعلنا نحتمل وجود مجموعات بربرية مختلفة القبائل ومن ضمنها صنهاجة.

كما خالف مؤنس الكثير من المؤرخين المحدثين في أن العرب اختصوا أنفسهم بأحسن نواحي الأندلس فلم يتركوا للبربر إلا النواحي الجبلية أو القاحلة في الشمال والشمال الغربي، ومِنْ ثَمَّ كان سبباً في الثورات البربرية، وأن سبب غضب البربر لم يكن لامتلاك العرب لأحسن المواضع، وإنما لسوء سياسة العرب جملةً وتفصيلاً، فقد تخاصم العرب فيما بينهم أيضاً، بسبب سوء هذه السياسة لا بسبب انفراد فريق

(١) الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا- نهاية الخلافة الاموية في الأندلس، ص٨١-٨٣.

(٢) الأستبصار في عجائب الامصار، ص١٨٧.

(٣) بيوتات فاس الكبرى، ص٢٥.

(٤) طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت-لبنان، ١٩٨٧م، ص٣١١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م، ١٠٠/٢.

منهم دون آخر بخيرات البلاد، وذلك أن شبه الجزيرة الآيبيرية فسيحة تتسع لأضعاف من نزل هناك من العرب والبربر معاً في هذه المدة، فأن العرب كانوا يفضلون دائماً البسائط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب، وأما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون مناطق جبلية عالية، فألفوا مثل هذه البلاد في الأندلس، فاستقروا فيها باختيارهم، فضلاً عن ذلك أن هناك الكثير من الجماعات البربرية كانت مستقرة في أخصب نواحي الأندلس في الجنوب والشرق والغرب، بل كادت منطقة الجزيرة الخضراء(Algeciras) أن تكون مقصورة عليهم لكثرة من نزلها من بطونهم وعشائرهم، ولاسيما بنو (برزال الصنهاجيون)[١]، ثم أن العرب لم يكونوا من الكثرة بحيث يستطيعون الانفراد بكل السهول لبلد عظيم وواسع كالأندلس، ثم أن الكثيرين منهم (أي من العرب) كانوا أهل جهاد مقيمين دائماً في منطقة البرت وما ورائها عند اربونة(Narbonne)[٢]، فلم تكن بقية العرب لذلك من الكثرة بحيث تستطيع احتلال سهول الأندلس الواسعة في الشرق والجنوب والوسط والغرب، إذ أن غضب البربر كان سببه استبداد العرب بأمر الحكم واعتبار البربر شعبا محكوماً لا ينبغي أن يترك له أي منصب في الحكم أو في إدارة الأمور[٣].

ويرى أحد الباحثين إن نسبة البرانس ومن ضمنهم صنهاجة الذين شكّلوا أغلبية البربر اختاروا الاستقرار في المنطقة الجبلية، وكانت كما يبدو بوضوح، تناسبهم اكثر من غيرها من الأماكن، بسبب التشابه الكبير بينها وبين أماكن سكناهم الأصلية في شمال أفريقيا[٤].

ويؤكد ذلك ما ذهب إليه بوباية حول سبب استقرار البربر في الأندلس ولجوئهم إلى المناطق الجبلية كان نابعاً من رغبتهم ولم يكن تحت مضايقة العرب، ويضيف على أنه إذا كانت المناطق الجبلية دافعاً للاعتصام فيها باعتبارهم قدموا من مناطق تشبهها، فهذا لا يعني كل البربر، وإن كانوا يمثلون الأكثرية[٥].

---

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١،٧٤.

(٢) مدينة تقع في شمال شرقي قرقشونة، تقع على ساحل البحر من المشرق وهي آخر الأندلس بينها وبين قرطبة الف ميل، ويشق وسط هذه المدينة نهر عظيم، وعليه قنطرة عظيمة على متنها اسواق وديار. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٨٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

(٣) فجر الأندلس، ص١٧٠-١٧١.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٤.

(٥) البربر في الأندلس، ص٩٩-١٠٠.

ويعدّ بوباية تفسير الباحث الفرنسي كيشار(Guichard)[١] الأكثر توازناً حول استيطان البربر في الجبال والسهول من خلال قول الأخير: إنَّ البربر يقطنون في مناطق جبلية كثيرة، ولكن هذا لا يمنع وجودهم في مناطق سهلية في حوض نهر الوادي الكبير(Rio Guadal Quivir)[٢] وسهول شرق الأندلس[٣]، وهو في ذلك يرتكز على جملة من الإشارات التي وردت في المصادر العربية، والتي تؤكد على استقرار البربر في المناطق السهلية الخصبة، وسنذكر ذلك عندما نتكلم عن مواطن صنهاجة في الأندلس.

تواصلت هجرات البربر دون انقطاع الى الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سنة(١٢٣هـ/٧٤٠م)، إذ توقفت في السنة الأخيرة بسبب ثورة البربر في المغرب الأقصى، وما رافقتها من أحداث التي تلتها موقعة(غزوة الاشراف) سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)، والتي قُتِلَ فيها أشراف العرب وفرسانها وأنجادها ضمن صفوف الجيش الأموي بعد الانتصار الساحق الذي تحقق على أيدي القبائل البربرية[٤]، ولم ينج من هذه المعركة، إلا عشرة آلاف رجل من عرب الشام، تمكنوا فيما بعد من الدخول إلى الأندلس بزعامة بلج بن

(١) البربر في الأندلس، ص٩٩.

(٢) هو أهم أنهار الأندلس، من أسمائه: النهر العظيم، نهر قرطبة، ويبلغ طوله ٣١٠ ميلاً، ينبع من جبال (سبيبرامورينا) المسمى بفتح الديلم، ويسمى بالوادي الكبير، ثم يتجه غرباً نحو جيان وشقتدة والزهراء ويروي قرطبة واشبيلية، وأهم روافده وادي سنجيل، أو شنيل الذي ينساب مخترقاً غرناطة ولوشه واستجة، ومِنْ ثَمَّ يتجه جنوباً ليصب في المحيط الأطلسي عند بلدة شريش. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨/١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٦٢٩/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٤؛ كولان، ج. س.، الأندلس، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط١، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ودار الكتاب المصري- القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٦.

(٣) بوباية، البربر في الأندلس، ص٩٩.

(٤) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم- بيروت، ١٩٧٦م، ص٣٠٢، و ٣٥٣؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٤/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨، و ٢٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٩٣م، ٣٤/٦، و ٨/٨.

بشر القشيري[١]، بعدما استنجد بهم عبد الملك بن قطن[٢] في ولايته الثانية سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)، ضد بربر الأندلس بعد اعلانهم الثورة فيها تأسياً بإخوانهم في بـلاد المغرب[٣]، وكمـا حشـدوا من جليقيـة[٤]

(١) بلج بن بشر بن عياض بن وحوح بن قيس بن الأعور بن قشير بن معاوية بن بكر بن هوازن القشيري، قائد دمشقي حازم شجاع، ابن أخي كلثوم بن عياض دمشقي كان مع عمه كلثوم بأفريقية فلما قتل كلثوم تكاثرت عليه عساكر خوارج البربر هناك فولى منهزماً إلى الأندلس في جماعة من اصحابه فلما وصل إليها ادعى ولايتها وشهد له بعض المنهزمين معه وكان الأمير حينئذ بالأندلس عبد الملك بن قطن فوقع في ذلك اختلاف وفتنة حتى ظفر بلج بعبد الملك فسجنه ثم قتله ومات أو قتل بعده بشهر في سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م). ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر-بيروت، ١٩٩٥م، ١٠/٣٩٥-٣٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣١-٣٢؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي- بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م، ٢/٢٨٢-٢٨٤.

(٢) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان الفهري أحد ولاة الأندلس الذي تولاها في ولايته الأولى سنة (١١٤-١١٦هـ/٧٣٢-٧٣٤م) إذ قام بالتوجه نحو البشكنس شمال إسبانيا، للقضاء على تمرد سكان ولايات كل من قطالونية Catalonia، وأراغون Aragon، ونافار Navarre، والباسك، الذين استغلوا فرصة اندحار المسلمين في جنوب فرنسا، فتمردوا على حكومة قرطبة، ثم توجه بعدها مباشرة، عبر جبال ألبرت إلى لانجدوك Languedoc في فرنسا، حيث قام بتحصين المدن التي كانت بأيدي المسلمين، وقتل في سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م). ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦-٢٤٩؛ ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ٢/١٣٥؛ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه: عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٨م، ١/٣١٢؛ الحميدي، أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٨٧؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م، ص٦١.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٢-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٣٠-٣١.

(٤) هي بلدة من بلاد الروم متاخمة للأندلس وقاعدة الجلالقة، وتعد مدينة جليلة معظمة عندهم، وتمتد من نهر دويرة جنوباً حتى الساحل الشمالي لإسبانيا ومن ساحل البحر المحيط لها حتى منطقة قشتالة في جهة الغرب. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ١/٢٤٠، و٢/٨٩٣-٨٩٤، و ٩١٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٦٩.

(Galicia) وأستورقة(Astorga)[١]ومارِدة(Merida)[٢] وطلبيرة (Talavera)[٣] وشذونة (Sidonia)[٤] بعدما قتلوا العرب وطردوهم منها، لكن الهزيمة التي وقعوا فيها على يد طالعة بلج قضت على ثورتهم بالقرب من طليطلة (Toledo)[٥] فرجحت بذلك كفة العرب[٦]، ولم يكن أمامهم من حل سوى اللجوء إلى الثغور والجبال الشاهقة الممتنعة، كما لجأوا إلى اقصى الشمال أو المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية القريبة من عدوتهم واختفوا عن العيون[٧].

يتبين أن اعداداً كبيرةً من البربر كانوا مستقرين بالمناطق الجبلية الواقعة في شمال الأندلس، وكانوا يشكلون أغلبية المسلمين المتواجدين فيها باستثناء سرقسطة (Zaragoza)[٨]، قاعدة الثغر الأعلى التي كان أغلب مسلميها من العرب، واذن لم يكن البربر هم الذين اختاروا الاستقرار فيها طواعية نظراً

(١) مدينة قديمة تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الآيبيرية، إلى الشمال من نهر دويرة في منطقة جبلية وعرة، وهي من مدن أستوريس، ينظر: مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٣٨-٣٩؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦١؛ أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت-لبنان، ١٩٣٦م، ص٥٨؛ الدرويش، جاسم ياسين، والعلياوي، حسين جبار مجيتل، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (لاردة- بياسة- أستورقة)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٧م، ص١٧٤-١٧٧.

(٢) مدينة قديمة من أعاجيب الأندلس بجوفي قرطبة مائلة إلى الغرب قليلاً، وبينها وبين قرطبة خمسة أيام، وتعدّ من أكبر المدن في الأندلس، ولها قلعة وسور وخندق منيع. ينظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص١١٩-١٢٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٨.

(٣) مركز من أعمال طليطلة وكانت من أقصى ثغور المسلمين وأهمها وتقع في هضبة تتوسط شبه الجزيرة، وتعدّ باباً من الأبواب التي تتوجه منها الجيوش الإسلامية إلى أرض قشتالة وجليقية وتطل طلبيرة على نهر تاجة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٩٠٨/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥.

(٤) مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي مورور من أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن مورور إلى الغرب مائلة إلى القبلة (الجنوب)، وفيها خيرات كثيرة. ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣٩.

(٥) مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة، وتعد قاعدة الأندلس وهي في شرقي مدينة وليد، وتقع على جبل عالاً، من امنع البلاد وأحصنها. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤؛ البكري، المسالك والممالك، ٦/١، و ٩٠٧/٢-٩٠٨؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٦/٢، و ٥٥١-٥٥٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩-٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣-٣٩٥.

(٦) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٢-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/١-٣١.

(٧) المقري، نفح الطيب، ٢٠/٣-٢١.

(٨) تسمى أيضاً المدينة البيضاء ثغر في شرق الأندلس، وتعدّ قاعدة من قواعدها، وأعظم مدائن التغر الأعلى، كثيرة الأنهار والبساتين والأشجار تقع على وادي شلون وجلق ونهر يقال له ابره. ينظر: العذري، نصوص عن الاندلس، ص٢١-٢٥؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٨١؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٨٠؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨-١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٧-٣١٨.

لتلائمها مع بيئتهم الأصلية، إذ لا يستبعد أن تكون الأحداث التي مرت بها الأندلس، واحتكار العرب لمقاليد الحكم والإدارة واستغلالها لخدمة مصالحهم، والتعصب لبني جلدتهم، هي الأساس التي أجبرت البربر إلى الاستقرار في المناطق الجبلية بصفة عامة(١).

ازداد عدد البربر في عهد الأمير عبد الرحمن الأول سنة (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، إذ انتقل قسماً كبيراً من هؤلاء من المغرب إلى الأندلس، ودخلوا في طاعته، وكوّنوا عماد جيشه، إذ بلغ عددهم أربعين الفاً، وقد استخدمهم في صراعه مع العرب بعد أن خرج الآخرون عن طاعته(٢).

ويبدو أن التفاف البربر حول الأمير عبد الرحمن الداخل راجع إلى علاقة النسب التي كانت تربطه بهم من جهة أمه البربرية الأصل من بني نفزه(٣).

كما لم توضح المصادر التاريخية المتوفرة بين أيدينا معلومات كافية عن تلك القبائل البربرية التي صنعت أحداث هذه الهجرات ونسبة مشاركة كل منها في هذه الهجرة، ولا تقدم لنا أرقاماً محددة، لعدد هؤلاء الذين اجتازوا بلاد المغرب، إلى الأندلس واستقروا فيها، على الرغم من أنها تتفق على أنّ هذه الهجرات جماعية، وهذا يعني أنها كانت كثيرة العدد، ومِنْ ثَمَّ أن هذه الهجرات استطاعت أن تقلب موازين المعادلة والقوة، وتؤسس لعهد جديد، وهذا يعطي احتمالية أن تكون معظم هذه القبائل البربرية بترية وبرانسيه، وقد هاجرت اعداداً منها إلى الأندلس، خلال هذه المدة، ولاسيما صنهاجة، إذ لم تكن هذه القبيلة بمعزل عن مجريات الأحداث التي كانت تمر بها بلاد المغرب والأندلس، باعتبارها أكبر القبائل البربرية، اذ تعدّ من أوفر قبائل البربر، وأكثر أهل الأندلس لهذا العهد وما بعده، إذ لا يكاد أن يخلو قطر من أقطاره من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى عدهم الناس ثلث أمم البربر(٤).

---

(١) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٠٢، و ١١٣.

(٢) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت، ١٩٨٩م، ص٥٣؛ مؤلف مجهول، فتح الاندلس، تحقيق: مولينا، ص١٠٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ٤٥-٤٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٠/٢-٤١؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٦٢.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٩/١.

والنتيجة المتوخاة التي يمكن الخروج بها بالنسبة لهذه المدة، فإن المصادر التاريخية تحدثنا عن الهجرة بشكل عام، طالما تذكر لفضة البربر على جميع القبائل من دون تقييد وتخصيص، فلم تفصل في مسألة الانتماءات القبلية للبربر، أو بإرجاعهم إلى أصولهم، ولعل السبب يرجع إلى تعذر حصولها على معلومات دقيقة، بحكم مشاركة جميع القبائل البربرية في هجرات طغى عليها الشكل الجماعي، ولم يكن فيها أفضلية قبيلة على غيرها بشكل واضح ومميز.

إذ لم يتوقف تيار الهجرة من المغرب باتجاه الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، الذي شهد تحول الإمارة الأموية بالأندلس، إلى خلافة سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)، ومما يؤكد ذلك ما ذكره مؤنس بقوله: أما البربر فقد كان تيار هجرتم متصلاً[١]، وهذا يعني إن تيار هجرة البربر نحو الأندلس بقى يتجدد ويزداد من حين لآخر ولم ينقطع هرباً من المناطق الصحراوية القاحلة نحو المناطق الخصبة، إذ انتشروا في كل مكان واخذوا يستقرون في مناطق الأندلس المختلفة[٢].

وعليه فإن استقرار البربر شمل جميع أراضي الأندلس، مع وجود تباين في اعداد المستقرين فيها، ومنهم على وجه الخصوص الصنهاجيون، إذ تعدّ قبيلة صِنهاجة إحدى أهم هذه القبائل التي كان لها ثقلها، على الساحة السياسية في المغرب والأندلس، ونتج عن ذلك أن أصبح لها تواجد كبير في بلاد الأندلس، وهذا بدوره يدفعنا إلى تقسيم الصنهاجيين إلى عدّة أقسام بحسب مناطق استقروا فيها وعلى النحو الآتي:

أولاً/ مواطن استقرار الصنهاجيين في الجنوب:

تعدّ المنطقة الجنوبية أهم المناطق التي استقر فيها الصنهاجيين بحكم قربها من بلاد المغرب؛ ولأنّها تعد من أولى المناطق التي فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، ومن هذه المناطق التي استقر فيها الصنهاجيون كالجزيرة الخضراء، والبيرة(Elvira)[٣].

---

(١) فجر الاندلس، ص٢٠٧.

(٢) الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، ص ٨٤-٨٥.

(٣) مدينة كبيرة بالأندلس متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة (الجنوب) والشرق من قرطبة بينها وبين قرطبة ٩٠ ميلاً، من اكرم المدن وأطيبها. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤٢-٤٣؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤-١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨. ينظر: بوباية، البربر في الأندلس، ص٤٤-٥٤.

إن الجزيرة الخضراء استقبلت اعداد كبيرة من البربر، وصار للبربر إقليم خاص بهم في هذه الجزيرة يعرف بـ "جزء البربر"[١]، والمعلوم أن كلمة جزء كانت تستعمل لتشير إلى الإقليم، إذ أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: "أن الأجزاء كانت تقوم مقام الإقليم"[٢]، ويبدو أنهم كانوا يتفوقون حتى على العرب بأعدادهم في الجزيرة الخضراء نفسها، وهذا ما أكده اليعقوبي بقوله "... وغربي شذونة مدينة يقال لها الجزيرة، نزلها البربر وأخلاط من العرب قليل"[٣]، إذ أن البربر كانوا يشكّلون غالبية سكانها، الذين كان معظمهم من البرانس، بدليل ما ذكره ابن حيان عن ثورة حبيب البرنسي[٤] سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) في الجزيرة الخضراء[٥]، وهذا يدل على كثرة عدد أتباع البربر في هذه المدينة الذين قدّموا الدعم والإمكانيات كلّها لهذا الثائر، ولا يستبعد أن يكون من هؤلاء أعداد كبيرة من قبيلة صنهاجة، ومن هنا يمكن لنا القول أن الصنهاجيين شكّلوا الجزء الأكبر من هذا التواجد البرانسي في الجزيرة الخضراء، باعتبارهم إحدى القبائل البرانسيه.

ومن أهم الملاحظات التي تدل على استقرار البربر في جنوب الأندلس، هو التواجد الكبير للبربر وعلى وجه الخصوص صنهاجة، إذ تبين خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية التي أرخت للتاريخ

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢٠.

(٢) معجم البلدان، ٢٣/٣.

(٣) البلدان، ص١٩٣.

(٤) وهو أحد الثائرين على السلطة الأموية بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، إذ ثار حبيب البرنسي بجبال الجزيرة الخضراء سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م)، واجتمع حوله عدد كبير من بربر البرانس، ولاسيما عناصر صنهاجة صنهاجة التي كان في الجزيرة اقليم تابع لهم فشن بهم الهجوم على قرى رية وغيرها فشاع الأذى والنهب والقتل، مما دفع بالأمير عبد الرحمن الأوسط أن يرسل له القائد عباس بن مضا، فلما وصل إلى الجزيرة الخضراء لقتال حبيب البرنسي سبقته العناصر البربرية المناوئة له والتي كانت تستنكر افعاله المشينة بالعنف والقتل والنهب التي انتهجها في غاراته، ولم تتهاون هذه العناصر البربرية التي لم تذكر المصادر التاريخية عن انتماءاتهم القبلية في محاصرته فأوقعوا بهم وقصوهم، وقتلوا الكثير من رجاله، وتفرقت بقيتهم، ولكنهم لم يظفروا بحبيب البرنسي، وهذا الأمر دفع بالأمير الثاني أن يكتب لعماله في مختلف كور الأندلس يأمرهم بالبحث عنه والقاء القبض عليه لأنه كان داهية في المكر والسياسة، فضلاً عن ذلك كان داعية يمكنه أن يثير المشاكل في أي منطقة يحل فيها، إلا أنهم لم يتمكنوا من العثور عليه ولم تشير المصادر التاريخية شيئاً عن ولادته واسمه ووفاته. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٧٣م، ص٧؛ العذري، نصوص عن الاندلس، ص١٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٣/٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢-٩٠.

(٥) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢-٩٠.

الأندلسي منذ بداية الفتح إلى سقوط الخلافة الإسلامية سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، إذ سكن بنو (برزال الصنهاجيون) في مالقة جنوب الأندلس[١].

وفي مدينة إسْتِجَة (Ecija)[٢] زودنا ابن حزم بمعلومات قيمة ومهمة عن أنساب البربر، وكانت بعضها نادرة، ولاسيما ما يتعلق منها بمواطن استقرار قبيلة صنهاجة بالأندلس، ومن هؤلاء : بنو طاهر بن مناع الذين ينتمون إلى صنهاجة[٣]، وقد استقروا بأشونة (Osuna)، من كورة إسْتِجَة بالأندلس[٤]، وهي تقع على بعد أربعة وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من أستجه[٥]، المدينة الواقعة بين الغرب والقبلة (الجنوب) من قرطبة[٦].

وبأشونة سكنها بنو عبد الوهاب أيضاً الذين ينتمون إلى صنهاجة، وهم من ذرية ميمون بن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد، وكانت لهم ثروة وعدد، وبرز منهم قوّاد وكتّاب وفقهاء، إلا أن المصادر أغفلت تفاصيل مهمة عنهم، فلم يذكر منهم سوى رجل واحد اسمه عبد الوهّاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد له رحلة حجّ وطلب العلم والرواية والقرآن، وهو خطيب جامع قرطبة والمقرئ فيه[٧].

ومن خلال هذا النص يحتمل أن يكون بنو عبد الوهاب الصنهاجيين، من جملة البربر الأوائل الداخلين إلى الأندلس، خلال مرحلة الفتح الأولى أو بعدها بقليل، ولا يستبعد أن دخولهم للأندلس قد تم في الهجرة الجماعية الأولى للبربر، بعدما وصلت أخبار الفتح إلى أسماعهم، فلحقوا بجيش طارق بن زياد، فضلاً عن ذلك أشار ابن حزم إلى بروز قادة منهم وقد تكاثروا فيما بينهم وكسبوا ثروة مفضلين الاستقرار بشكل جماعي في أشونة.

---

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١.

(٢) كورة بالأندلس متصلة بأعمال ريّة بين القبلة (الجنوب) والمغرب من قرطبة، وهي كورة قديمة واسعة الرساتيق والأراضي على نهر سنجل، وهو نهر غرناطة، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢.

(٤) الرشاطي، اقتباس الانوار، ص١٥؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢ و ٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٢/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠.

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٦٤.

(٦) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٠١.

(٧) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.

ومن الصنهاجيين الذين اقاموا في مدينة بلكونة، يحيى بن ضريس الصنهاجي وهو واليها، الذي ضرب عمر بن حفصون[١]، وكما ذكر طه عن خبر إقامة بنو حبر الصنهاجيين وتجمعهم في بلكونة، التي تعدّ من القرى الصغيرة بالقرب من مارتوس، الواقعة إلى الجنوب من الطريق بين قرطبة وجيان[٢].

أما مدينة غرناطة فقد سكنها الصنهاجيين أيضاً، إذ يصفها الادريسي بقوله "ومدينة غرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة، فخلت وانتقل أهلها منها إلى غرناطة، ومدنها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس فكملت في أيامه وعمرت..."[٣]، وذكر البكري ان كورة البيرة يوجد فيها اسم مكان يدعى موضع الصنهاجيين[٤]. الصنهاجيين[٤].

وكانت مدينة غرناطة بيد بني زيري الصنهاجيين ومركز حكمهم، إذ بعد قيام سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله[٥] بالدخول إلى قصر قرطبة سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، إذ انتقل منها إلى إلى سكن الزهراء(Azzahra)[٦]، ورتب الأمر، وقسّم بعض كور الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية، التي

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢.

(٢) الفتح والاستقرار، ص٢٦٧.

(٣) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

(٤) جغرافية الأندلس، ص١٢٨.

(٥) وهو حفيد الناصر سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن المستعين بالله أحد الخلفاء الأمويين الثائرين مع البربر البربر ضد خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن المهدي على قرطبة، وكان المستعين بالله من أهل الْعلم والفهم أديباً فصيحاً شَاعِراً لَهُ رسائل وأشعار بديعة. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧-٢٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ٣٥/١-٤٨، و٤٦٠؛ الضبي، أبو جعفر احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢١-٢٥؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٠-٤١؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ٢٣٧/٢. للمزيد من التفاصيل ينظر: الفصل الثالث الدور السياسي والعسكري لصنهاجة في الأندلس (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)، المبحث الرابع:- دورهم في عهد الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)، ص١٧٥-٢٢٨.

(٦) مدينة في غربي قرطبة بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد (٣٢٥هـ/٩٣٦م) لتكون متنزها له وأنفق في عمارتها وتزيينها الكثير، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، وكانت قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٨٧-٨٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٤٧٩/٢-٥٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣١-٣٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٥.

التي مدت يد العون والمساعدة له وكانوا ستة، فأعطى صنهاجة منهم بني زيري بن مناد البيرة بدليل ما أورده ابن بلقين عن استقرار بني زيري بن مناد الصنهاجي في البيرة بناءً على طلب أهلها عندما جاءوا إلى زاوي شاكين مما هم فيه، ويقولون "إن كنتم جاهدتم قبل اليوم، فهذا الجهاد أكد عليكم أنفس تحيونها وديار تحمونها، وعزة تأوون إليها! ونحن شاركناكم بأموالنا وأنفسنا: لكم منا الأموال والسكنى، ولنا منكم الحماية والذب عنا"[١]، وكما سكنها بنو (برزال الصنهاجيون)[٢].

ونستنتج مما سبق أن غرناطة أصبحت دار ملك لبني زيري، وبنيت بأمر منهم، إذ كان معظم سكنتها على الأغلب من صنهاجة بالدرجة الأولى وبعض القبائل البربرية الأخرى، إلى جانب تواجد عربي محترم وحضور يهودي أيضاً.

ثانياً/ مواطن استقرار الصنهاجيين في الشرق:

يعد شرق الأندلس من المناطق التي نزلت فيها اعداد كبيرة من البربر، واتخذوها مستقراً لهم، وبشكل خاص في منطقتي بلنسية(Valencia)[٣]، وتدمير (Tudemir)[٤][٥]، واسم قصبتها

(١) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الزيري (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ١١٣/٢.

(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١.

(٣) هي مدينة في شرق الأندلس متصلة بكورة تدمير بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية معروفة بمدينة التراب لحسنها وجمالها وكثرة مواردها ورياحينها. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٧.

(٤) تدمير سميت بهذا الاسم نسبة إلى تدمير بن غندريس الذي صالح المسلمين عند فتحها، وهو بلد واسع بالأندلس وفيه مدينتان يقال لأحدهما العسكر، والأخرى لورقة، وأرضها تسقا بالنهر كسقيا أرض مصر بالنيل من غير فيض، وقيل أنها تتصل بأحواز كورة جيان كورة تدمير وهي شرق من مدينة قرطبة أيضاً، وفيها من المدن مرسية واوريولة وقرطاجنة ولورقة ومولة وجنجالة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٧/٢–٨٩٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٣١–١٣٢.

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

أُورِيُولَة(Orihuela)[١][٢] وقاعدتها مرسية (Murcia)[٣][٤]، وينتمي هؤلاء البربر إلى البتر والبرانس، إذ كان معظم البرانس من صنهاجة وكتامة وأورية وهوارة ومصمودة[٥]، إذ سكن العديد من بربر صنهاجة في أماكن مختلفة من بينها مرسية واستقروا فيها، وما يدل على ذلك قول البكري: "وحجر المغنطيس الجاذب للحديد يوجد بالأندلس بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير مرسية"[٦]، وكذلك سكنت صنهاجة في مدينة بَلَّشُ(Velez)[٧].

(١) مدينة قديمة من كورة تدمير بالأندلس، على ضفة النهر الأبيض وسورها من الناحية الغربية على جرية النهر ولها قنطرة تدخل إليها على مراكب، ولها قصبة في غاية من الامتناع على قنة جبل، ولها بساتين وجنات وفيها فواكه كثيرة وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعون ميلاً. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٧.

(٢) المقري، نفح الطيب، ٢٦٤/١.

(٣) وهي من مدن كورة تدمير وقاعدتها، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دار العمال وقرار القواد، ومرسية نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩-٥٤٠.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩.

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٦) المسالك والممالك، ٨٩٧/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٧) وتسمى بآلش إقليم بالأندلس تابع لرية، وقيل من حصون تدمير، وقيل من عمل تدمير، وقيل من اعمال مرسية، وقيل وقيل من اقليم بجانة، وقيل من شرقي مالقة، وقيل من اعمال مالقة، بينها وبين مدينة مالقة اربعة وعشرون ميلاً، وهي مدينة حسنة، فيها مسجد عجيب، وفيها الأعناب والفواكه والتين. ينظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٨-٩؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتب الاسلامي- القاهرة، د.ت، ص٩٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢، و ٥٥٨؛ ابن السمّاك، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك المالقي الغرناطي (ت: ق٨ الهجري/ ق١٤ الميلادي)، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٢؛ ٢٢٠/٤.

بينما أقام عدد من بربر صنهاجة في أماكن مختلفة في الشرق الأندلسي، ولاسيما في قسطليون (Castellon)[١] ولقنت (Alicante)[٢] في مواقع ما تزال تسمى إلى قبيلتهم مثل: (Soneja) في محافظة قسطليون[٣]، و(Ceneja) بالقرب من قسطليون نسبة إلى صنهاجة و(Senija) في محافظة لقنت[٤] و(Cenija) ضاحية من ضواحي سرقسطة نسبة إلى صنهاجة[٥]، كما استقر العديد من البربر الذين ينتمون إلى مختلف القبائل في وأستورقة وشرطانية (Cerretania)[٦] غربي جبال البرت[٧]، كما يورد أسين بلاسيوس مجموعة أسماء وأماكن مثل صنهاجة، واوربة، وزناته، وبني طنجة، كلّها في هذه المحافظة[٨].

ويضيف العبادي عن الأماكن التي نزل فيها البربر بالأندلس فهي كثيرة بقوله: وكثير من الأسماء والمواضع التي تحمل حتى الآن أسماء القبائل البربرية، نذكر منها (Albornoz) في قرطبة

(١) وهي مدينة أندلسية قديمة تقع في شرقي برشلونة، بالقرب من بسطة، وكانت معقل القراصنة، كثيرة الأشجار متدفقة الأنهار تشبه دمشق، وفيها جبل فيه غار يتقاطر الماء من أعلاه في حفيرة تحته لطيفة نقطة نقطة، ويجتمع في تلك الحفيرة بذوبانها ولا يفيض بدوام الماء، وإن شرب منه العدد الكثير لم ينقص. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥٣؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٨١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١..

(٢) مدينة صغيرة من كورة تدمير شرق الأندلس، عامرة وفيها سوق ومسجد جامع ومنبر كثيرة الفواكه والتين والأعناب ولها قصبة منيعة. ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٨/٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١١؛ وهناك من ذهب بالقول إلى أن لقنت تقع في غرب الأندلس من عمل ماردة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١/٥.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٥) نقلاً عن مؤنس، فجر الاندلس، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٦) شَرْطَانِيَةُ: بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَبَعْدَهَا نُونٌ، ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَانِيَّةٌ، ثُمَّ هَاءٌ، إذ هي من أهم الولايات الكبيرة في شمال شرق الأندلس، التي دخلها المسلمون بقيادة عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُغِيثٍ فَاسْتَبَاحَ حَرِيمَهَا، وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهَا. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٩/٥، و ٨١/٦؛ مؤنس، تاريخ الإسلام في الأندلس، ١٨٧/١.

(٧) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٣.

(٨) نقلا عن: حقي، محمد، البربر في الاندلس، دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الاموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، ط١، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠١م، ص٨٣.

واشبيلية(Sevilla)[١]، سكنتها بنو برزال الصنهاجيون[٢]، وكذلك (Albornos) في آبلة (Avila)[٣]، وهو وهو برنس بن بر، جد شعب كبير من شعوب البربر يدعى في صيغة الجمع البرانس، واليه تنتمي مجموعة كبيرة من القبائل مثل كتامة وصنهاجة ومصمودة واوربة وهوارة، ومنها(Azuaga) في بطليوس(Badjoz)[٤] وهي قبيلة زواغة إحدى قبائل البرانس، (Cenhegin) في مرسية، وهو اختصار للفظ الصنهاجيين ... و (Gazules) في فارس وهم بنو جزولة من البرانس، وغمارة(Gomara) في المَرِيَّة(Almeria)[٥] وهي من البرانس، وأُوربة(Orba)، في دانية(Denia)[٦]، وأوربة إحدى قبائل البرانس[٧].

---

(١) مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة وإن أصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة، وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ١٩٣-١٩٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٩٠٢-٩٠٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤١/٢؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص٢٣-٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨-٥٩.

(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٦١، و٧٤.

(٣) قرية من قرى مدينة بجانة من بلاد الجوف (الشمال) وسط الأندلس ذات خيرات كثيرة كالزيتون والأشجار وضروب الثمار يسقى جميعها من عين تسمى الحمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي فلا يكاد يخطئهم نفعها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٧٩-٨٠؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٧٩؛ ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تحقيق وتعليق: محمد بن تاويت الطَّنجي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م، ص٤٩.

(٤) مدينة في الأندلس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي مدينة جليلة وكبيرة في بسيط الأرض وعليها سور منيع وكان لها ربض كبير أكبر من المدينة في شرقيها، وهي على النهر الأعظم المسمى بوادي يآنة غربي قرطبة، ذات أرض كريمة ذات زرع وضرع. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٨٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٥/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٣.

(٥) مدينة محدثة على ساحل البحر أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، وهي من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، وأنشأ فيها عمائر ومنشآت كبيرة، حتى غدت من كبريات موانئ الأندلس، ومن أجل أمصارها وأشهرها، وعليها سور حصين منيع. ينظر: المنجم، آكام المرجان، ص١٣-١٦، و ١٠٨؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٢/٢-٥٦٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٧-٥٣٨.

(٦) مدينة على ساحل البحر عامرة حسنة لها اقاليم متسعة وربض عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعة جداً وهي على عمارة متصلة ومرساها من أعجب المراسي. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٥٦/٢، و ٨٩٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٧/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣١-٢٣٢.

(٧) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨؛ العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط١، منشأة المعارف- المعارف- الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٥٨-٥٩.

وفي الشمال الشرقي من بلاد الأندلس نزلت بعض العناصر البربرية التي شكّل الصنهاجيين جزءاً مهماً منها إلى جانب قبائل أخرى مثل: نفزة، ومكناسة، وزواغة، وهوارة[١]، وتعدّ هذه المنطقة من أوسع أماكن الاستقرار للبربر في شبه الجزيرة الآيبيرية، ومع هذا فقد أقامت في سرقسطة نفسها بعض المجموعات من البربر الذين ينتمون إلى مختلف القبائل مثل: زواغة، وهوارة، وصنهاجة[٢].

وساق أحد الباحثين رأياً انفرد به، إذ جعل من بني قاسم من زواوة الكتامية فرعاً من صنهاجة الذين استقروا في البونت[٣][٤]، إلا أن بني قاسم بحسب ما ذكره ابن خلدون لا ينتسبون إلى صنهاجة واقعاً؛ لأنّ نسابة البربر يعدونهم من سماك بن يحيى بن ضري بن زحيك بن مادغيس، وأقرب ما إليهم من البرابر زناتة؛ لأنّ أباهم (أجانا) هو أخو (سماك) ابن أبيه فلذلك كانوا ذوي قربى لهم[٥].

بينما جعل أبو راس الناصري زواوة بطن من صنهاجة ولم يستثنِ منهم أي: بطن، الذي استوطنوا الجبل المطل على مدينة تادلا[٦].

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٨١.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٧.

(٣) مدينة بالأندلس حصينة منيعة من اعمال بلنسية. ينتظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨؛ ابن خاقان، أبي نصر نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي(ت: ٥٢٨هـ/١١٣٤م)، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، دار عمار– مؤسسة الرسالة– دمشق، ١٩٨٣م، ص٢٨.

(٤) حقي، البربر في الاندلس، ص٧٦.

(٥) العبر، ٦/١٦٨؛ ابن منصور، قبائل المغرب، ١/٣٢٠.

(٦) عجائب الاسفار، ١/١٠٢–١٠٣.

ثالثاً/ مواطن استقرار الصنهاجيين في الغرب والشمال الغربي:

كان غرب الأندلس من أهم مناطق استقرار البربر البرانس التي تنتمي إليها قبيلة صنهاجة، إذ كانت تعرف هذه المنطقة بأرض الجوف (الشمال) (Hueco)[١] أيضاً، إذ سكن عدد كبير من البربر في هذه المنطقة، إذ عرفت أرض الجوف (الشمال) ببلاد البربر[٢]، فقد سكن بربر البرانس في المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من شنترين(Santarem) [٣] الذي ما يزال يدعى (Pernes) نسبة لقبائل البرانس[٤].

وقد ذهب سيزار دوبلر في بحث قيم عن منازل البربر في الأندلس يبحث عن أسماء المواضع الإسبانية التي يمكن ردها إلى أصل بربري، واستنتج من هذه الأسماء أن البربر لا بد أن يكونوا قد سكنوها وأعطوها أسماءهم واستطاع بذلك اكتشاف الكثير من منازل البربر، ولا نستطيع القطع بأن هذه المنازل ترجع إلى عصر الولاة؛ لأنّ تيار البربر لم ينقطع عن الأندلس طوال العصور الإسلامية إلا أن المواضع التي ذكرها سيزار دوبلر في أقصى الشرق أو في الشمال أو قاصية الغرب يمكن اعتبارها منازل قديمة ترجع إلى عصر الفتح الأول؛ لأنّ البربر الذين نزلوا الأندلس ابتداءً من عصر الخليفة الناصر

---

(١) ويقصد بها هنا المناطق الجنوبية الغربية من الأندلس الداخلة في البحر المحيط، والركن الثالث حيث ينعطف البحر من الجوف (الشمال) إلى الغرب حيث المنارة في الجبل الموفي على البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس، وهناك عدة اماكن في الأندلس تدعى الجوف أو بلاد الجوف (الشمال)، منها: بلاد الجوف من اقليم اكشونية من الأندلس، وهناك أيضاً بلاد الجوف في شمال شرق الأندلس حيث تقع قرية بليج مما يلي لاردة، وهناك ايضاً بلاد الجوف شرق قرطبة حيث تقع مدينة شنتبرية، وهناك ايضاً بلاد الجوف غرب الأندلس حيث توفي عبد الرحمن بن معاوية الداخل بمدينة ماردة من بلاد الجوف، وهناك ايضاً بلاد الجوف في شمال الأندلس ففي سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، غزا الخليفة الحكم المستنصر بلاد الجوف وقتل وسبي . ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٣/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٨٨/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٦٥-٦٦، و ١٠٧، و ١٦٩، و ٢١٣؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٧٨م، ص١٠٥.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٣؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٨١.

(٣) مدينة بالأندلس معدودة في كور باجة، وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جداً، ولها من جهة القبلة (الجنوب) حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه وبينها وبين بطليوس أربع مراحل. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٧، و ٤١؛ البكري، المسالك والممالك، ٢٠٠/١؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٨٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٦.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٣.

كانوا يستقرون في الجنوب والوسط والشرق، من دون أن يستقروا في أماكن نائية كانت في ذلك الحين ميدان حرب مثل (Azinhaga) في البرتغال (Portugal)[١]، نسبة إلى صنهاجة[٢].

وكما نجد بمدينة قادس (Gadiz)[٣] قلعة تحمل اسم كزولة (Gazules) نسبة إلى قبيلة جزولة البربرية، التي من المحتمل أن يكون استقرار البربر في هذه الأماكن قد حدث في أوقات متأخرة[٤]، أو ربما لم يحمل هذا الاسم إلا عندما استقر آل زيري بالكورة خلال القرن (٥هـ/١١م) أي: في أواخر حكم حبوس بن ماكسن وبداية حكم باديس بن حبوس الذي اتفق مع محمد بن خزرون[٥] أن يقدم له المساعدة العسكرية لمحاربة المعتضد بن عباد مقابل الحصول على الجزيرة ويعطيهم باديس ارضاً من غرناطة يسكنونها ليكونوا تحت كنفه ورعايته[٦].

(١) تقع البرتغال غرب الأندلس على المحيط الأطلسي، ومن أهم مدنها قلمرية ولشبونة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢٤٠/١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٢، و ٤٧١، و ٤٧٥.

(٢) نقلاً عن مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٣) جزيرة صغيرة تقع في الجنوب من اشبيلية، غربي الأندلس تقارب أعمال شذونة، طولها من القبلة (الجنوب) إلى الجوف (الشمال) اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، قريبة من البرّ. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٣/٢؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٨٩-٩٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ١٧/١، و ٥٣٦/٢-٥٤٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨-٤٤٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٦٢/٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٦/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٣١٦/١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، لب اللباب في تحرير الأنساب، ط٢، دار صادر- بيروت، ومكتبة المثنى- بغداد، ١٩٦٤م، ص٦٤. ينظر: سالم، سحر السيد عبد العزيز، مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري (للأندلس في العصر الإسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٩٠م، ص١٣-٧٨.

(٥) عماد الدولة أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري وبنو خزرون هم من أبناء قبيلة يرنيان أو إرنيان من زناتة البربرية، وكان هو زعيمهم الذي وفد على الأندلس أيام الدولة العامرية، وقد ظهر أيام الفتنة البربرية بمدينة قلشانة بكورة شذونة على مقربة من أركش، وذلك في سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، وفي الوقت نفسه تغلب على مدينة أركش واستمر في حكمها حتى وفاته سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ١١٣/٦.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢٧٠/٣-٢٧٣، و٢٩٤؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٣٩؛ سالم، مدينة قادس، ٨٧-٩٢.

وقد استقرت العديد من العناصر البربرية في مدينة موروڤ(Moron)[١]، الذي ينتمي معظمهم إلى البرانس من مصمودة وغمارة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ومن فروعها لمطة وهسكورة وجزولة[٢] وكان رئيسهم عند دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس ابراهيم بن شجرة الأودي البرنسي المرواني[٣]، إذ يشير مؤلف مجهول بقوله: "ارتحلنا إلى كورة مورور فبايعه كبيرها ابراهيم بن شجرة مع جميع أهلها"[٤]، وكذلك سكن بنو برزال الصنهاجيون في كورة قرمونة، كما استقر العديد من مختلف قبائل البربر، ولا نستبعد التواجد الصنهاجي في منطقة جليقية التي كانت مسرحاً للصراع بين المسلمين والنصارى فكان لصنهاجة دور بارز في مهاجمتها في سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٥].

(١) مدينة متصلة بكورة اشبيلية وبأحواز كورة قرمونة من جزيرة الأندلس، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا، وهي في الغرب والجوف (الشمال) من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة (الجنوب) والمغرب كثيرة= =الخصب والزرع والضرع والثمار والزيتون والكروم والفواكه. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٥، و ٤٧؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩، و٥٦٤.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨.

(٣) وهو احد الذين دخلوا في طاعة الأمير عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله مدينة ريه فبايعه البرنسي مع جموع البربر إلا أنه أعلن العصيان على السلطة الأموية في مدينة مورور، ولكن ثورته بائت بالفشل الذريع، وقتل على يد بدر أحد موالي الأمير عبد الرحمن الداخل في سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م)، إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عن ولادته ونشأته. ينظر: مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٠١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٧٨/٥، و٢٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٧/٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣٧/٢٣ و ٣٤٧.

(٤) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٨١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٧٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٦/٢-٤٦/٢-٤٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٧/٢؛ أبو العلا، ابراهيم عبد المنعم سلامة، التاريخ السياسي والحضاري لكورة مورور الأندلسية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، الاسكندرية-مصر، ٢٠١٢م، ص٥٠-٥١.

(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢-٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٧-٤٠٠؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٣.

رابعاً/ مواطن استقرار الصنهاجيين في الوسط:

تمتد منطقة استقرار البربر في وسط الأندلس أو ما يعرف بمنطقة الثغر الأوسط، إذ تمتد منطقة الاستقرار البربري عبر وديان نهر تاجة(Rio Tajo)[١] وروافده من شمال طليطلة وطلبيرة وإلى وادي آنه (Rio Guaduana)[٢] في الجنوب، وأن المنطقة الممتدة من طليطلة حتى المحيط الأطلسي هي مناطق آهلة بالسكان ذوي الأصول البربرية[٣]، وتعود أماكن استقرار البربر في مدينة طليطلة إلى عهد فتح طارق بن زياد لها، بعد أن ضمَّ اليهود، وخلَّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة[٤]، وبهذا الصدد يقول اليعقوبي عن مدينة طليطلة "مدينة منيعة جليلة، ليس في الجزيرة أمنع منها وأهلها يخالفون على بني أمية وهم أخلاط من العرب والبربر والموالي"[٥]، ومن أبرز المواجهات التي تدل على وجود البربر

(١) وهو نهر عظيم يقارب بالكبر نهر دجلة، يخرج من عين عظيمة بإزاء حصن ولمة تعرف بالبيضة لكثرة صنوبره بجبال ناحية تطيلة من شرق الأندلس فيمر قريبا من مدينة طليطلة، ويخرج من حوالي طليطلة متجها إلى المغرب، ثم ينعطف عند المشرق ويعود بعدها إلى المغرب فيسير حتى حدود ماردة وحدود شنترين، ومِنْ ثَمَّ يصب في بحر المحيط. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤٢؛ البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١-٢٤٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢-٥٥٣؛ الحميري، الروض المعطار، ١٢٧.

(٢) ويسمى يآنة أيضاً ويعدّ من أشهر أنهار الأندلس، ويسمى النهر الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطرة فسمي الغؤور، ينبع من موضع يعرف بفج العروس، من الأطراف الشرقية لهضبة قشتالة، ومِنْ ثَمَّ يتجه غرباً ماراً بمدينة قلعة رباح يقال لها يآنه، ثم الأرك ثم ماردة، وعند مدينة بطليوس ومِنْ ثَمَّ يتجه نحو الجنوب ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة قسطلة دارج، وامتداده ثلاثمائة وعشرون ميلاً. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٩٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٢/٢-٥٤٣، و ٥٤٥، و ٥٥٠، و٥٥٥؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٦٦-١٦٧، و ١٧٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٦٩؛ بوباية، البربر في الاندلس، ص١٢٠؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩١م)، ط٢، دار القلم-بيروت لبنان، ١٩٨١م، ص٣٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢.

(٥) البلدان، ص١٩٤.

في هذه المدينة ما حدث بين بربر طليطلة بقيادة المتمرد عبد الرحمن بن يوسف الفهري[١] ضد الأمير عبد الرحمن الداخل، إذ نقض الفهري عهده وخرج سنة (١٤١هـ/٧٥٨م)، على حكومة قرطبة واجتمع إليه زهاء عشرين الفاً من البربر[٢].

كما تميزت قرطبة عن غيرها من المدن الأندلسية، منذ أن أصبحت عاصمة الإمارة الأموية، إذ شدت إليها الرحال، فقصدها من يطلب الجهاد للتجنيد، وأصحاب الفكر والقلم في طلب العلم، وكانت مزدهرة في أسواقها وتجارتها رائجة، فكان من الطبيعي جداً أن نجد فيها استقرار البربر في جهاتها جميعاً، لكونهم أول الداخلين من الفاتحين ومعرفتهم بها، ذلك لعلاقاتهم على مر العصور القديمة وذلك لقرب ديارهم من الأندلس، وكان معظمهم ينتمون إلى قبائل زناته، ونفزه، وصنهاجة، ومصمودة[٣].

ومن هؤلاء الصنهاجيين الذين عاشوا بالأندلس بنو الغليظ رهط أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم الأديب[٤]، فضلاً عن ذلك يشير ابن حزم إلى أماكن سكن بنو الغليظ واستقرارهم بقوله: "ومنهم عمر بن شعيب أبو حفص المعروف بالغليظ البلوطي، من أهل قرية بطروح، من أعمال فحص البلوط[٥] المجاور لقرطبة[٦]، إنه كان من فلّ الربضيين، وأنه الذي غزا أقريطش[٧] وافتتحها بعد سنة

(١) عبد الرحمن بن يوسف الفهري، جده عقبة فاتح المغرب العربي، ويعد أخر الولاة على الأندلس، إذ تولاها في سنة (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦م-٧٥٥م)، وفي سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) دارت معركة حاسمة بالقرب من قرطبة عند موضع يسمى المصارة بين عبد الرحمن بن معاوية الأموي ويوسف الفهري وحليفه الصميل بن حاتم انتهت بهزيمتهما امام قوات عبد الرحمن الداخل، وفر على اثرها يوسف الفهري إلى طليطلة والتقى عاملها الذي حشد له الجنود لقتال الداخل إلا أن محاولاته بائت بالفشل الذريع وقتل في سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م) على يد عبد الله بن عمر الأنصاري. ينظر: ابن عساكر،= =تاريخ دمشق، ٤٤٨/٣٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٦/٥-٧٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٤٧/٢-٣٥٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٥/٢-٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٦/٤-٢٩٧.

(٢) المقري ، نفح الطيب، ٣٢٩/١.

(٣) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨؛ بوباية، البربر في الاندلس، ص١١٩.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٠.

(٥) اقليم بالأندلس بينه وبين قُرْطُبة مرحلتان أو ثلاث، ومن هذا الفحص جبل البرانس، وفيه معدن الزئبق، ويتصل بأحواز بأحواز فحص البلوط أحواز فريش وتنتظم قراه بقراها. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ٤٣٥/١-٣٣٦.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٣٦/١، و ٤٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ٢١١/٤؛ المقري، نفح الطيب، ١٢/٤.

(٧) هي جزيرة من جزر البحر الرومي مشهورة وعظيمة وامتدادها من الغرب إلى الشرق التي ينجلب إليها السمك، طولها ثلاثمائة ميلاً وعرضها كذلك، وهي كثيرة الخصب. ينظر المسعودي، أخبار الزمان، ص٦٧؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص١٣١-١٣٢؛ وقال ياقوت الحموي عنها جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر افريقيا لوبيا. ينظر: معجم البلدان،

ثلاثين ومائتين للهجرة، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة"[١]، وزاد الضبي قائلاً: "وكان أكثر المفتتحين لها معه أهل الأندلس ... وشعيب بن عمر بن عيسى أبو عمر صاحب جزيرة أقريطش، كان تولى فتحها بعد سنة عشرين ومائتين للهجرة ... فقد اختلف في اسمه أولاً فقيل: عمر بن شعيب وثانياً قيل: شعيب بن عمر..."[٢]، إلا أن ياقوت الحموي يؤكد بقوله: "وقيل: فتحت بعد سنة خمسين ومائتين للهجرة على يد عمرو بن شعيب المعروف بابن الغليظ، أنّه كان من أهل قرية بُطروح من عمل فحص البلّوط من الأندلس وتوارثها عقبه سنين كثيرة، وكان أول من افتتحها شعيب ابن عمر بن عيسى، وكان سمع يونس بن عبد الأعلى وغيره بمصر، ثم ندب لفتحها فسار إليها حتى افتتحها، وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم، إلى أن أناخ عليها نقفور بن الفقاس الدّمستق في خلافة المطيع، وتملك أرمانوس بن قسطنطين في آخر جمادى الأولى سنة تسعة وأربعون وثلاثمائة للهجرة، في اثنين وسبعين ألفاً، منهم خمسة آلاف فارس، ولم يزل محاصرا لها حتى فتحها عنوة بالحرب والجوع في نصف المحرم سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة، فقتل ونهب وسبى وأخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب من ولد أبي حفص عمر بن عيسى الأندلسي وأمواله وبني عمه، وحمل ذلك كله إلى القسطنطينية، وقيل: إنه حمل إلى القسطنطينية من أموالها وسبي أهلها نحو ثلاثمائة مركب، وهدموا حجارة المدينة وألقوها في الميناء الذي دخلت مراكبهم فيه لئلا يدخل فيه بعدهم عدوّ"[٣].

ويشير ابن حيان في أخبار سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م)، التي كانت من اكثر السنوات هجرة، وإلى أنه دخل قرطبة في رجب بجمع من أهل صنهاجة على رأسهم ابراهيم بن مسهول الصنهاجي ومحمد بن خلف الكتامي، اذ هما وجهان من وجوه قومهما على الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي قبل وفادتهم

٢٣٦/١؛ أبي، الفدا، تقويم البلدان، ١٩٤-١٩٥؛ وكذلك ذكرها ابن خلدون هي جزيرة من جزر البحر الرومي ما بين صقلية وقبرص في مقابلة الاسكندرية. ينظر: العبر، ٢٧٠/٤.

(١) ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق: احسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ١٩٨١م، ١٧٤/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٠٧؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٨٥/٢٤-٣٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ٢٧٠/٤؛ المقري، نفح الطيب، ١٦٢/٣.

(٢) بغية الملتمس، ص٤٠٧.

(٣) معجم البلدان، ٢٣٦/١.

ورحب بهم وأنزلهم مدينة قرطبة[١]، فضلاً عن ذلك انضمام بيوتات لها وفرة وثروة من بربر صنهاجة وغيرهم داخل قرطبة[٢].

والتحق بالأندلس جمع من صنهاجة بعد الصراع الذي عرفه البيت الزيري، وعندما تولى باديس بن منصور السلطة سنة (٣٨٦هـ/٩٩٥م)، استصغره أعمامه زاوي وماكسن، فثاروا عليه والتحقوا بجبل شنوق أو شنون[٣]، فحاربه عمه حماد، فهزمهم، وقتل ماكسن وأولاده محسن وباديس وحباسة بعد حروب شديدة، فخاف الآخرون، وعلى الرغم من العفو الذي حصلوا عليه، إلا أنهم طلبوا الجواز إلى الأندلس سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م)، فأجتاز زاوي وأبناء أخيه حباسة وحبوس وأخواه جلال ومعتز في عدد من رجالهم إلى الأندلس[٤]، وعلى ما يبدو أن هذه الهجرة كانت في الشهور الأخيرة من عهد المنصور ابن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) وبداية عهد عبد الملك المظفر(٣٩٢-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، إذ ذكر ابن خلدون أن المنصور "استدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة، فرتّب منهم جنداً، وأصطنع أولياء، وعرّف عرفاء من صنهاجة، ومغراوة، وبني يفرن، وبني برزال، ومكناسة وغيرهم، فتغلّب على هشام وحجره وأستولى على الدولة، وملأ الدنيا وهو في جوف بيته مع تعظيم الخلافة والخضوع لها"[٥]، فضلاً عن ذلك إن المهاجرين الصنهاجيين الذين دخلوا إلى الأندلس مع كبيرهم زاوي بن زيري بن مناد سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، بدليل ما ذكره ابن الاثير، ولاسيما بعد وصولهم إلى الأندلس، سألهم محمد بن أبي عامر عن سبب هجرتهم بعد أن أكرمهم وأجرى عليهم الوظائف وأتخذهم بطانة دولته فأخبروه وقالوا له أنما إخترناك على غيرك، وأحببنا أن نكون معك ونجاهد في سبيل الله فأستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا أياماً وبعدها عادوا وسألوه إتمام ما وعدهم به من الغزو، فأذن لهم أن يأخذوا من الجند ما يشاؤون ولكنهم رفضوا وقالوا لا يدخل معنا بلاد العدو غيرنا الذين معنا من بني عمنا، وصنهاجة ومواليا

(١) المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية-بيروت، ٢٠٠٦م، ص٧٨-٧٩.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٢٠٨/٦ و ٢٢٨ و ٢٣٨.

(٤) ابن بلقين، التبيان، ص٣١-٣٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٠٩/٧-٥١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٢/١ ٢٦٣/٣؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ١٩٠/٢٤-١٩١؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٩/٦ و ٢٢٨ و ٢٣٨.

(٥) العبر، ١٨٩/٤.

فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال، وقاد زاوي حملته الجهادية في رجاله الصنهاجيين باستثناء أدلاء أندلسيين، وحقق نصراً مهماً[١].

ومن خلال النصوص السابقة نستنتج أن هؤلاء الصنهاجيين الذين وفدوا إلى قرطبة واستقروا مع أُسرهم فيها، وإن كانت الحاجة تستدعي عدم بقائهم فيها، ولاسيما بعدما نظروا لأنفسهم اجناد يستعان بهم على الكريهة، أينما حدثت فتنة يذهبون لإطفاء لهيب نيرانها والقضاء على بذورها.

وأشار ابن عذاري إلى وجود قاطنة بربرية تتمثل في مدينة طلبيرة[٢]، الذين ينتمون في أغلبيتهم إلى قبائل مختلفة من البرابر من أوربة، وصنهاجة، ومصمودة وغيرهم[٣].

وفي وادي الحجارة (Guadalajara)[٤] التي كانت تعرف في القديم الفرج بالأندلس وهي بين الجوف (الشمال) والشرق من قرطبة[٥]، فيها جموع مختلفة من القبائل البربرية ومن بينها صنهاجة، إذ وردت إشارة عند اليعقوبي في معرض حديثه عن المدينة إذ قال: "إن مدينة وادي الحجارة كان عليها رجل من البربر يقال له: مسل بن فرج الصنهاجي[٦] يتولاها يدعو لبني أمية، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد"[٧].

ويدل هذا النص دلالة واضحة على التواجد البربري الكثيف في هذه المدينة، وعلى رأسهم قبيلة صنهاجة، التي من المحتمل جداً أنها كانت تمثّل غالبية البربر في هذا الثغر الأوسط، الذي يعدّ أقصى

(١) الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٧-٤٠٠.

(٢) البيان المغرب، ٦٤/٢.

(٣) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٠-٢٧٣.

(٤) يطلق عليها ايضاً مدينة الفرج، وهي بين الجوف (الشمال) والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات، ولها أسوار حصينة. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦؛ ينظر ايضاً: الدرويش، العلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية من مدن وحصون طليطلة (مدريد- وادي الحجارة – أقليش – طلمنكة)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٨، ص٦١-٦٩.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦.

(٦) لم اجد له ترجمة في المصادر التاريخية سوى اسمه الذي ورد عند اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤-١٩٥.

(٧) البلدان، ص١٩٤-١٩٥.

المناطق التي يسكنها المسلمون، وهم بذلك يتاخمون الحدود الجنوبية لمملكة النصارى الواقعة خلف نهر دُويُره(Rio El Duero)[١][٢].

أما مدينة جيان فقد سكنها الكثير من البربر، منهم بنو دراج الذين ينتمون إلى قبيلة صنهاجة وكانوا مقيمين بقسطلة دراج[٣] وهي قرية في غرب الأندلس[٤]، من أعمال جيان، وعلى ما يبدو أن دخول دخول هؤلاء إلى الأندلس في أثناء افتتاحها على يد طارق بن زياد سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، "وكان منهم محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان من ولد ذر بن عيسى بن دراج"[٥] وهذا ما أكده ابن سعيد قائلاً: "إن دراجاً جدّ الشاعر الأعلى وبنيه تداولوا على رياسة بلدة قسطلة"[٦].

ومنهم الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلي الصنهاجي[٧]، كما سكنها بنو زيري بن مناد الصنهاجي وكانت تحت حكم حبوس بن ماكسن[٨]، واتخذ بعض من أفراد صنهاجة وهوارة من كورة جيان وما حولها سكناً ومستقراً لهم[٩]، ومن أسماء الأماكن البربرية بكورة جيان مكان يحمل اسم صنهاجة (Ceneja) يحتمل أن يعود هذا الاسم إلى

---

(١) هو أحد أنهار الأندلس الكبرى كثير الماء شديد الجريان عميق القعر وعلى ضفته مدينة سمورة وبين سمورة والبحر ستون ميلا، ويصب في البحر الأطلسي. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٧/٢.

(٢) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٢٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١-٥٠٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٩/١.

(٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الانوار، ص١٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٩/١.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١-٥٠٢

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف-القاهرة، ١٩٥٥م، ٦٠/٢، ابن شمائل شمائل القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٩٩١م، ١٠٩١/٣.

(٧) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١-٥٠٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١٣-١١٤؛ ابن بشكوال، أبو القاسم القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، دار مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٥٥م، ص٤٤؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الانوار، ص١٨٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦١؛ ابن دحية الكلبي، المطرب من اشعار اهل المغرب، ص١٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٥/١، ١٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٦٥/١٧.

(٨) ابن بلقين، التبيان، ص٣٤.

(٩) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانة بإكسفورد الأب ملتشور م. م. أنطونيا، بولس كنتر الكتبي بباريس، ١٩٣٧م، ص٢٥.

فترة استقرار بني زيري بالكورة أو إلى عهد المرابطين خلال القرن (٥هـ/١١م)[١]، من خلال هذه الإشارات الإشارات القليلة يمكن أن نستنتج تواجد البربر بالكورة، لكنهم يمثلون أقلية من بين سكانها الذين ينتمون إلى عدت قبائل منها هوارة وملزوزة وصنهاجة[٢].

وعندما تولى الحاجب المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري أمارة غرناطة من سنة (٤٠٣-٤١٠هـ/١٠١٢-١٠١٩م)، جمع حوله ابناء عمومته من صنهاجة، الذين اتخذوا معاقل كثيرة سكناً لهم منها مدينتي قَبْرَة (Cabra)[٣] وجيان التي غلب عليهما حبوس بن ماكسن وتملكهما[٤].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٧٠-٢٧٣، و٢٩٤؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٣٩؛ سالم، مدينة قادس، ٨٧-٩٢.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨؛ حقي، البربر في الاندلس، ص٨٢.

(٣) مدينة بالأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، اكثر أرضها بيضاء، ذات مياه سائحة من عيون شتى، وهي مدينة حصينة كثيرة الأشجار والكروم. ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٧٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧١/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٤/٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١ ابن خلدون، العبر، ١٩٤/٤.

المبحث الثاني: مكانتهم الاجتماعية:-

إنّ دراسة الحياة الاجتماعية تعطي أهمية بالغة في تاريخ الشعوب عامة والإسلامية بصفة خاصة، ولاسيما أُبان العصور الوسطى، ولكن العائق الذي يواجه الباحث في هذا الموضوع هو ندرت المعلومات المتعلقة بهذا الجانب وتوزعها وتشتتها في المصادر التاريخية على اختلاف أنواعها، والتي تركز في أغلب صفحاتها على الجوانب السياسية والعسكرية(١).

ويؤكد كيشار(Guichard) المختص في تاريخ الأندلس الإسلامية أن الحياة الاجتماعية في بلاد الأندلس أبان الوجود الإسلامي لم تحظ إلا بدراسات قليلة جداً، ويضيف قائلاً: أن السجلات التاريخية التي أعتمدها الباحثون حتى الآن كمصادر أساسية في دراسة تاريخ الحقب الأندلسية المختلفة لم تسمح بأكثر من ارساء السياق السياسي العام للأحداث التاريخية، ولذلك فهي لا تكاد تلمح بشيء عن حقائق الخلفية الاجتماعية السائدة، أما النصوص الأدبية والقانونية التي ظلت لزمن طويل من مواضيع الدراسات العديدة المتخصصة فأنها لا تكشف في أحسن الأحوال إلا عن جوانب اجتماعية محدودة مقتصرة على فئات قليلة للغاية من عناصر المجتمع الأندلسي كطبقة الكتاب والمثقفين ذوي الصلة الوثيقة بالحكام(٢).

ولكن عند البحث في المصادر التاريخية نجد الفاتحين من البربر الذي يقدر عددهم بأثني عشر الف جندي(٣)، إلا أن الدراسين اختلفوا حول ما إذا كان الفاتحين قد دخلوها جماعات فردية من دون النساء أو أنهم حملوا معهم أسرهم، لكن كيشار (Guichard) من خلال تحليله للمسألة يبرز أن تقاليد الجيش الإسلامي في هذا العصر تقتضي مرافقة أُسرة المقاتل له، أضف إلى ذلك أن المقاتلين البربر، إذ لم يصطحبوا معهم أُسرهم منذ البداية، ربما استدعوها بعد ذلك(٤).

ويبدو أن هذا الرأي يستند إلى منطق تاريخي واضح، ولعله يزيد قوة، إذا علمنا أن البربر استطاعوا أن يحتفظوا بلغتهم وأنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم، وهذا لا يمكن تحقيقه لو تزوجوا باثنتي عشر الف امرأة اسبانية قوطية كلّهم، وأول عنصر سيفقد في هذه الحالة هو اللغة والتقاليد الاجتماعية، ولاسيما إذا علمنا أن البربر استقروا في مواطن الأندلس جنباً إلى جنب مع الأهالي الاسبان، ولهذا فالجواز

(١) بوباية، البربر في الأندلس، ص٢٦١.

(٢) نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٢٦١.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥/٤.

(٤) نقلاً عن حقي، البربر في الاندلس، ص٣٤-٣٥.

الجماعي يبدو أكثر ترجيحاً، وهذا ما سيجعل عدد من هاجروا مضاعفاً مرتين أو ثلاث، ويفسر لنا الثقل الذي مثله رجال الدفعة الأولى طيلة تاريخ الأندلس(١).

وعند تتبعنا لمظاهر الواقع الاجتماعي لصنهاجة في الأندلس، لا بد أن نتسائل ما هي ملامح حياتهم الاجتماعية؟ وما مدى فاعليتها وتأثيرها في الجانب الحضاري في بلاد الاندلس؟ وما هي مكانتهم الاجتماعية التي احتلها الصنهاجيون في بلاد الأندلس؟ وإلى أي: مدى حافظ الصنهاجيون على حياتهم وثقافتهم الاجتماعية؟ وما مدى تعرب لسانهم في بلاد الأندلس وما مدى المحافظة على هويتهم ولسانهم البربري؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لا بد لنا التمييز بين العناصر البربرية في الأندلس التي تتكون من فئات اجتماعية متعددة، إذ وردت اشارة عند ابن عبد الحكم تبين ذلك في قوله: "ثم خرج موسى بن نصير إلى الأندلس في سنة (٩٣هـ/٧١١م)، بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر"(٢)، وأشار إلى ذلك أيضاً مؤلف مجهول بقوله: "دخل موسى ومعه ثمانية عشر الفاً من قريش والعرب ووجوه الناس"(٣)، ونرجح أن قول وجوه الناس تقابل عرفاء البربر المذكورة أعلاه، وهذه إشارة مهمة تؤكد على وجود تراتبية اجتماعية لدى البربر في الأندلس بشكل عام وصنهاجة بشكل خاص التي تتكون منها شرائح اجتماعية متعددة فيها الأعيان وغيرهم، إذا ما علمنا أن البربر الذين شكّلوا طلائع الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، واستحواذهم على الغنائم والأراضي الخصبة المتواجدة فيها، ويؤكد ذلك ابن حزم بقوله: "ثم دخل البربر والأفارقة، فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة"(٤)، وهذا يعني أن الفاتحين الأوائل الذين يطلق عليهم تسمية البلديين استولوا على أكثر الأراضي الخصبة، ويؤيد ذلك ابن الخطيب قائلاً: "فالداخلون مع موسى وطارق يسمون بالأندلس في الرسوم والخطوط ولإقطاعات بالبلديين، والداخلون مع بلج بن بشر يسمون بالشاميين"(٥)، لكن بعد الهزيمة التي تعرض لها البربر عند قيام ثورتهم سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)، لاحق

(١) حقي، البربر في الاندلس، ص٣٥.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٥؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٩/٢٤؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٠/٤.

(٣) فتح الأندلس، تحقيق: مولينا، ص٢٤.

(٤) رسائل، ١٧٥/٣.

(٥) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه وعلق عليه ونشره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٩٢٨م، ص١٦-١٧.

العرب الشاميين بقيادة بلج بن بشر بن عياض القشيري، البربر الثائرين واخرجوهم وسلبوا جميع ممتلكات الفاتحين الأوائل وأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم(١).

لكن على الرغم من ذلك فقد استطاعت فئة قليلة من بربر صنهاجة أن تحافظ على ممتلكاتها وتصبح لها قوة اجتماعية وسياسية فاعلة، حظيت باهتمام بالغ من خلال ذكر أخبارها ومن أبرز الأمثلة على ذلك بنو عبد الوهاب الصنهاجيين من ولد ميمون بن أبي جميل ابن اخت طارق بن زياد بقوله: "وكانت لهم ثروة وعدد"(٢)، وكذلك بنو زيري الصنهاجيين المتمثلون في زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد والذي عرف بثرائه الفاحش، في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، إذ أن عبد الملك بن محمد بن أبي عامر قلد زاوي وزارته لكن الأخير رفضها، وسبب ذلك نجده في رده على رسول عبد الملك المظفر بالقول: "أن خطتنا الإمارة لا الوزارة" وبذلك استصغر هذه الوظيفة، وأعرض عن قبول توليها، فبلغ ذلك المظفر، فحقد عليه وقطع عنه مستحقاته لذلك أخرج زاوي من ذخائره "أعلاقا نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وانفقها على قومه صنهاجة"(٣).

إن هذا النص يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن زعيم صنهاجة قد نقل معه في هجرته إلى الأندلس ثروة كبيرة كانت تغنيه ومن معه من قبيلة صنهاجة عن الحاجة إلى ما تقدمه الدولة لهم(٤)، ويؤكد زاوي بن زيري الصنهاجي ثراء بني قومه بقوله: "فأعلموا أنه لم نأت الأندلس إلا وأجلبنا مع أنفسنا من الأموال ما لا نحتاج فيه إلى أحدٍ، بانيين على الإقامة إن اضطررنا إليها، ولم نأتها عن فاقة ولا سعاية"(٥).

كما كان لنسب البربر دور كبير في الوصول إلى أسمى الوظائف الادارية في الدولة الأموية بالأندلس، ومِنْ ثَمَّ الحصول على مكانة هامة ضمن قمة السلم الاجتماعي، ولاسيما فقهاء البربر ومن

(١) ابن حزم، رسائل، ٣٢/٣، ١٧٥؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٧-٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢-٣١، مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق: مولينا، ص٥٢-٥٤.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.

(٣) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد العربي المعافري الاشبيلي (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط، ورقة١٥٤. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٢٦٧.

(٤) بوباية، البربر في الأندلس، ص٢٦٧.

(٥) ابن بلقين، التبيان، ص٣٥-٣٦.

هؤلاء بني عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد الأنصاري الصنهاجي من ولد ميمون بن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد الذين كان منهم قوّاد وكتاب وفقهاء وأُدباء[١]، ويشير أحد الباحثين أنه بلغ عدد الموظفين من البربر الذين تولوا المناصب الادارية أو القضائية في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، يعادل عدد المغاربة أنفسهم، الذين تولوا هذه الوظائف خلال كل الفترة التي سبقت تاريخ تولي الناصر للسلطة[٢]، ويحتمل أن يكون من هؤلاء الشخصيات التي تعود أُصولها البربرية إلى قبيلة صنهاجة التي صرح بها ابن حزم وصاحب مفاخر البربر والحميدي عن صنهاجة أنه كان منهم في الأندلس بنو الغليظ أبناء أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم، من أهل العلم والأدب، ولي قضاء مالقة، وكذلك من صنهاجة ثابت بن ورزيدان الأمير[٣]، وعبد الملك بن سكرديد، وميمون بن علي، وزراء الناصر، وإبراهيم بن العلاء الكاتب المشهور من أهل قرطبة وجماعة كثيرة لا تحصى[٤].

وإنّ الحديث عن المكانة الاجتماعية لصنهاجة بالأندلس، يدفع الباحث أن يتعرف على صفاتهم التي اتصفوا بها ومِنْ ثَمَّ الخوض في هذا المضمار، إذ ذكر ابن خلدون نصاً قال فيه: "أن هوارة وصنهاجة وبعدهم كتامة وما أقاموا من الدولة التي ملكوا بها المغرب والمشرق، وزاحموا بني العباس في ديارهم وغير ذلك منهم كثير، وتخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل، ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات في الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم، وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون إسوة لمتبعيه من الأمم، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها، واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقي العز، وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدي

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.

(٢) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٨١.

(٣) لم يذكره ابن حزم في جمهرته ولم اهتدي إلى ترجمته.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٠، ٢٤٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٠٦، و٣٢٥؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦-١٨٧.

أيديهم ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم، وكان من مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى بلكين بن زيري الصنهاجي"[١].

إن البربر بشكل عام وبما فيهم صنهاجة على الرغم من تحملهم أعباء الفتح وتوطيد دعائم الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس، إلا أن هذا الأمر بالمجمل لم يشفع لهم من النظرة الدونية التي يراها العرب لهم وما هي على أرض الواقع إلا لتكريس التمايز العرقي بين الأجناس المتكون منها المجتمع الأندلسي، إذ نجد ذلك جلياً عند الشاعر خلف بن فرج السميسر الألبيري[٢]، الذي يعد من ألذع الشعراء في هجاء البربر، بعد هروبه من قبضة بلقين بن زيري صاحب غرناطة، الذي أراد أن يفتك به، إذ ورد عن لسانه:

رأيت آدم في نومي فقلت له:	أبا البريةِ إنّ الناس قد حكموا
أن البرابر نسلٌ منك، قال: إذن	حواء طالقةٌ إنْ كان ما زعموا[٣]

فضلاً عن ذلك نجد نصاً آخر يورده المقري، أبياتاً للخليفة سليمان المستعين حليف البربر بقيادة باديس بن حبوس الصنهاجي والي غرناطة سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) يهجوهم بقوله:

فوا عجباً من عبشميّ مملّكٍ	برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو أن أمري بالخيار نبذتهم	وحاكمتهم للسّيف حكماً محرّرا
فإمّا حياة تستلذّ بفقدهم	وإمّا حمامٌ لا نرى فيه ما زرى[٤]

ويورد المقري نصاً لشاعر آخر أيضاً يهجو سليمان المستعين، لأنّه حالف البربر بقوله:

لا رحم الله سليمانكم	فإنّه ضدّ سليمان
ذاك به غلّت شياطينها	وحلّ هذا كلّ شيطان
فباسمه ساحت على أرضنا	لهلك سكان وأوطان[٥]

(١) العبر، ١٣٥/٦.

(٢) هو أبو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسميسر، شاعر هجاء، اصله من البيرة، ادرك الدولة العامرية وانقراضها، توفي سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م). ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٠/٢؛ الزركلي، الاعلام، ٣١١/٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، ٤١٢/٣.

(٤) نفح الطيب، ٤٢٨/١-٤٣٠.

(٥) نفح الطيب، ٤٢٩/١.

ولعل زيادة التباغض والضغينة بين العنصر البربري والعربي بلغ أشدّه، وقد فسر ابن رشد هذه الظاهرة بعبارة بليغة الأثر بقوله: "وأما البغضة والعداوة فإنها تكون للجنس، فإنا نبغض البربر ويبغضوننا"(١).

المبحث الثالث: نشاطهم الاقتصاديّ:-

إنّ من أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها الصنهاجيون في الأندلس هي مهنة الزراعة والحراثة، وعلى ما يبدو أن اليد العاملة الأندلسية كانت تتكون من فلاحي البربر بالدرجة الأولى، إذ شكلوا المحرك الأساس للاقتصاد الزراعي الأندلسي، مما يؤيد ذلك ما ذكره ابن عذاري عن الاقتراح الذي قدمه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار القائم على الخليفة الاموي هشام المؤيد سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) للبربر الملتفين حول سليمان المستعين الذي بايعه البربر بالخلافة بعد اضطهاد المهدي وجنده لهم، بقوله: "وركب البكري وهو أحد الوزراء فدار قرطبة وأرباضها يقول للناس: قد عفا أمير المؤمنين المهدي عن البربر على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا حرّاثين كما كانوا"(٢)، وهذا يعني أن أغلب البربر المغاربة الثائرين ضد المهدي كانوا يعملون قبل سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، في الأراضي الزراعية، وهناك نص آخر يورده ابن عذاري بقوله: "وكتب سليمان إلى أهل قرطبة يحذرهم الفتنة ويعدد عليهم ما كان البربر يوالونهم من الجهل ويحتملون منهم من الأذى... ونزل البربر على كل زرع حول قرطبة يحصدون ويأكلون ويقفون بقرب الخندق فيقولون: اخرجوا إلينا الحصادين فإنا نضمن لكم لا ندع حبة واحدة"(٣)، وهذين النصين يبينان أن المجتمع الأندلسي قد تضرر كثيراً جراء ترك البربر لمهنة الزراعة واصبحوا يناجونهم للعودة لأراضيهم.

ولعل اهتمام الصنهاجيين بالزراعة، قد ولد عندهم عدة معتقدات مصاحبة لهذه المهنة التي نقلوها من بلاد المغرب ومنها إذا لم تمطر السماء في شهر أبريل كانت غلّة القمح منعدمة في البوادي(٤)، ولهذا يعدون أن الماء الذي ينزل من السماء في هذه المدة ((نيسان))، ذو بركة إلهية، فكان يحتفظ به كثير من

---

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية– القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٣١١–٣١٢.

(٢) البيان المغرب، ٨٢/٣.

(٣) البيان المغرب، ١٠٦/٣–١٠٧.

(٤) ابن سعيد القرطبي، أبي الحسن عريب بن سعيد الكاتب (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، كتاب الأنواء أو ما يسمى بتقويم قرطبة، نشره رينهرت دوزي، ١٨٧٣م، د.م، ص ٤٢–٤٧؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ٨١/١.

الناس في قوارير صغيرة للتبرك به[١]، وهذا ما يجعلنا نربط هذا المعتقد أو هذه الثقافة الشعبية الموروثة والمنتشرة لدى الفلاحين أنه من العادات الراسخة التي أدخلها البربر إلى الأندلس، وما يؤيد ذلك الأمر ما جاء عن لسان ابن الخطيب بقوله: "وربما كانت هذه الطبقة متميزة بالإحسان تميز البركة بمطر النيسان"[٢].

إنّ استقرار البربر ومنهم الصنهاجيين في الأندلس يرتبط إلى حد كبير بنمط الحياة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها في بلاد المغرب[٣]، إذ أورد ابن الأحمر نصاً غاية في الأهمية يبين فيه النشاطات المهنية الممارسة في الأندلس من قبل جميع الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، ولاسيما البربر عندما يقول: "أما البربر فإنهم احترفوا بجلب البقر والقمح والسمن والزيت والعسل والصوف والدجاج والفواكه والملح والأعواد وخدمة الفحم والخشب ونحو ذلك، وأهل الحاضرة منهم احترفوا ضفر الحلفة، وخدمة الأوعية أي: السلل للزرع، وفتل القنب والمحاريث والبرذاع للبهائم والحبال والشطاطيب لكنس الديار وصيادة الطيور للأكل، والحملان في الأسواق، وحملان الزرع إلى الديار وبيعه في الأسواق، وخرز الدلاء وجلب الماء والبناء وطبخ الجير والجبس ونحو ذلك... ومن ولي البحر منهم كانوا يجلبون الحوت والسردين وآخرون يصنعون السفن وآلاتها إلى غير ذلك"[٤].

من خلال النص يتبين أن البربر كانوا يشتغلون في عمومهم بمهن عديدة كالرعي ونقل المواد الزراعية والنباتية بالنسبة لسكان البوادي، أما أهل المدن فأنهم لم يكونوا بأحسن حال منهم، إذ كانوا يشتغلون بصناعة الأدوات المخصصة لجمع الثمار ووسائل حراثة الأرض وأدوات التنظيف وجلب الماء ونقله إلى أهل المدن إضافة إلى العمل بالبناء وتوفير المواد الضرورية لذلك من جير وجبس[٥].

وتتجلى معالم الارتباط الشديد للبربر بمهنة الرعي من خلال بعض الاشارات التي وردت عند ابن عذاري خلال الفتنة الأندلسية وما تعرض لها البربر من المضايقات الشديدة بقوله: "واجتمع اهل البلد

(١) ابن سعيد القرطبي، تقويم قرطبة، ص٤٨-٥٠؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ٧٩/١.

(٢) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٦٣م، ص١٥٨.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٨٠.

(٤) بيوتات فاس الكبرى، ص٢٤.

(٥) بوباية، البربر في الأندلس، ص٢٧٧.

والعبيد بقرطبة فتحالفوا بأيمان البيعة أن تكون أيديهم متفقة وكلمتهم في حرب البربر واحدة"[١]، وعلى الرغم من ذلك نجد أن البربر لم يتخلوا عن ماشيتهم لما تم إخراجهم من جيان[٢]، إذ يشير ابن عذاري في قوله: "وخرج البربر من جيان إلى ارماط... وقد ملؤوا أيديهم من البقر والغنم حتى عجزوا عن ضبطه فكان جياع أهل قرطبة يسيرون ليلاً على رعاة متفرقة فيأخذون منها ما قدروا عليه فلا يتورع عن شرائها كبير ولا صغير ثم نذروا لهم البربر فقعدوا لهم فكانوا يقتلون في كل ليلة العشرة والعشرين والثلاثين وقتلوا منهم في ليلة واحدة أكثر من مائة فانقطعوا عن غنم البربر جملة"[٣].

كما أهتم الصنهاجيون بالمعادن واستخراجها من باطن الأرض، حتى سميت بعض أماكن المعادن بأسمائهم، إذ ذكر البكري نصاً قال فيه: "والمغنطيس الجاذب للحديد يوجد بالأندلس بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير مرسية"[٤]، ونعرف أن كل مناطق الاستغلال المنجمي بالأندلس استقطبت ساكنة بربرية منذ فترات قديمة[٥]، وكذلك الحال بالنسبة لمدينة طليطلة التي سكنتها العديد من القبائل البربرية ومن ضمنها صنهاجة[٦]، إذ عمل أغلبهم في جبالها لكثرة معادن الحديد والنحاس فيها[٧]. فيها[٧].

كما أشار ابن الفقيه حول موضع فحص البلوط(Pedrochos)، الذي يسكنه بعض أفراد صنهاجة بقوله: "وبها معدن الزيبق في موضع يقال له فحص البلّوط، ومن معدن الزيبق إلى قرطبة خمسة أيّام، وأهلها بربر"[٨]، وذكر ذلك البكري أيضاً بالقول: "وفي جبل البرانس من احواز قرطبة، معدن الزئبق الرفيع

(١) البيان المغرب، ١٠٦/٣.

(٢) ينظر: رابعاً عن مواطن استقرار الصنهاجيين في وسط الأندلس، ص٨٧- ٩٣.

(٣) البيان المغرب، ١٠٦/٣.

(٤) المسالك والممالك، ٨٩٨/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٥) حقي، البربر في الأندلس، ص٨٤.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢؛ المقري ، نفح الطيب، ٣٢٩/١.

(٧) الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، مطبعة ليدن المحروسة- هولندا، ١٨٦٣م، ص١٨٨.

(٨) البلدان، ص١٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٩٢/١؛ الحميري، الروض المعطار، ٤٣٥/١-٤٣٦.

الرفيع القدر"[١]، ويؤكد هذا الأمر الحميري ايضاً بقوله: "وإلى فحص البلوط الذي به جبل البرانس وفيه معدن الزئبق"[٢]، وبناءً على هذه المعلومات نستطيع أن نستنتج أن بني الغليط الصنهاجيين من "أهل قرية بطروح من أعمال فحص البلوط المجاورة لقرطبة"[٣]، والذين استقروا فيها، وربما زاولوا مهنة تصفية معدن الزئبق.

ومن المعادن الأُخرى التي عملت على تنقيبها أفراد قبيلة صنهاجة الذهب والأحجار الكريمة في غرناطة "الحجر النجادي بالجبل الذي حول الأشبونة[٤]، فتلك الأنبلة يتلألأ فيها ليلاً، كالسراج المضيئة"[٥]، واستخرج الصنهاجيين أيضاً الذهب الذي يوجد في بوادي غرناطة [٦].

(١) المسالك والممالك، ٨٩٨/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٩٢/١؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع، ٢٢٠/١.

(٢) الروض المعطار، ص٤٣٥.

(٣) ابن حزم، رسائل، ١٧٤/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٠٧.

(٤) وردت تسمية هذه المدينة بألفاظ مختلفة فجاءت أشبونة ولشبونة والأشبونة في غربي إشبيلية وشماليها، وهي مدينة قديمة بالأندلس تقع في غربيّ باجة، تتصل عملها بأحواز مدينة شنترين وهي قديمة البنيان قريبة من البحر غربي قرطبة. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٧/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢-٥٤٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١. ينظر أيضاً: الدرويش، العلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (تطيلة – سمورة – طركونة – قلعة رباح– لشبونة– لورقة– مدينة سالم)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق، ٢٠١٨، ص١٨٦-١٩٣.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٢-٥٣.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٢-٥٣.

الفصل الثالث

الدور السّياسيّ والعسّكريّ لصِنْهاجة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)

المبحث الأول/ دورهم في عَهْدَيّ الفتح والولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م)

المبحث الثاني/ دورهم في عهد الإمارة الأندلسية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)

المبحث الثالث/ دورهم في عهد الخلافة الأموية حتى نهاية الدولة العامريّة (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م)

المبحث الرابع/ دورهم في عهد الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)

المبحث الأول:- دورهم في عَهديّ الفتح والولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م)

إن الحديث عن الدور السياسي والعسكري الذي أدته قبيلة صنهاجة منذ الفتح الإسلامي سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، لشبه جزيرة ايبيريا[١]، يدعونا إلى التساؤل عن الدور الذي قامت به هذه القبيلة في صناعة مجريات الأحداث منذ الفتح، مروراً بعصر الولاة.

للإجابة على هذا التساؤل، بداية نشير إلى ما ذكره مؤنس عن دور قبائل البربر ومن ضمنها قبيلة صنهاجة في الفتح بقوله: ومن غريب الأمر أن الجيش الإسلامي الذي ارسله موسى كان بربرياً صرفاً أو يكاد، أول مرة نسمع أن قائداً إسلامياً عهد في عمل حربي خطير كهذا إلى قائد غير عربي وجند غير عرب في الغالب[٢]، وأشار باحث آخر إلى الرأي نفسه بقوله: ومن الغريب أن يكون الجيش الذي أعدّه للحملة مكوناً كلّه من البربر، وهذه المرة الأولى في تاريخ الفتوحات العربية أن يتولى فيها جيش كامل من البربر في فتح بلد من البلدان الكبرى كالأندلس[٣]، وهنا لا بد أن نبين حقيقة ما نجده من بعض الأخبار، إذ تورد ذكراً لأسم القبيلة التي ينتمي اليها بعض قادة الفتح من البربر، الذين كان لهم دور فعال على مسرح الأحداث وفرضوا أنفسهم كطارق بن زياد، الذي ينتمي إلى قبيلة نفزة البربرية[٤]، فإن جيشه الذي تشكل على يديه كان معظمهم من البربر، ودخلوا معه إلى شبه الجزيرة الآيبيرية (٩٢هـ/٧١٠م)، ففتح الله على يديه تلك الأراضي الشاسعة، إلا أننا لم نحصل على معلومات كافية للقبائل البربرية التي انضوت تحت لوائه، وكل ما نعرفه عنهم أنهم من البربر ليس إلا، لكن بعد الرجوع إلى المناطق التي استقروا فيها هؤلاء نجد اسماء مختلفة مثل: هوارة، وغمارة، ونفزة، ومكناسة، وزواغة، ومصمودة، وصنهاجة وغيرها[٥].

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد حول تدفق هجرة البربر ومن ضمنهم الصنهاجيين من العدوة المغربية إلى شبة الجزيرة الآيبيرية، وقد بدأت مع عمليات الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة، ويحتمل أن حملة طارق

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٧-٤٠٠. ينظر: بوباية، البربر في الأندلس، ص١٣٧-١٤٠.

(٢) فجر الأندلس، ص٦٧.

(٣) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٨١م، ص٧١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٣/١، ٥/٢.

(٥) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٨١/٢. ينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٧؛ حقي، البربر في الأندلس، ص٨٢.

بن زياد سنة (٩٢هـ/٧١٠م) التي قادها مع جموع البربر حوت في ثناياها صنهاجيين، ولعل هذه الأعداد الهائلة، وخبرتها بالمنطقة وحسن بلائهم بالقتال، وانقيادهم لقادتهم كان ذلك كلّه دافعاً لموسى بن نصير بتوكيل مهمة الفتح إلى العناصر البربرية قيادة وجنداً، وعلى إثر ذلك عهد المهمة إلى مولاه طارق بن زياد، وذلك لمعرفته الوثيقة بأوضاع شبه الجزيرة، بفعل مجاورة البربر للإسبان وتعاملهم التجاري معهم، كما تولى طارق بنفسه جمع المعلومات عنها، وأجرى المفاوضات الأولية مع يوليان حاكم مدينة سبته، وبشكل عام فقد تمكن طارق من فرض وجوده السياسي والعسكري في شبه الجزيرة، لذلك يعد اختياره خطوة صائبة، إذ أثبتت الأحداث صحة ذلك وما يتمتع به موسى بن نصير من تفكير مستنير في تولية الأمر لقيادة طارق بن زياد في فتح البلاد(١).

تذكر المصادر التاريخية أنه اجتمع لطارق بن زياد في أثناء عبوره شبه الجزيرة الآيبيرية سنة (٩٢هـ/٧١٠م) أثنا عشر الفاً من البربر وستة عشر رجلاً من العرب (٢)، وهناك من يرى أن تعداد جيش طارق كان سبعة آلاف جندي من المسلمين معظمهم من البربر وفيهم عدد قليل من الموالي، وعدد أقل من العرب، وكان نزولهم على سفح جبل يسمى كالبي(Calpe) ولكن أطلق عليه اسم جبل طارق فيما بعد، وعندما علم طارق بضخامة جيش القوط الغربيين بقيادة ملكهم لذريق، عدوه ملك القوط، أرسل إلى موسى بن نصير يطلب مزيداً من الجنـد، فأرسل إليه خمسة آلاف أخرى بقيادة طريف بن مالك(٣)، وبهذا

(١) طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس (٩١-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م)، ط٣، دار النفائس- بيروت، ٢٠١٠م، ص٣٦.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦/٢.

(٣) أبو زرعة طريف بن مالك المعافري، بعثه موسى بن نصير على رأس حملة استطلاعية، مؤلفة من خمسمائة شخص وكانت قبل بدأ عمليات الفتح بسنة كاملة، إذ سار بها حتى بلغ الجزيرة التي تقابل الأندلس المعروفة بالخضراء، والتي تسمت بأسمه، ومنها انطلق الى الضفة الاخرى، التي أصاب بها سبيا ومالاً كثيراً وأمتعة فلما رأى الناس ذلك تشجعوا على الدخول. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٧/١، و٢٢٤-٢٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٠/٤؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٣/١.

أصبح جيشه أثنيّ عشر الفاً يضاف إليهم عدد قليل مـن أنصـار غيطشه[١]، ورجال الكونت يوليان[٢].

وهذا يدل على أن بربر المغرب قد حسن إسلامهم، وأصبحوا على هذا النحو يؤلفون القوة الكبرى التي اعتمد عليها طارق بن زياد في فتح شبه الجزيرة الآيبيرية عسكرياً، ولعل البربر كانوا أكثر معرفة من العرب بتلك البلاد، فالمغرب والأندلس يؤلفان وحدة جغرافية وتاريخية في آن واحد، فضلاً عن ذلك أن البربر كانوا يتمتعون بروح قتالية كبيرة، كما أننا لا نستبعد أن يكون موسى بن نصير قد خاف على جيشه العربي من هذه المغامرة التي لا يمكن التكهن بنتائجها، فآثر أن يجعل الطليعة الاولى من البربر وليس العرب[٣]، وكان من ضمن هؤلاء الفاتحين ميمون بن أبي جميل الصنهاجي ابن أخته[٤].

وعلى الرغم من كون جيش طارق بن زياد من البربر، فأن المصادر التاريخية لا تحدثنا في هذه المدة المبكرة عن الانتماءات القبلية لهؤلاء، ذلك أن البربر لم يكونوا يقسمون أنفسهم إلى بتر وبرانس هذا الذي ظهر فيما بعد، عندما سرت عدوى العصبية القبلية من العرب الى البربر، وعندما بدأ البربر يستقلون بأنفسهم على أثر العصبية القبيلة شمل ذلك قبيلة صنهاجة التي هي من البرانس[٥].

وبعد الانتصارات التي تحققت على يد طارق، بلغت الأخبار إلى العدوة المغربية، عن كثرة الغنائم التي حصل عليها الجيش الإسلامي، وعن وفرة خيرات ارضها، لذلك فتح باب الهجرة على مصراعيه، فتدافع أهل العدوة في دفعة ثانية نحو شبه الجزيرة الآيبيرية، وهذا ما أشار إليه المقري بقوله: "وتسامع

(١) غيطشة وهو احد ملوك القوط الغربيين، الذي اعتلى العرش سنة (٨١هـ/٧٠٠م) وكان لديه اصلاحات في حكمه، إذ رجع عن سياسته في اضطهاد اليهود في أخريات أيامه، وهذا السياسة ادت إلى سخط رجال الكنيسة عليه، وأخذوا يغرون الناس به، حتى اشتد عليه سخط الناس، وتحدث أهل البلاد من الرومان الإسبان في الوثوب به أو معاونة أول ثائر عليه ومات غيطشة ميتة طبيعية في أواخر سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨ م) أو أوائل سنة (٩١هـ/ ٧٠٩م)، وكانت مختلف الطوائف تنتظر موته. ينظر: مؤلف مجهول أخبار مجموعة، ص٥. ينظر أيضاً: خطاب، قادة فتح الأندلس، ١/١٣٠-١٣١.

(٢) مؤنس، موسوعة تاريخ الاندلس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٧-١٨؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٤٦-٤٧؛ أبو عُبيَّة، طه عبد المقصود عبد الحميد، موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات- القاهرة، د.ت، ص٩٥-٩٦؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ص٢٣٧.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٧١. ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٠٧ و ٣٠٩.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٢.

(٥) مؤنس، فجر الاندلس، ص٢٠٨.

الناس من أهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق"[١].

إن اتفاق أغلب المصادر الإسلامية التي دوّنت تاريخ الأندلس على أن مرحلة الفتح واستكماله من قبل طارق بن زياد وقائده موسى بن نصير[٢]، وما بعدها من فتوحات إلى مغادرتهما معاً إلى الشام مع نهاية سنة (٩٥هـ/٧١٣م)، استجابة لأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م)، بالحضور إلى مقابلته[٣]، وبهذا ستدخل الأندلس بعد رحيلهما مرحلة جديدة أطلق عليها اسم عصر الولاة بداية من سنة (٩٥هـ/٧١٣م) أي: من تعيين عبد العزيز بن موسى بن نصير أول والي على الأندلس الذي ألقى أبوه بزمام أمورها بين يديه، فقد ضبط الأمور وسدّ الثغور وافتتح مدائن كثيرة وكان من خيرة الولاة[٤].

ويبدو أن غلبة البربر على العرب أول الأمر، لا من حيث العدد والعدة فقط، بل من حيث القوة أيضاً، إذ ذكر ابن القوطية نصاً بعد انتهائه من أخبار عبد العزيز بن موسى بن نصير ومقتله في سنة (٩٧هـ/٧١٥م)[٥]، بقوله: "ومكثوا سنين لا يجمعهم والٍ، إلا أن البربر قدموا على أنفسهم أيوب بن حبيب

---

(١) نفح الطيب، ٣٥٩/١.

(٢) ابن حبيب، أبو مروان عبد الملك بن سليمان السلمي (٢٣٨هـ/٨٥٢م)، كتاب التاريخ، وضع حواشيه: عبد الغني مستو، ط١، المكتبة العصرية-بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م، ص١٤٣-١٤٤؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٦؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣-٣٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي القاسم التوزري (من علماء ق٦ الهجري/ ق١٢ الميلادي)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح عبد الله الغامدي، ط١، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ٢٠٠٨م، ٩٩٥/٢-١٠١٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥/٤؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٦-١٧؛ ابن عذاري البيان المغرب، ٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٠/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٣-١٥٤؛ السلاوي، الإستقصا، ١٥٣/١.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥-٣٦؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٠١٥-١٠١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩/٢-٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ٥٠/٤-٥١، ٢٣٩-٢٤٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٥؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧٩/١.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٦/٢-٧؛ ابن خلدون، العبر، ٥٠/٤-٥١؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٦-١٥٧؛ المقري، نفح الطيب، ٢٤٩/١.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس، ص٨٥؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٢٣/٦؛ ابن مندة العبدي، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت: ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)،=

حبيب اللخمي(١)، ابن أخت موسى بن نصير"(٢)، مما يدل على أن البربر هم الذين اختاروا ثاني ولاة الأندلس، وقد رضى به بقية مسلمي الأندلس، وضل في الولاية حتى ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي(٣)، ولو لم يكن البربر غالبين على الأمر في الأندلس حينذاك لما استطاعوا تولية والٍ يرضاه جميع المسلمين(٤).

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها قبائل البربر ومن ضمنها صنهاجة في الفتوحات الإسلامية في الأندلس، الذي فاق العرب، فقد استقر جزء كبير من صنهاجة في الثغور المحاذية للنصارى، وهذا الأمر جعلهم معرضين لهجمات النصارى مما دفعهم للاهتمام بالجانب العسكري من اجل صد هذه الاعتداءات بأنفسهم أو القيام بذلك من خلال المشاركة في الحملات التي كان حكام الأندلس يجردونها ضد النصارى، وكانت هذه الاعمال العسكرية تكلفهم نفقات كبيرة(٥).

وقد أورد ابن حزم نص في غاية الأهمية، الذي أكد فيه التواجد الصنهاجي منذ بداية فتح شبه الجزيرة الآيبيرية، وما أدته هذه القبيلة في الأحداث السياسية والعسكرية بقوله: "أن بني عبد الوهاب الذين ينتمون الى صنهاجة، وهم من ذرية ميمون بن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد، وكانت لهم ثروة وعدد، وبرز منهم قوّاد..."(٦).

=المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التميمي، نشر وتوزيع وزارة العدل والشؤون الإسلامية –ادارة الشؤون الدينية –البحرين، د.ت، ١٤٧/٣.

(١) وهو أحد ولاة الأندلس، تولى الحكم في سنة (٩٨هـ/٧١٦م)، وهو ابن أخت موسى بن نصير، ومن العرب الذين اشتركوا في فتح هذه البلاد، ثم استقروا بها، ورأوا أنهم أولى من غيرهم بحكم الأندلس، إذ كان رجلاً صالحاً ولم تزد ولايته على ستة أشهر لم يفعل فيها شيئًا يذكر سوى نقله العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة لأن موقعها أوسط وأقرب إلى منازل جماعات العرب في الشرق، والجنوب، والجنوب الشرقي. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨١/٤، ٧٤/٥؛ ابن عذاري، البيان الغرب، ٢٥/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥١/٤.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢١.

(٣) وهو أحد ولاة الأندلس، تولى الحكم في سنة (٩٩هـ/٧١٧م)، من قبل سليمان بن عبد الملك، وكانت ولايته عليها سنتين وتسعة اشهر. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨١/٤، ٧٤/٥؛ ابن عذاري، البيان الغرب، ٤٧/١، ٢٥/٢.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٧.

(٥) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٣.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.

وما يلاحظ على هذا النص اليسير أنه غاية في الاختصار، على الرغم من ذلك فهو يحمل بين طياته الكثير من المعلومات المهمة، فهو يعطينا نبذة مختصرة عن الدور الذي أداه ميمون ابن أخت طارق بن زياد، الذي يرجع نسبه إلى بني عبد الوهاب الصنهاجيين، وعن مواطن استقرارهم الذي كان بأشونة الواقعة إلى الجنوب من استجة المتواجدة ضمن مقاطعة أشبيلية في الجنوب، والقريبة من العدوة المغربية في موطنهم الأصلي(١)، وكما ذكر أنهم أصحاب ثروة، ويمكن تفسير ذلك بأنهم كانوا يقيمون في اخصب الأراضي وأجودها، وبالنتيجة أدى الى استقرارهم بشكل جماعي في هذه المنطقة، إلى درجة وصفهم بالعدد، وانه كان منهم قوّاد، وهذا الأمر يدفعنا إلى الاعتقاد أن دخولهم إلى الأندلس كان في وقت مبكر جداً في أثناء عملية الفتح الأولى، التي مكنتهم من اختيار مكان استقرارهم بأرض غنية، كقرطبة التي ضمت بيوتات لها وفرة وثروة من بربر صنهاجة وغيرهم(٢)، التي عادت عليهم بالوفرة والثروة طيلة مدة من الزمن، قبل أن يصابوا بالخمول في وقت لاحق لم يحدده ابن حزم بالضبط(٣)، إذ من المحتمل أن يكون نهاية عهد الولاة ومنتصف عهد الإمارة وهذه المدة سبقت عصر ابن حزم.

وأما قوله بأنه كان منهم قوّاد، ولعلهم كانوا يشكّلون القوة الضاربة من البربر الذين ساهموا في الفتح، كما لا يستبعد مشاركتهم في أحداث عصر الولاة بالأندلس، فقد كانت صنهاجة عموماً، تشكّل بحكم كثرتها العددية ثلث أمم البربر(٤)، ولشدة بأسهم في الحروب جعلهم ذات مكانة هامة كلما اقتضت الضرورة لذلك، ولاسيما في الأحداث الداخلية بين الاطراف المتنازعة على أرض الأندلس.

ويؤيد ذلك إستقرار اعداد كبيرة من البربر الذين ينتمون إلى مختلف القبائل في الشمال والشمال الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية في جليقية وأستورقة وشرطانية غربي جبال البرت(٥).

---

(١) الرشاطي، اقتباس الانوار، ص١٥؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢ و ٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٢/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠١/٦؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٩/١.

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٢-٢٨٣.

ويضيف عن وجود أسماء مواقع أيضاً كجبال البرانس من الأماكن التي نزل فيها البربر منها (Sierra de Bornes وBornes) في الشمال الشرقي من البرتغال و(Albornos) في محافظة آبلة على اسم البرانس[١]، ويؤيد ذلك اسين بلاسيوس بقوله: هناك مجموعة أسماء أماكن مثل: صنهاجة، واوربة، وزناته، وبني طنجة كلها في هذه المحافظة[٢]، ولا يمكن لنا أن نستبعد صنهاجة من هذا التواجد البرانسي وذلك لكونها فرعاً من البرانس، الذين كانوا يشكّلون أكبر قبائل البربر حتى زعم الكثير من الناس أنهم مقدار الثلث ومنهم: (بنو زيري بن مناد) أمراء أفريقيا والأندلس[٣]، وإن هؤلاء اختاروا الاستقرار في المنطقة الجبلية، وكانت كما يبدو بوضوح، تناسبهم أكثر من غيرها من الأماكن، بسبب التشابه الكبير بينها وبين أماكن سكناهم الأصلية في شمال أفريقيا[٤].

ومن خلال ما سبق تتجلى أهمية مساهمة البربر ومن ضمنهم صنهاجة على وجه الخصوص، في مجريات الأحداث العسكرية والسياسية التي دارت وقائعها في الأندلس وبلاد غالة الفرنسية، إذ كان العرب يقدّرون شدة بأسهم وفروسيتهم ويستعان بهم ولا يستغنون عنهم في الكريهة، بل أن الاستفادة منهم تعد ضرورية لحسم المعارك لصالحهم التي ما فتئوا يخوضونها ضد أعدائهم، من حين لآخر في هذه الحقبة الزمنية.

إن زيادة العصبية والنعرات القبلية في الصراع العربي الذي بدأ بين المضرية واليمنية من جهة، وبين العرب البلديين والشاميين حول أجود مناطق الاستقرار من جهة أخرى في سنة(١٢٣-١٣٨هـ/٧٤٠-٧٥٥م)[٥]، وبدوره انتقل هذا الصراع من العرب إلى البربر، الذين شعروا بالتهميش فثاروا على العرب لما استأثروا به من دونهم من مغانم السيادة والحكم، فكانت ثورتهم على أسباب عدم اكتراث العرب بهم، على الرغم من كون أنهم قدموا مساهمة كبيرة لا تقل أهمية من الناحية الاستراتيجية والعسكرية في فتح شبه الجزيرة الآيبيرية، ومِنْ ثَمَّ أرادوا إثبات نديتهم للعرب من خلال الثورات التي قاموا

(١) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٤؛ العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص٥٨-٥٩.

(٢) نقلا عن: حقي، البربر في الأندلس، ص٨٣.

(٣) السلاوي، الاستقصا، ١/١٢١.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٤.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤-٤٧؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٢-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٠-٣١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥/١٥١-١٥٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٥٧-١٥٨.

بها[١]، وسبب ذلك حالة من الفوضى وانعدام الأمن، إذ لم تعد الأمور إلى مجاريها إلا بعد قيام الإمارة الأموية بالأندلس، التي فرضت النظام بالقوة، وحاربت جميع من ثار على سلطتها، فأستقر الأمن نسبياً، على الرغم من ذلك لم يذعن لها أهل الأندلس إلا في نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، نجد أنها كانت تنعم بالهدوء بعد أن أمضى سنوات طويلة من حكمه في إرساء قواعد دولته والقضاء على الخصوم بشدة[٢].

ومن أهم الأحداث التي كان لها وقع كبير على الأندلس في عهد الولاة، ثورة البربر في بلاد المغرب سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م)، التي تزعمها ميسرة المطغري الزناتي، التي عبّروا فيها عن تذمرهم واستيائهم من سياسة عمال بني أمية في بلادهم، فدخلوا طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي، ثم وَلُّوا خالد بن حميد الزناتي، الذي هزم الجيش الأموي مرة أخرى، بالقرب من طنجة في موقعة الاشراف سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)[٣].

ولما بلغت أخبار الهزيمة إلى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م)، أرسل جيشاً من عرب الشام يقدّر بسبعين ألفِ مقاتل في أواخر سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) لينتقم للعرب لكنه مني هو الآخر بهزيمة نكراء، في موقعة بقدورة أواخر السنة نفسها على ضفاف نهر سبو، ولم ينج من هذه المعركة إلا عشرة آلاف رجل من عرب الشام، تمكنوا فيما بعد من الدخول إلى الاندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري، الذين وجدوا أنفسهم محاصرين في ثغر سبتة، وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي كانوا يمرون بها، لم يكن مرغوب فيهم من قبل والي الأندلس عبد الملك بن قطن، إلا أن تسارع الأحداث التي مرت بها الأندلس بسبب تضامن بربر الأندلس ومن ضمنهم بربر صنهاجة مع إخوانهم في بلاد المغرب، إذ حشدوا من جليقية وأستورقة وماردة وطلبيرة وشذونة بعدما قتلوا العرب وطردوهم منها، حتى أجازوا نهر يقال له: تاجة يريدون عبد الملك بن قطن والي الأندلس مما دفع الأخير أن يستعين بطالعة بلج القشيري شريطة أن يعودوا من حيث أتوا بعد مدة أقصاها سنة، وكان البربر قد رأّسوا عليهم بالأندلس ابن

---

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/١٢٢-١٢٣؛ وات، مونتغمري، في تاريخ اسبانيا مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا، ترجمة: محمد رضا، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر-بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٤١-١٤٣.

(٢) الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م، ١/٢٠٧-٢٠٨.

(٣) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص٣٥٣؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤/٢٢٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٥٤.

هدين[١]، وزحفوا نحو الجنوب للقضاء على قوة الشاميين في سبتة، ليتحدوا مع بربر بلاد المغرب، لكن بلجاً ورفاقه بقوتهم دخلوا إلى الجزيرة الخضراء، والتحم الجيشان في شذونة، إذ ذكر ابن عذاري بقوله: "وكان بشذونة جمع من البربر، عليهم رجل زناتي، فبدأ عبد الملك بمقاتلتهم في وادي الفتح من شذونة، فلم يكن العرب فيهم إلا نهضة، حتى أبادوهم، وأصابوا أمتعتهم ودوابهم، فاكتسى أصحاب بلج، وانتعشوا، وأصابوا الغنائم، ثم نهضوا مع عبد الملك إلى قرطبة، ثم ساروا بأجمعهم إلى جهة طليطلة، وقد اجتمع هنالك معظم البربر، فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي بني سليط من حوز طليطلة، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعرب الأندلس، حاشا عرب سرقسطة وثغورها، وزحف البربر بأجمعهم، فهزمهم العرب، وقضوا بذلك على ثورة البربر بالأندلس في سنة (١٢٤هـ/٧٤١م)"[٢] لكن الفتنة سرعان ما تحولت إلى صراع عربي بين اليمنيين والشاميين، أسفرت عن مقتل عبد الملك بن قطن ثم بلج بن بشر واستمرت هذه المناوشات قرابة العام[٣].

وما يسجل على الروايات التي ساقت أحداث هذه الثورات التي مرت بها المغرب والأندلس، فهي تحدث عن البربر ككتلة واحدة شملت جميعهم من دون استثناء، على الرغم من أن الزعامات كانت زناتية فأن البرانس شاركوا وقاتلوا بقتالهم، إلا أن هذه الروايات ارتكزت على الجانب البارز المتمثل في الثورة التي قاموا بها.

أما ما يتعلق بالطرف الذي حرّك هذه الأحداث فقد تركته مبهماً واكتفت بتعميم لفظة البربر على جميع من شارك في الثورة من قبائل البربر المختلفة دون تحديد، ولا نستبعد أن تكون من ضمن هذه الجموع قبيلة صنهاجة، إذ أن البربر دخلوا بقوة بأعداد كبيرة عبر حقب متفاوتة، منذ بداية عملية الفتح وما رافقتها من هجرات بربرية واسعة للحصول على مكاسب في الأراضي المفتوحة ذات الخيرات من الأندلس ونعيمها، فضلاً عن رغبتهم في المشاركة في السلطة والإدارة التي استأثر بها العرب، وكذلك المساواة في المعاملة بينهم وبين العرب، لكون هؤلاء تعاملوا مع البربر معاملة تختلف عن المسلمين الوافدين من الشرق، فراقبوا تحركاتهم واثقلوهم بالضرائب الفادحة وفرضوا عليهم عقوبات مالية[٤]، ويبدو

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٢-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٠-٣١؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٥٧-١٥٨.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٠-٣١.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٥-٤٧.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٧٥.

أن البربر عامة وصنهاجة خاصة قد أدّوا دوراً كبيراً في الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الأندلس، واستمر هذا الدور حتى نهاية عهد الولاة سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م).

المبحث الثاني :- دورهم في عهد الإمارة الأندلسيّة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)

شارك البربر في تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس بشكل كبير وفعال، إذ كان لهم دور في حماية عبد الرحمن الأول عندما وصل إلى بلاد المغرب وحيداً مطارداً من قبل العباسيين فآووه، بحكم صلة القرابة والدم التي تجمعه بهم، من جهة أمه التي كانت بربرية الأصل من نفزة(١).

وعندما دخل الأندلس لتحقيق حلمه في تأسيس الدولة الأموية، انضمت إليه بيوتات لها وفرة وثروة من بربر قرطبة وغيرهم(٢) ولا يستبعد أن يكون ضمنهم من أهالي صنهاجة التي كانت من أول النازلين في هذه المدينة.

إلا أن البربر لم يكونوا جُلّهم من الموالين لعبد الرحمن بن معاوية، بل كان ولاء معظمهم بحسب المكاسب المادية التي تستحصل من خلال الغنائم، ومِنْ ثَمَّ فلا غرابة أن نجدهم منضوين تحت لواء الثائرين على حكومة قرطبة، في سائر العهود التي مرت بها الأندلس، وما يؤيد ذلك ما حدث لعبد الرحمن الداخل، بعد دخوله قصر قرطبة وجلس على سرير الملك، فلم يكد يتخلص من يوسف الفهري حتى ثار عليه عبد الغفار اليحصبي(٣)، الذي كان على لبلة(Labla)(٤) سنة(١٥٦هـ/٧٧٢م)(٥).

إذ ذكر ابن القوطية بقوله: "ثم أن عبد الرحمن بن معاوية خرج بالعشي مع ثقات من مواليه ورجاله ونفر من العسكر، فسمع كلام البربر يتكلمون بالعسكر بالبربرية، فدعا بمواليه من البربر، مثل:

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٥-٥٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٦١-١٦٢.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤.

(٣) وهو أبو مالك عبد الغفار بن حميد اليحصبي الذي ترأس لبلة. ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٤٨/٣.

(٤) مدينة حسنة متوسطة القدر في غرب الأندلس قديمة بقرب اشبيلية، وهي من اطيب البلدان، جامعة لكل وجه من الفوائد، محبوبة بصنوف الخيرات، قد جمعت خير البر والبحر والزرع والضرع والخيل والنِّتاج وأجناس الثمَّر وكثرة الزيتون والأعناب، تعرف بالحمراء لخاصيتها من فضل الأديم الأحمر الفاضل البديع، كبيرة يتصل عملها بعمل اكشبونة بالشرق منها وغرب قرطبة، ولها سور منيع. ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢-٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢.

بني الخليع[١]، وبني وانسوس[٢]، وغيرهم، فقال لهم: خاطبوا بني عمكم وعظوهم وأعلموهم أنه إن تغلب العرب وقطعوا دولتنا، فلا بقاء لهم معهم، فلما أظلم الليل دنوا من العسكر، وخاطبوهم بالبربرية، فأجابوهم إلى ما أحبوه ووعدهم، إلى أن انحرفوا عن عسكرهم، فلما أصبحوا قالوا للعرب: إنا لا نحسن الحرب إلا فرساناً، فأحملوا من بقي منا على الخيل، فأرجلوا العرب وحملوا البربر على خيلهم، ودخلوا رجالة فانحرفوا إلى عبد الرحمن، ووقعت الهزيمة وقتل عبد الغفار وجيشه المكون من ثلاثين ألفاً"[٣].

ربما أن التواجد الصنهاجي ضمن هؤلاء الموالين لعبد الرحمن الداخل، وربما المعادين له من خلال النصين السابقين الذين وردا في الروايتين، فقد وصفت الرواية الأولى بأنهم عبارة عن بيوتات لها وفرة وثروة في قرطبة، إذ لم يحدد النص مَنْ هؤلاء وإلى أي من هذه البيوت ولم يحدد انتماءهم لأي قبيلة، بينما نجد في الرواية الثانية اخرج فيها لفظ البربر من التعميم إلى التخصيص، إذ اورد لنا اسمين لقبيلتين كانتا في صف الجيش، الذي كان يقاتل مع عبد الرحمن الداخل، وعلى الرغم من ذلك ورد لفظ غيرهم، وهذا يعني دخول أكثر من قبيلة مع الأخير.

ولا نستبعد احتمالية تواجد عناصر صنهاجية في صفوف جيش عبد الرحمن بن معاوية، وربما في صفوف عدوه واردة، إذا ما أخذنا في الحسبان أن قبائل صنهاجة كانت تقطن في بر العدوة المغربية

---

(١) وبنو الخليع ينتمون إلى ولهاصة وهي فرع من قبيلة نفزة البربرية التي تنتمي إليها والدة عبد الرحمن الداخل، وكان زعيمهم عبد الأعلى بن عوسجة بن الخليع من موالي بني أمية في تاكرنا، إذ وافق الاخير على تأييد عبد الرحمن وأرسل إليه أربعمائة فارس من موالي الامويين من بني الخليع، وانظموا تحت لواء الداخل في سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) . ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٤٨، و٥٣؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٤٤-٤٥، و٤٧، و ١٣٩، و١٤٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٨؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق: مولينا، ص٨٥-٨٦.

(٢) وانسوس الجد الاعلى لهذه الاسرة الذي يلقب بأبي قرة المغيلي وقيل يرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة مكناسة، ويبدو أن هذا الاختلاف إلى أن كا القبيلتين ترجعان إلى نسب واحد وهو ضيري بن زجيك بن ماغدس، وكان وانسوس من رؤساء البربر، إذ سكن طنجة مع زوجته حينما دخلها عبد الرحمن بن معاوية بعد هروبه من الشام، إذ كان يحكم افريقية في ذلك الوقت عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧-١٣٩هـ/٧٤٤-٧٥٦م)، وكانوا بني وانسوس من موالي عبد العزيز بن مروان بن عبد الحكم ببلاد البربر. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٦-٤٧، و ٥٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٦-٥٧؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص١٣٣-١٣٤؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٦-٤٩٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٠١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٣٤١-٣٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٧.

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٨-١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥٠-٥١.

قبال العدوة الأندلسية، على الساحل من بجاية إلى مصب نهر ملوية(Un Rio de Melon)[١]، مع غيرها من القبائل ومن بين فروعها تلكاته، كما عاشت على سهول البحر المتوسط ومعظم جبال الريف، ومناطق المضيق ما بين سبتة وطنجة قبائل مختلفة، كانت صنهاجة إحداها وكانت تسيطر على مرسى بالش[٢].

وأضف إلى ذلك فقد شهدت الأندلس على مدى عشر سنوات (١٥١-١٦٠هـ/٧٦٨-٧٧٦م) ثورة سيطرت على منطقة الجوف (الشمال) بوسط وشمال شرق الأندلس، وقد تركزت أكثرها حول شنتبرية (Santaver)[٣] في شرق الأندلس[٤]، تزعمها رجل من بربر مكناسة يدعى سفيان أو شقنا أو شقيا بن عبد الواحد، الذي بدأ حياته فقيهاً معلماً للصبيان، ثم ما لبث أن ادّعى أنه فاطمي النسب من ولد الحسين ابن علي (عليه السلام)، ولاسيما وأن اسم أمه كانت تدعى فاطمة، فاتخذ له اسماً عربياً هو عبد الله بن محمد، وسكن شنتبرية واجتمع عليه خلق كثير من البربر، وأخذ يدعو الناس لنفسه والثورة على حكومة قرطبة، ووصل أمره إلى عبد الرحمن بن معاوية، فجمع له جيوشاً كثيرة لمحاربته والقضاء على تمرده، إذ خرج له ابن معاوية بنفسه أكثر من مرة فلم يتمكن منه؛ لأنّ (شقيا) كان يستخدم خطة محكمة ضد جيوش الأمير، باستخدامه قمم الجبال والتحصن بها، متجنباً بذلك المناطق السهلية المنبسطة، فأكسبته هذه الخطة الانتصار على جيوش عبد الرحمن، وكلما شعر بخطورة الموقف يلجأ إلى الانسحاب من دون الخوض في معركة خاسرة قد تكسر شوكته[٥].

---

(١) وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة في بلاد المغرب، الذي يصب في بحر الروم، وعليه نظر واسع، وفيه قرى كثيرة، وعمائر متصلة وبساتين كثيرة تسقى كلها من هذا النهر. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٣٥/٢؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٣.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص٩٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٨/٢.

(٣) مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس، وهي شرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، لها حصون كثيرة، وفيها شجر الجوز والبندق، بينها وبين قرطبة ثمانون فرسخا. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤٢؛ بينما وردت عند ابن غالب بقوله: "وهي شرق من قرطبة ولها حصون كثيرة"، فرحة الأنفس، ص١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٦٦/٣.

(٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٢٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٣. وللمزيد من التفاصيل ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١١٦.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٣/٥-١٧٤،١٨٧،٢٠٨، ٢١٤، ٢٢١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٤٣/٢٣-٣٤٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٦٦. ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١١٦؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ١٦٤/١.

إذ نتج عن هذه الاستراتيجية المعتمدة بالأساس على الحيطة والحذر طيلة مدة ثورة شقيا، لذا استخدم عبد الرحمن الداخل اجراء قاسٍ بحق البربر المتعاونين مع الثائر شقيا بدليل ما ذكره ابن عذاري بقوله: "أنزل بكل من شايعه أو دخل في شيء من أمره، النكال وهو يخرب ويحرق وينسف... فدوخ بلاد البربر وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم"(١)، إلى أن كانت سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، التي دبر له فيها أبن معاوية مؤامرة قاما بتنفيذها اثنان من اتباعه وهما أبو معن داوود بن هلال المديوني، وكنانة بن سعيد الأسود، فقتلاه ومعهما رأسه وتوجها به إلى عبد الرحمن(٢).

ولعل أن هذه الثورة أول ثورة بربرية شيعية في الأندلس، سعت لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي، وسبقت بذلك تكوين دولة الأدارسة العلوية في المغرب الأقصى بنحو عشرين سنة(٣).

ولا نستبعد أن يكون لصنهاجة دورٌ فعّالٌ في هذه الثورة بسبب تشيعهم لآل البيت (عليهم السلام)، منذ القدم، إذ نجد أن على أراضيها، مراكزاً علوية كحائط حمزة الذي ينسب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي(٤)(٥).

ومن الثورات الأخرى التي كان لها وقع على الأندلس التي كان يدور رحاها في شرق الأندلس، ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي، وذلك لطوله وزرقته وشقرته الذي دخل من افريقية إلى الأندلس ونزل بساحل تدمير (مرسية) في شرق الأندلس والذي يكثر فيها عناصر صنهاجة سنة (١٦١هـ/٧٧٧م)، فدعا للخليفة العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد المهدي (١٤٧-

---

(١) البيان المغرب، ٥٥/٢، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢١/٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٨/٤.

(٣) العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٧١م، ص٣١٥؛ مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- الظاهر-القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٠.

(٤) حمزة بن الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ملك هاز في أرض المغرب، وملك جمعاً غفيراً من صنهاجة، وإليه ينسب سوق حمزة، وولده بها كثير، وكذلك أيضاً ولد إخوته في تلك الجهة، وكان عمه الحسين بن سليمان من قواد الحسن بن زيد بطبرستان، وهو الذي غزا له الري، وكان شاعراً. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٣٠/٢-٧٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٢/٢؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٦٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١؛ العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م، ١٤٠/٤.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٣٠/٢-٧٣١؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٦٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١.

١٦٩هـ/٧٦٤-٧٨٥م) متخذاً من الرايات السوداء شعاراً لدعوته فأجابه إلى ذلك الكثير من بربر البرانس ولا نستبعد أن يكون من بينهم صنهاجيين[١].

وعندما علم عبد الرحمن الأموي سار نحوه بالعدد والعدة، وأحرق السفن تضيقاً على الصقلبي في الهرب، فتحصن الصقلبي في جبل منيع في بلنسية شرق الأندلس، وبذل الأموي ألف دينار لمن يأتيه برأسه، فنزع إلى الفهري رجل من البرانس، من أهل أوريط(Ornedo)[٢][٣]، يقال له: سجعان او مشكار البربري، فصار من أصحابه وأظهر له النصيحة، فأطمأن إليه وصار من ثقاته، إلا إنه قتله وأخذ خيله وحمل برأسه إلى الأمير عبد الرحمن الداخل في سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م)[٤].

وفي سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) قامت ثورة بربرية على الأمير عبد الرحمن الداخل بقيادة ابراهيم بن شجرة البرنسي في حصن مورورْ التي استقر فيها العديد من العناصر البربرية، وينتمي معظمهم إلى البرانس من مصمودة وغمارة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ومن فروعها لمطة وهسكورة وجزولة[٥]، إذ سير عبد الرحمن الداخل جيشاً بقيادة مولاه بدر لقتال البرنسي، وكان قد عصى عليه فقتله[٦].

وأن بربر صنهاجة كان لهم دورٌ كبير في الفتنة التي حدثت سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) بين بربر بلنسية التي تقع في شرق الاندلس وفيها حاضرة من قبيلتي مصمودة وصنهاجة وشنتبرية التي سكنتها

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢-٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦٤/٣، ١٥٨/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٢) مدينة قديمة بالأندلس عظيمة من أعمال طليطلة، وهي معها في حد واحد من مدن قسطنطين، ولها عدة معاقل وحصون منها فحص البلوط، وإنما عمرت قلعة رباح وكركي بخراب أوريط. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠ الحميري، الروض المعطار، ص٦٦.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦٤/٣، ١٥٨/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦٤/٣، ١٥٨/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٥) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٣١/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٦/٢-٤٧؛ النويري، نهاية الارب في معرفة فنون الادب، ٣٤٧/٢٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٦٣. ينظر: أبو العلا، التاريخ السياسي والحضاري لكورة مورور الأندلسية، ص٥٠-٥١؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ١٨٦/١-١٨٧؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١١٧.

قبيلتا مديونة وهوارة وجرت بينهما حروب كثيرة قُتِل فيها خلق كثير من الطائفتين دامت اشهراً[١]، ولا نستبعد أن يكون من ضمن هؤلاء أفراد من قبيلة صنهاجة.

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، خلفه ابنه هشام الملقب بالرضا ويكنى أبا الوليد (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، مما أثار غضب أخوته الطامعين في الإمارة، وتمثل ذلك الأمر في كل من أبي أيّوب سليمان وعبد الله المعروف بالبلنسي، وكان سليمان أكبر أبناء عبد الرحمن الداخل، الذي كان يتولى طليطلة في حين كان هشام على الرغم من حداثة عمره يتولى مدينة ماردة، بينما كان عبد الله مقيماً في قرطبة، إذ كانت الإمارة محصورة بين سليمان وهشام، إذ أوصى ابنه عبد الله بأن يسلم مقاليد الأمور في البلاد لمن يصل أولاً منهما إلى قرطبة، فلما علم هشام بوفاة والده جاء مسرعاً بالمسير إلى قرطبة، فدخلها قبل اخيه سليمان ونفذ عبد الله وصية أبيه وسلّم على هشام بالإمارة وأدخله قصر الإمارة[٢]، فلما علم سليمان ما حدث أعلن العصيان ثم أنضم إليه أخوه عبد الله عندما يأس من اشراك هشام له في حكم الأندلس، ولم يجد الأمير هشام أزاء موقف اخويه العدائي منه إلا محاربتهما، وقد انتهى الأمر بأن طلب عبد الله الأمان فأمنه هشام وأكرمه، وتم الاتفاق بينه وبين هشام على أن يرحل من الأندلس إلى المغرب، أما سليمان فأخذ يتنقل بين المدن الأندلسية يأجّج أهلها على الأمير هشام ويجمع الأنصار والمؤيدين حتى استقر بماردة التي كانت مستقراً لعدد غير قليل من الصنهاجيين، فأرسل اليه هشام جيشاً بقيادة ابنه معاوية سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)، إلى تدمير (مرسية) فتمكن من ايقاع الهزيمة بسليمان الذي هرب إلى بلنسية الحصينة لاجئاً إلى البرابر المستقرين فيها ومحتمياً بمسالكها الوعرة، فعاد على إثرها معاوية بن هشام إلى قرطبة ومِنْ ثَمَّ استقر الحال بالمفاوضات بين الأخوين، بمنح سليمان

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٦/٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٤٧/٢.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تحقيق وتقديم: محمود علي مكي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ٢٠٠٣م، ص٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٧٧/٥-٢٧٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٤٢/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٨/٢، و٦١؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٢/٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ١٢/٢.

الأمان وستين الف دينار عن تركة أبيه عبد الرحمن مقابل الهجرة إلى المغرب بلد البرابر، إذ استقر بأهله وأمواله وأولاده في مدينة طنجة، إذ أقام عند قبيلة صنهاجة البربرية(١).

وفي سنة (١٧٨هـ/٧٩٤)، حدثت ثورة بربرية في منطقة تاكرنا(tacorona)(٢) وخلعوا الطاعة، واظهروا الفساد، واغاروا على البلاد فقتلوا وسبوا وقطعوا الطريق على السكان وهددوا أمن منطقة تاكرنا، فسيّر إليهم الأمير هشام جيشاً كبيراً بقيادة عبد القادر بن ابان بن عبد الله مولى معاوية بن أبي سفيان، إذ عمل على انذارهم فلم يجد منهم إلا عزيمة واصراراً على الثورة جواباً له، فبادر الأخير بالهجوم وقتل رؤساءهم وخرَّب بلادهم وضياعهم وأخمد الثورة من دون رحمة، ولاذت فلولهم بمدينة طلبيرة الحصينة في الجنوب الغربي من الأندلس التي يتواجد فيها جموع من البربر(٣)، الذين ينتمون في أغلبيتهم إلى قبائل مختلفة من البرابر من اوربة وصنهاجة ومصمودة وغيرهم(٤)، إذ لجأوا إلى عصبية لهم من البربر، أما البعض الآخر فقد دخلوا في سائر القبائل، وأما منطقة تاكرنا فقد ظلت بلادها قفراء خالية من الناس لمدة سبع سنوات(٥).

وعندما تولى الحكم بن هشام الإمارة في سنة (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م)، كانت أولى معاناته حرب شنها عمه عبد الله بعد وصوله من بلاد المغرب بأهله وولده فصار بريف الأندلس ونزل بكورة بلنسية عند البربر، فقاموا معه، وتعصبوا له، وبعدها قدم عمه الثاني سليمان من كورة طنجة مساكن صنهاجة، في المغرب الأقصى بمن معه من بربر صنهاجة لمحاربة ابن اخيه، بعدما كاتبه عبد الله

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٢/٥-٢٨٣؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٣٦٣/٢-٣٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١/٢-٦٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٦٢/٢٣-٣٦٣، ٣٧٤-٣٧٧؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ١٢/٢-١٣. ينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٢) كورة كبيرة بالأندلس بالقرب من استجة فيها معقلي رُنْدَةُ وشِيرَسُ قديمة ولها آثار كثيرة، ومدينة تاكرنا على قسمين: فما كان حوالي إستجة يدعى اقليم السهل، وما كانا حوالي تاكرنا يدعى اقليم الجبل. ينظر: ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٢٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٧/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٧/١-٢٢٨.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٠-٢٧٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٧/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٧/١-٢٢٨.

بالقدوم لينتزع سلطان ابن اخيهما الحكم، ولاسيما عندما علم بموت أخيه هشام، عبر إلى الأندلس بجيشه البربري الصنهاجي، وحاول شق طريقه إلى العاصمة قرطبة فتصدى له الحكم بن هشام وحدثت مناوشات مع قوات سليمان التي كان معظمها من قبائل صنهاجة البربرية في موضع يدعى فنجيط في شهر شوال سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م)، إلا أن الأخير انهزم أمام قوات الإمارة وولّى الأدبار[١]، إلا أنه عاود الهجوم مرة ثانية لكن هذه المرة بالقرب من مدينة استجة في شهر صفر سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)، لكنه هزم سليمان للمرة الثانية بعد معارك دارت رحاها بين الطرفين، وهرب مع أصحابه من قبيلة صنهاجة متوجها إلى مدينة ماردة التي تعد من أهم منازل صنهاجة ومصمودة وكتامة[٢] ثم زحف بهم من جديد نحو الجنوب الشرقي ونجح في الاستيلاء على جيان والبيرة[٣]، وانضمت إليه من أهل هاتين المدينتين جموع كبيرة معظمها من بربر البرانس، ولاسيما صنهاجة، فلما التقى جيشه مع جيش الأمير الحكم انهزم سليمان للمرة الثالثة وقُتِلَ على إثرها عدد كبير من انصاره، مما اضطره للفرار فطارده الأمير حتى قبض عليه، وجاؤا به إلى الحكم بن هشام، فأمر بإعدامه، وأعدم معه عدة من زعماء البربر، وأُرسلت رؤوسهم إلى قرطبة حيث طيف بها سنة (١٨٤ هـ/٨٠٠م)[٤].

وفي سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)، أخرج الأمير الحكم إلى عمه عبد الله البلنسي أماناً، وهو أول خروج كان إليه، وأول مكاتبة كانت بين الحكم وبينه بعد حلوله ببلنسية، إذ رغب عبد الله الاقامة فيها، ولاسيما بعدما سمع بأخبار مقتل أخيه سليمان عظم عليه الأمر وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يفارقها على أن يؤدي الطاعة للأمير الحكم في سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، ودفع إليه الأرزاق والعطايا وبلغ ذلك الف دينار لكل شهر[٥]، إلا أنه شق عصا الطاعة بعد وفاة الحكم في سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)، وبعدها تولي ابنه عبد

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٥، ٩٨-٩٩؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٢-٤٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/١-٣١، و ٧٠/٢؛ مؤلف مجهول تاريخ الأندلس، ص١٥٧.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٠/٢؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الأطلاع، ١٠٩١/٣؛ ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ص٢٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٥-٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٣/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢.

الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، إذ طالب عبد الله بضم كورة تدمير التي كانت تضم معظم البرانس من صنهاجة وكتامة وأوربة وهوارة ومصمودة، إليه إلا أنه انتهى الأمر به أن خضع لحفيد أخيه عبد الرحمن إلى أن توفي في سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)[١].

وقامت ثورة بربرية أخرى في مدينة موروْ الأندلسية سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، التي استقر فيها العديد من العناصر البربرية، وينتمي معظمهم إلى البرانس من مصمودة وغمارة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ومن فروعها لمطة وهسكورة وجزولة[٢]، بزعامة رجلٍ منهم لم تحدد المصادر التاريخية اسمه سوى أنه خارجي من البربر خرج بناحية مورور، من الأندلس، ومعه جماعة، ولا نستبعد أن تكون قبيلة صنهاجة ضمن صفوف جيشه البربري، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بن هشام بأخبار هذه الثورة، فأخفى الحكم خبره، واستدعى من ساعته قائداً من قواده، فأخبره بذلك سراً وقال له: سِرْ من ساعتك إلى هذا الخارجي فأتني برأسه، وإلا فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود، فسار القائد من فوره إلى مورور لإخماد ثورة الثائر الخارجي البربري، فلما سأل عنه، عرف أنه شديد الاحتياط والاحتراز الشديد، ولا يمكن الوصول إليه والتمكن منه، ولكنه تذكر قول الحكم: إن قتلته، وإلا فرأسك عوضه، فحمل نفسه على سبيل المخاطرة فأعمل الحيلة، حتى دخل عليه، وقتله، وأحضر رأسه عند الحكم بن هشام، فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه، على الرغم من غيبته التي طالت أربعة أيام، فلما رأى الأخير رأس الثائر البربري، أحسن إلى ذلك القائد، ووصله وأعلى محله[٣].

عادت الثورة البربرية من جديد في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وقد تزعم هذه الثورة في مدينة ماردة محمود بن عبد الجبار بن راحلة وهو من بني طريف من بربر مصمودة المستقرين مع أخوانهم من قبيلة صنهاجة، ولاسيما بنو عبد الوهاب الذين ينتمون إلى صنهاجة، وهم من ذرية ميمون بن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد، الذين برز منهم قوّاد وكتّاب بحصن اشونة من كورة

(١) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٢/٥-٢٨٣، ٥٢٧، ٥٣٦؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٣٦٣/٢-٣٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١/٢-٦٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٦٢/٢٣-٣٦٣، و ٣٧٤-٣٧٧. ينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٥٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٧٧/٥-٤٧٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب٣٧٣/٢٣-٣٧٤.

استجة[١]، إذ اقدموا على قتل مروان الجليقي عامل مدينة ماردة وعلى اثر ذلك سَيّر الأمير عبد الرحمن بن الحكم جيشاً من قرطبة ومعه رهائن أهل ماردة سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م)، فلما بارزها راسله اهلها، وافتدوا رهائنهم بالعامل الذي أَسَرُوه، إلا أنه حاصرهم لمدة قصيرة، أدى بالنتيجة إلى خراب بلادهم[٢]، وتوالت الحملات العسكرية التي سيّرها الأمير عبد الرحمن الثاني، إذ استطاع الأخير فتح مدينة ماردة سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م) بنفسه، فهرب على إثرها زعيم الثورة محمود بن عبد الجبار مع جمع من أصحابه إلى حصن منت شلوط الواقع جنوب بطليوس فسير إليه الأمير جيشاً سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م)، إلا أنهم تمكنوا من الهرب فأرسل عبد الرحمن الثاني سرية في إثرهم إلا أن محمود الماردي تمكن من القضاء على تلك السّرية وغنم ما معهم، فتمكن هذا الثائر بالزحف بجموعه تساعده أخته جميلة، التي اشتهرت بالحسن البارع والشجاعة والنجدة والفروسية، لمهاجمة مدن الغرب المجاورة مثل باجة(Beja)[٣]، التي تغلب عليها وبسط سلطانه فيها وعندما تمادى في عبثه وزاد خطره، قام الأمير عبد الرحمن بأرسال الحملات تباعاً إلى مناطق نفوذه، مما اضطره للهرب إلى جليقية، والالتجاء إلى ملكها ألفونسو الثاني(١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤١م) سنة (٢٢٣هـ/٨٣٧م)، فرحب به الأخير وأكرم وفادته ومنحه حصناً على الحدود أقطاعاً له أتخذه قاعدة يشن من خلالها حملاته على الأراضي الإسلامية لمدة خمسة أعوام وثلاثة أشهر ولكنه اكتشف بعد حين أنه وضع في كمين من أجل خدمة المصالح السياسية لملك جليقية وعلى إثرها

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ الرشاطي، اقتباس الانوار، ص١٥؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢ و ٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٢/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٥٨/٥؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع، ٨٥/١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٥٨/٥.

(٣) وهي مدينة غرب قرطبة من أقدم مدن الأندلس بنياناً، وأولها اختطاطاً، وإليها انتهى يوليش المعروف بجاسر، أول القياصرة، وهو الذي سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح وحوز باجة تتصل بكورة ماردة وخطتها واسعة، ولها مدن ومعاقل وأقاليم موصوفة بالمنعة والحصانة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وما بين باجة وماردة للراكب ثلاثة ايام، ومن مدائنها القصر وأورش، وهي من الكور المجندة، ذات تجارات ونعم كثيرة وزرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل، ولمائها خاصية في دبغ الأديم لا يبلغه دباغ في الجودة. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ١٩٤؛ البكري، لمسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٥.

كاتب الأمير طالباً منه الأمان وبادر الأخير بقبول اعتذاره، ولكن الملك الفونسو الثاني أدرك هذا الخطر وقام بمهاجمة حصن الثائر محمود وقتله وأسّرَ أخته جميلة سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م)[١].

ولا يختلف أحد عن الثورات التي قادها البرانس في الأندلس، إذ لا نستبعد مشاركة عدد غير قليل من العناصر الصنهاجية، لكونها تشكل إحدى القبائل الرئيسة، ولاسيما ثورة حبيب البرنسي بالجزيرة الخضراء في سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م)، في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، إذ أجتمع إليه الكثير من بربر البرانس، ولاسيما صنهاجة التي كان في الجزيرة إقليم تابع لهم[٢] فشن بهم الهجوم على قرى رية(Reha)[٣] وغيرها، فأشاع الأذى، ونهب وقتل وسبى، فأخرج الأمير عبد الرحمن الثاني عند ذلك الخيل مع عباس بن مضا، فلما وصل إلى الجزيرة الخضراء لقتال حبيب البرنسي سبقته العناصر البربرية المناوئة له والتي كانت تستنكر افعاله المشينة بالعنف والقتل والنهب التي انتهجها في غاراته، ولم تتهاون هذه العناصر البربرية والتي لم تذكر المصادر التاريخية عن انتماءاتهم القبلية في محاصرته فأوقعوا بهم وقصوهم، وقتلوا الكثير من رجاله، وتفرقت بقيتهم، ولكنهم لم يظفروا بحبيب البرنسي، مما دفع الأمير عبد الرحمن الثاني أن يكتب لعماله في مختلف كور الأندلس يأمرهم بالقبض عليه ولكنه لم يظفر به ايضاً[٤].

كما وثار أهل طليطلة عندما تولى الإمارة محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) الذين كانوا يشكلون حجر عثرة في الإمارة بثوراتهم المتواصلة حتى عادوا تمردهم وعصيانهم بالثورة، إذ لم يكتف أهل طليطلة هذه المرة بالانفراد وحدهم بالثورة بل اشركوا معهم بربر البرانس من سكان طليطلة، كما وصف ابن حيان ذلك بقوله: "وأشترك من أهل طليطلة في هذه الثورة البرانس البربر، فكثر

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٦٢٩، ص٦٧٣-٦٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٥٨/٥-٥٥٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٨/١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٧٨/٢٣؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٤/٤. وللمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٥٧/١-٢٥٨،٣٠٥؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١١٧.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص٧؛ العذري، نصوص عن الاندلس، ص١٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٣/٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢-٩٠.

(٣) كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء في الجنوب الشرقي من قرطبة، وهي كثيرة الخيرات غزيرة البركات مطردة الأنهار برية بحرية، ومدنها كثيرة وحصونها حامية، منها مدينة أرشذونة ومالقة ومربلة وببشتر وحصن وبشكصار. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢، و٥٦٥، و٥٧٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤) المقتبس (للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢-٩٠.

جمعهم وسعروا البلاد حولهم"[١]، إذ كانت أخبار وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني قد وصلت إلى طليطلة في اليوم الثالث من وفاته، وكان فيها يومئذ ابنه سعيد بن عبد الرحمن، والعامل عليها حارث بن بزيع[٢]، ومن خلال ذلك انتهز أهل طليطلة هذه الفرصة وأعلنوا الثورة يوم السبت (١٤ خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م)، عندها عجز الجيش الأموي عن مقارعتهم وإخماد ثورتهم، وعلى اثرها قاموا بفتح باب القنطرة لأميرهم سعيد، فخرج منها ونجا بمن معه، بينما وقع عاملها الحارث اسيراً بيد ثوار البربر الذين اشترطوا لإطلاق صراحه أن يطلق الأمير عبد الرحمن الثاني سراح رهائنهم في قرطبة، وفعلاً اطلق الأمير سراحهم، بالمقابل اطلق سراح الحارث[٣].

كما اشتركت صنهاجة في ثورة اشبيلية سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) على الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن التي كانت بقيادة جنيد بن وهب البرنسي القرموني[٤] مع جمع كبير من البرابر البرانس إلى جانب زعماء عرب شذونة ولبلة، ضمن التحالف الذي دعا إليه بنو خلدون بزعامة كريب بن عثمن وهذا ما ذكره ابن حيان بقوله: "واتسعت الفتن بكل ناحية واشتملت الفرقة على كل فرقة حتى واقعها أهل اشبيلية، وكان اول من اظهر الخلعان بها وأثنى بأهل المعصية، وسعى في تفريق الكلمة كريب بن عثمن بن خلدون... وشاركه في هذه الثورة سلمين بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمن بن عمرون[٥] الثائر بكورة لبلة، وجنيد بن وهب البرنسي القرموني، بمن معه من البرابر البرانس"[٦].

---

(١) المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص٢٩٣.

(٢) من عمال الامير عبد الرحمن الثاني على طليطلة سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)، إلا انه فيما بعد قام الأمير بعزله سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، ولكنه عاد عاملاً عليها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)، وبعدها جعله عاملاً على قلعة رباح طلبيرة سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) . ينظر: ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص١، و٢٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٨٤-٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٣٨٢.

(٣) المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص٢٩٢-٢٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب،٢/٩٤.

(٤) كورة بالأندلس، يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، قديمة البنيان ذات نعم كثيرة عامرة ذات هواء معتدل يدخلها تجار بلاد الروم والمغرب ومصر وأكثر ما يقول الناس قرمونة. ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى الغرب، ص١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١.

(٥) لم نجد له ترجمة في المصادر التاريخية سوى ورود اسمه في كتاب ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص٩١.

(٦) المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص٩١.

إن المتمعن في مجريات أحداث ثورة اشبيلية وما نجم عنها يتبادر للذهن أن الدافع والمحرك الأساس لهذه الثورة مكاسب شخصية ومادية للمستفيدين من المشاركة في ثورة اشبيلية أو المنضوين في ركب الثائرين فيها وعلى رأسهم قبيلة صنهاجة البربرية ومن لفّ لفهم من البربر سيدرك يقيناً أن الصنهاجيين لم يشتركوا في هذه الثورة أو يؤيدوها ما لم تتولد تلك القناعة لدى زعمائهم وقادتهم بأن هناك مكاسب مادية باتت تلوح في الأفق وأن الحصول عليها بات سهلا يسيراً بسبب تعدّد المشاركين في الثورة من عرب وبربر وضعف المدافعين عن كورة اشبيلية، وخير ما يؤكد ذلك ما ذكرة ابن حيان بقوله: "ودس كريب بن عثمن وخليفته جنيد بن وهب البرنسي رسليهما إلى بربر ماردة ومدلين يستدعيانهم للغارة على كورة اشبيلية، ويشهيانهم بكثرة غنائمها، وقلة المدافعين عنها"(١).

وفي أحداث سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، الكائنة في عهد الأمير عبد الله بن محمد، وما كان من أمر ابن حفصون، إذ صير إليه القائد احمد بن محمد(٢)، وهي الغزوة المعروفة بالجزيرة وكان الفصول لها يوم السبت لاثني عشر بقيت من جمادى الآخرة منها، إذ وقعت هذه المعركة في محلة ذكوان في يوم الأثنين الموافق أول يوم من شهر يونيه العجمي، إذ اشار ابن حيان بقوله: "انهزم الفاسق عمر وقتل من اصحابه اثنا عشر طنجياً ولاذوا بالوعر، فقتل له طنجي مذكور وأخذ له فرسان ونزع من أصحابه إلى العسكر

(١) المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص٩٢.

(٢) الوزير أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة قائد عسكري المغوار ينتمي إلى اسرة بني أبي عبدة الذين كانوا في الأصل من موالي بني أمية ومحل ثقتهم، صاحب الفضل في المحافظة على بقاء الإمارة الأموية طوال فترة حكم الأمير عبدالله، والذي بدوره افتتح على يديه العديد من الحصون القلاع وقمع التمردات القائمة على الإمارة أمثال تمرد خير بن شاكر في كورة جيان سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وكذلك تمرد ابن حفصون خلال السنوات (٢٨١-٢٨٥هـ/٨٩٤-٨٩٨م)، وفي عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد ارسله في جيش ضخم لتأديب مملكة ليون بعدما قامت الأخيرة بالهجوم على طلبيرة والعبث بها، لذا قام ابن ابي عبده على قيادة جيش ضخم وتوجه إلى قلعة شنت أشتبين الواقعة على نهر تاجة، إلا أنه لم يحالفه الحظ في الأنتصار وذلك بسبب جيشه المتكون من المتطوعين من البربر والمرتزقة الذي لا يعتمد على ولائهم وشجاعتهم، وكانوا يحرصون على غنائمهم أكثر من حرصهم على مقاتلة العدو، لذا انتهز الفرصة ملك ليون أردونيو الثاني، فهاجم المسلمين فثبت ابن أبي عبدة وعدد من رجاله حتى قتل هو ومن معه، وقام ملك ليون بتعليق رأسه على سور البلدة المذكورة وبجواره خنزير برى نكاية به سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م). ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ص٥٣، و٨٢، و٩٢، و١٠٧، و١٢٧، و١٣٥-١٣٦، و١٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٤١-١٤٩، و١٥٢، و١٦٠، و١٦٩، و ١٧٠-١٧١؛ مؤنس، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٧٩، و٣٩٤-٣٩٥.

ثلاث عشر طنجياً، ورحل العسكر إلى وادي بني عبد الرحمن، مقابل ببشتر"[١][٢]، وعندما تجددت الحرب بين الطرفين "يوم الخميس بعد المناظرة في شروط السلم، فأعترض خلاف انتقضوا عنه فعادت الحرب فأشتدت وقتل منهم ثلاثة رجال، ومن أهل العسكر طنجي واحد"[٣].

كما شهد حصن كركي (Caracuel)[٤] وجبل البرانس سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م)، ثورة ابن يامين وابن موجول، فأرسل الأمير عبد الله بن محمد إليهما قائده الأموي عباس بن عبد العزيز وقضى عليهما وأخذ حصونهما[٥].

وفي الحقيقة أن الخبر ليس فيه تصريح بأن ابن يامين وابن موجول ينتسبان إلى البربر، بيد أن ثمة دلائل تشير إلى هذين الثائرين بالانتساب إلى البربر، فقد أشار ابن حيان في حوادث سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، إلى أحد المتمردين على الإمارة الأموية يدعى ابن يامين البربري، وأنه امتنع بجبل البرانس، لكن الأمير عبد الله تمكّن من القبض عليه، وصلبه على سور مدينة طليطلة[٦].

وربما يكون ابن يامين هذا الذي لم يذكر ابن حيان اسمه الكامل ابن لذلك المصلوب أو أحد اقربائه على اقل تقدير، الذي صلب على سور طليطلة في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، ولاسيما وأننا نجد توافقاً في المكان الذي قامت به ثورتهما ألا وهو جبل البرانس، فضلاً عن توافق الأسمين[٧]، والملاحظ أن ابن موجول الذي ثار في حصن كركي، فالمعروف أن هذا الحصن والجبل المذكورين يعدّان من المواطن التي

---

(١) حصن منفرد بالامتناع والواحد في الحصانة والانقطاع تزل عنه الأبصار فكيف الأقدام، من أعمال ريّة بالأندلس بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، على صخرة صماء من جميع النواحي، كثير الكرم والزيتون والرمان واللوز. ينظر: الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢؛ ابن فرحون، فرحة الأنفس، ص٢٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٩.

(٢) المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص١٤٤-١٤٥.

(٣) المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص١٤٥.

(٤) اسم حصن من أعمال أوريط بالأندلس له ولاية وقرى يقع إلى الشرق من ماردة بينها وبين قلعة رباح على مسافة تبلغ نحو عشرين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من المدينة الملكية Ciudad Real . ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص٦١٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٥٤/٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٨/٢، و١٥٩.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص٦١٥.

(٧) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص٦١٥.

كانت تعج بالبربر في ذلك العصر، إلى درجة أن لفظ البربر كثيراً ما يلحق بهما فيقال: "برابر كركي وجبل البرانس"(١).

فإذا كان سكان هذين الموضعين بربراً، فمن المنطقي أن لا يتمرد على الحكومة المركزية فيهما إلا زعيم من السكان المحليين ليحصل على العصبية اللازمة لإنجاح تمرده(٢)، وإذا ما علمنا أن جبل البرانس يقع شمال قرطبة بينها وبين طليطلة ممتداً من الشرق إلى الغرب، وأن البرانس كانوا يشكلون غالبية سكان هذه المنطقة، وما سمي الجبل بأسمهم إلا دليل على تواجدهم في المكان نفسه، ولا يوجد شك أن الصنهاجيين كانوا يشكلون جزءاً ونسبة من نسيج القبائل البرنسية في هذا الحيز الجغرافي إلى جانب القبائل البرنسية الأخرى ككتامة ومصمودة وأوربة وأزداجة وأوريغ(٣).

وعند العودة إلى المناطق التي استقر فيها بربر البرانس، وعلى رأسهم صنهاجة، نجد أن هذه القبيلة نزلت في شرق الأندلس، وسكنت في جهات مختلفة، ولاسيما في قسطليون ولقنت ومرسية في مواقع ما تزال تسمى بأسم قبيلتهم مثل: (Soneja) في محافظة قسطليون(٤)، كما استقروا في الشمال الذي كان تعدّ إحدى أوسع أماكن الاستقرار للبربر في الأندلس، وكانت صنهاجة من بين القبائل البربرية المتواجدة في هذه المنطقة حتى في سرقسطة نفسها اقامت بعض المجموعات من البربر الذين ينتمون إلى مختلف العشائر مثل: زواغة، وهوارة، وصنهاجة، وعلى الرغم من أن هذه المنطقة كانت غالبية ساكنتها من القبائل العربية(٥)، ولعل استقرار الصنهاجيين في وادي الحجارة بانتشار واسع مما دفع أن يتولى حكم حكم هذه المدينة رجلاً منهم(٦).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٩/٢. ينظر ايضاً: أبا الخيل، محمد بن ابراهيم، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) دراسة في التاريخ السياسي، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الملك عبد العزيز العامة – الرياض، ١٩٩٥م، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) حسين، حمدي عبد المنعم محمد، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص٨٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٥٤٦، ص٦١٥-٦١٦؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٥.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٢٦؛ طه، الفتح ولاستقرار، ص٢٧٧.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤.

كما قامت ثورة بقيادة عمر بن مضم الهترولي سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) الذي ينتسب إلى بربر قرية الملاحة من كورة جيان، ولذا عرف بالملاحي، الذي كان جندياً عند عامل المدينة فغدر به وضبط القصبة، فبعث إليه الأمير عبد الله بن محمد جيشاً بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي حاصره في قصبة جيان، فلما اجهده الحصار طلب الأمان فأمنه ابن أبي عبدة وأتى به إلى قرطبة(١).

وعلى الرغم من أن ابن حيان زودنا باسم زعيم هذه الثورة، وأنه من بربر قرية الملاحة بكورة جيان، إلا أنه اهمل كعادته أصل هذا الثائر من أي قبائل البربر، ولكن عندما نعود لأبن حزم نجده عاش في بلكونة التي تكون قريبة من جيان التي يتواجد فيها الفارس الصنهاجي المشهور يحيى بن ضريس، من بني جعفر، الذي صدم عمر بن حفصون، فأبطل يده بالضربة المشهورة، فلم يأكل ابن حفصون بيمينه بعدها، وعاش بعد الضربة نحو ثلاثين عاماً(٢)، إلا أن هذه المعلومة المهمة التي اوردها لنا ابن حزم لم نعثر عليها عند ابن حيان، على الرغم من أنّه يؤرخ لحدث مهم في تاريخ هذه الدولة بالأندلس، وإذا حسبنا تاريخ وفاة ابن حفصون، كما نقله ابن حيان عن الرازي بقوله: "فيها اهلك الله الخبيث عمر بن حفصون جرثومة النفاق وإمام الضلالة وكهف الخلاف وموقد نار الفتنة وملجأ أهل المعصية، بمدينة ببشتر قاعدته، حتف انفه من علة طاولته قضى منها ليلة الاثنين لأربع عشرة بقيت من شعبان سنة خمسة وثلاثمائة للهجرة، عن اثنين وسبعين سنة، وكان من أول قيامه بالفتنة وشقه عصا الجماعة وإمتناعه بقلعة ببشتر منبر المعصية ثلاثون سنة..."(٣).

وإذا عدنا أدراجنا ثلاثين سنة إلى الوراء فأن هذه الضربة التي تحدث عنها ابن حزم، يقيناً أن تكون في حوالي سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أي: إنها حدثت في أواخر عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الذي حكم من سنة (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) أو في بداية عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي تولى الحكم في السنة نفسها.

فضلاً عن ذلك تكرر ذكر اسم الطنجيين في احداث سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، إذ أورد لنا ابن حيان رواية تتعلق بحرب عمر بن حفصون في عقر داره في قلعة ببشتر (Bobastro)، إلى جانب سعيد بن

(١) ابن حيان، المقتبس في رجال الأندلس، تحقيق: ملتشور انطونيا، ص٢٥. نقلا عن حسين، ثورات البربر في الأندلس، ص٨٢، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٦/٢؛ ابا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص١٦٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٢٧.

(٢) جمهرة انساب العرب، ص٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص١٣٨.

هذيل الذي انشق عن الأمير عبد الله بن محمد بالمنتلون، فقال: "واتفق أن تهافت الطنجيون الذين في العسكر على النزوع إلى الخبيثين ابن حفصون وابن هذيل، فدارة الدائرة على هؤلاء واستؤصلوا بالبلدين، ببشتر والمنتلون"(١)(٢).

ولعل السبب الذي دفع ابن حيان على تسمية بربر صنهاجة بالطنجيين بدلاً من ذكر اسمهم دلالة على كثرتهم ولكونهم يمثلون السواد الأعظم في مدينة طنجة المغربية وذلك بحسب ما ذكره البكري بقوله: "وأما كورة طنجة فكانت مساكن صنهاجة في المغرب الأقصى"(٣)، وهذا يقودنا إلى الجزم أن أغلب الشخصيات العسكرية والسياسية التي تبوأتْ مناصب ادارية في الأندلس أبان مرحلة الفتح وما أعقبها من مراحل لقبوا بالطنجيين، إذ لا نستبعد أن يكونوا من قبيلة صنهاجة بحسب ما ذهب إليه البكري.

كما أورد ابن حيان في موطن آخر عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر الرامية لاستجلاب البربر بهدف استعمالهم في جيشه، إذ ذكر أنه كان "لا يستخدم من البربر إلا أراذلهم وعبدانهم من اشابتهم وأساودهم، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصراً بهم على ادنى الملاحق ، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في اشق خدمة"(٤).

ويبدو أن جنوب الأندلس ووسطها وغربها كان مستقراً للبربر عامة وللصنهاجيين بصورة خاصة، فإذا كانت جيان وبلكونة وأشونة وهي من استجة وقسطلة دراج وهي قرية في غرب الأندلس من أعمال جيان، وما يدور حولها من مناطق استقرارهم(٥)، فأن هذا يعني بلا شك أن مواطن استقرارهم كانت تنتشر بالأساس في المناطق الغربية والجنوبية، لكون هذه المناطق لا تخضع لتبعية قوية لسلطات قرطبة المركزية(٦).

---

(١) مدينة تقع ضمن كورة جيان. ينظر: ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ص٢٥-٢٧، و ٤٤، ٤٥، ٤٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٥/٢-١٣٧.

(٢) المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن حيان، المقتبس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠٢؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٥؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الانوار، ص١٣٥، و ١٨٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٤٧/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٩-٤٨٠.

(٦) حقي، البربر في الأندلس، ص١١٩.

لقد عانت الإمارة الأموية بالأندلس أوضاعاً مأساوية، جعلتها تعجز عن مواصلة القضاء على الفتن والحركات والثورات الانفصالية عن جسد الدولة المتعددة، التي قامت بها عناصر متعددة طموحة، أتخذت من العصبيات القبلية غطاء لها، بالإضافة إلى أصحاب الأهواء والمصالح الشخصية، للوقوف بوجه حكومة قرطبة، معلنةً تحديها للسلطة الداخلية، أما على الصعيد الخارجي فقد فتح باب الاطماع الخارجية للتوغل في أراضيها لمحاولة التوسع على حساب أراضي الأندلس الإسلامية المتاخمة لحدود أراضي الممالك النصرانية الإسبانية، ولاسيما مملكة اشتوريس التي كانت بقيادة الفونسو الثالث(٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م)، الذي شرع في توطيد حدوده الجنوبية الملاصقة لأراضي الأندلس، مستغلاً بذلك تضعضع الأحوال الداخلية في الإمارة الأندلسية، أضف إلى ذلك غاراته التي كان يشنها على المناطق الغربية للأندلس، ومساعدته للثائرين فيها(١).

فبعد وفاة الأمير عبد الله تولى حفيده عبد الرحمن الثالث الإمارة سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، على الرغم من وجود العديد من أعمامه وأعمام أبيه ممن هم أحق منه بالعرش من حيث السن، إلا أنه بايعه كل أصحاب المكانة ولم ينافسه أحد لخطورة المهمة التي كانت ستواجه من يتولى الحكم في الأندلس في ذلك الحين، وكان من الضروري أن يتولاها شخص ذو همة عالية حازماً وذكياً وعادلاً وعاقلاً شجاعاً وسياساً حكيماً محباً للإصلاح وحريصاً عليه، لمواجهة تلك الأوضاع المضطربة، من أجل استتباب الأمن في البلاد وتوفير الاستقرار لأهلها، إذ نجد الأمير عبد الرحمن الثالث جعل اولى اهتماماته عند توليه زمام الحكم مواجهة اعدائه المستقلين في النواحي بالسيف تارة أو بالسياسة الرشيدة التي اتبعها بالعفو عمن طلب الأمان وعاد إلى الطاعة تارة اخرى، كما أدب المتمردين من حكام نصارى الشمال الإسباني وجعلهم يدركون قوة الأندلس، حتى انقلب تحرشهم إلى خضوع تام لشروطه واعترفوا بقوته التي جعلت حكام اسبانيا الشمالية أن يطلبوا منه أحياناً التدخل في حل مشاكلهم الداخلية(٢).

استمر الأمير عبد الرحمن الثالث في اتباع السياسة التي بدأها أجداده، والمتمثلة في اقطاع حكام الكور المتاخمة للثغور الشمالية، ولاسيما اعدائه واعداء المسلمين من نصارى الشمال لمواجهتهم مقابل اعترافه بما تحت ايديهم من كور لقاء الخدمة العسكرية لصالح الدولة، إذ أكد هذا الامر ابن حيان قائلاً:

(١) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص٢٩٩.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٩٧-٢٩٨.

"فقسم بلادهم بينهم حصصاً، وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كل عام سجلاتهم تضميناً وترفيهاً، ثم لا يغبهم بالصلاة إذا وفدوا، وبالهدايا إذا بعدوا، فلا يألون في طاعة مع حفظ انفسهم منها جهداً، ولا يألون عدوهم وعدو المسلمين دفاعاً ووقماً، ثم لا يأتي هو مع سدهم لثغرهم، ووقمهم لعدوهم، وصلتهم مغاورته أكثر أوقاتهم، عن ارسال صوائفه الثقال، الجالبة من كل دار مملكته بصيف كل عام من طبقات اجناده"(١)، كما ذكر ابن حيان مجموعة من البيوتات البربرية أيضاً شملها هذا الاعتراف وصار حقاً متوارثاً في ابنائها بقوله: "ويقتصر تقليد مدن الثغور على أكابر ساكنيها ووراثها عن الأجداد والآباء، منهم آل تجيب، وآل ذنون، وآل زروال، وآل غزوان، وآل الطويل، وآل رزين وغيرهم"(٢)، ولا يستبعد أن يكون من ضمنهم أفراد من صنهاجة الذين استقر البعض منهم في المناطق الشمالية، على الرغم من ابن حيان لم يذكرهم واكتفى بقول وغيرهم(٣).

ونتيجة لتلك الحاجة إلى الاستعانة بأكبر عدد ممكن من عناصر المجتمع الأندلسي، تغيرت معاملة البربر عما كانت عليه في الوقت السابق، إذ فسح المجال لهم في المشاركة في العمل العسكري، ولاسيما البربر البلديين في الجيش الأندلسي، الذي أصبح يتمتع بالامتيازات نفسها التي تقدم للجند الشاميين الذين كانوا يقاطعون على أراضيهم، ويعفون من دفع العشر، ويرتزقون مائة دينار بعد كل غزوة، ويسجلون في الديوان، لذلك قام عبد الرحمن الثالث بتعميم ظاهرة التسجيل في الديوان، مقابل الخدمة العسكرية لتشمل البربر أيضاً المقيمة منها في الثغور المتاخمة للنصارى(٤).

كما اعتمد الأمير عبد الرحمن الثالث على جند البربر منذ سنوات حكمه الأولى، إذ غزا في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، مدينة شذونة للقضاء على أهل الخلاف بها "وبنى حصن اشبره على حصن منت

(١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٨.
(٢) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٧-٤٣٨.
(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٣.
(٤) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٥-١٤٧.

أقوط[١]، وادخل فيه جميل بن عقبة البلوي[٢]، وصير معه عدة كثيفة من الفرسان والبرابر الطنجيين والرجالة الملحقين والعدة التامة من الاطعمة والاسلحة"[٣]، وإذا كان عبد الرحمن الثالث قد ساوى بين العرب والبربر البلديين، فأنه لم يكن يعامل البربر الطنجيين بالمعيار نفسه، إذ فرّق بين عامتهم وخاصتهم وحرص على استجلاب الفرسان الأشداء، ليستفيد من خدماتهم العسكرية، لكن الجزاء الذي خصهم به، لم يكن من جنس العمل الذي اختاره لهم، فقد سلك سياسة الحذر الشديد في معاملته معهم، إذ نجده "لا يستخدم من البربر إلا أرذلهم وعبدانهم من اشابتهم وأساودهم، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصراً بهم على ادنى الملاحق ، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في اشق خدمة"[٤].

ويعزي أحد الباحثين السبب في جنوح عبد الرحمن الثالث إلى هذه المعاملة، بالرغم من الخدمة الكبيرة التي كانوا يقدمونها الجند ذوي الأصول المغربية لحكومة قرطبة، مع ذلك يمكن تفسيرها بعدم الثقة التامة من طرف عبد الرحمن الثالث في هؤلاء البربر الذين كان غالبيتهم من صنهاجة كثيراً ما شقوا عصا الطاعة، ووقفوا إلى جانب الثائرين على السلطة الأموية[٥].

وربما كانت لهذه المعاملة التي انتهجها الأمير الثالث آثار كبيرة على نفوس جميع البربر فأفسدت ودهم وجعلتهم يثورون على السلطة بسبب عدم معاملتهم بالمثل مع غيرهم من عرب وبربر، كلما وجدوا لذلك سبيلاً، إذ نجد ذلك جلياً في استمرار تمرد ابن حفصون الذي استغل سوء معاملة الأمير الثالث للبرابرة الطنجيين من صنهاجة وحثهم بالثورة على حكومة قرطبة، كما أن ابن حفصون لديه اتصالات خارجية مع الدولة الفاطمية التي ظهرت على ساحة الأحداث في المغرب، إذ كانت تمده بالمؤن والإمدادات العسكرية، ويؤكد ذلك ابن حيان بقوله: "ودخل الناصر لدين الله إلى مدينة الجزيرة الخضراء، وكان في ساحلها المارد ابن حفصون ولدى أصحابه عدة من المراكب البحرية يُسفرونها إلى أرض العدوة

---

(١) حصن من حصون كورة رية التي كانت تابعة لأبن حفصون. ينظر: ابن حيان (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص١٧٢؛ وذكر ابن الأبار من اقوط وقال أنه من حصون مرسية أعتقل فيه ابو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر القيسي من قبل المعتمد بن عباد، الحلة السيراء، ١٢٤/٢؛ إلاّ أن كل الموضعين لا يتفقا مع تحديد ياقوت الذي جعله من نواحي باجه غرب الأندلس. معجم البلدان، ٢٠٧/٥.

(٢) لم اجد له ترجمة في المصادر سوى ما ذكره ابن حيان في كتابه المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٨٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٨٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.

(٥) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٧.

في المير والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها أعظم التوسعة... فأمر الناصر بحرقها جميعاً بين يديه"[١]، وهذا ما اكده ابن عذاري أيضاً بقوله: "وألقيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدوة فأحرقت جميعها"[٢]، وبذلك قطعت جميع الامدادات اللوجستية والعسكرية التي كانت تأتيه من الدولة الفاطمية لمده بالعدة والجند، ولاسيما قبيلة صنهاجة على حدٍّ قول ابن عذاري "وكانت صنهاجة تتقلد مذهب الشيعة العبيدية وكانت زناته بنو مغراوه ضداً لهم في انحيازهم إلى أمراء الأندلس بني مروان، لتحقيق مجد أمرائهم خزر وذريته بولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فكانت زناته توالي بني مروان لقرابتهم من عثمان وقدّم عليهم أمرائهم إلى الأندلس فيجهزونهم بالأموال والكسى ويعودون إلى مواطنهم بالغرب...فلما دخلت صنهاجة في الدعوة العبيدية وتقلدتها وأبت من ذلك زناته فصارت صنهاجة حرباً لزناته"[٣]، وهذا ما أكده ابن الخطيب أيضاً بقوله: "وكانت قبائل صنهاجة متقلدة آراء الشيعة، مخالفة لقبائل زناتة في انحيازهم إلى الطائفة الأموية لتحقق جل أمرائهم يومئذ من آل خزر بولاء عثمان بن عفان (رض)"[٤]، وهذا ما أكده ابن خلدون في معرض حديثه عن صنهاجة أيضاً بقوله: "عندما استوسق الملك للشيعة بأفريقية تحيز الصنهاجيون إليهم بعدما تحيزت مغراوة وسائر بطون زناته التي كانت لهم ولاية للخليفة عثمان بن عفان إلى المروانيين أمراء العدوة بالأندلس"[٥]، بالأندلس"[٥]، إذ نجد الأمير عبد الرحمن الثالث بدأ يستقطب البربر الذين هربوا من قبضة الدولة الفاطمية الفاطمية في المغرب، ولاسيما قبيلة زناته البربرية وهذا ما اكده مؤلف مجهول بقوله: "وتخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسداً لمن عجز برجاله، مقوياً لمن ضعف بماله، متفقداً لهم في سائر الحالات بألطافه، متعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناته في حزبه وارتسموا بطاعته، ولاسيما عند امتياز اضدادهم صنهاجة في حزب اعدائه بني عبيد الله الفاطمي"[٦].

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٨٧.

(٢) البيان المغرب، ١٦٥/٢.

(٣) البيان المغرب، ٢٦٢/٣.

(٤) اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١.

(٥) العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٦) مفاخر البربر، ص٩٤.

من الواضح أن الأمير عبد الرحمن الثالث أراد أن يضع حداً لأطماع الدولة الفاطمية في توسيع نفوذهم في العدوة الأندلسية مستخدمين قبيلة صنهاجة البربرية التي تنتمي إلى فرع البرانس بسبب ما عرف عنهم من ولاء عقائدي منقطع النظير للفاطميين من جهة وشدة بأسهم وشجاعتهم في المعارك من جهة أخرى، لذا نجد أن الناصر قد ردَّ على الفاطميين بوسيلتهم نفسها عندما استخدم قبيلة زناتة الموالية للمروانيين، وهي من القبائل المشهورة التي تنتمي إلى فرع البتر أيضاً التي لا تقل شهرة عن شهرة الصنهاجيين وبأسهم وشجاعتهم في المعارك من أجل مجابهة الصنهاجيين والحد من قوتهم التي استخدمها الفاطميون لتحقيق اطماعهم في العدوة الأندلسية.

المبحث الثالث :- دورهم في عهد الخلافة الأمويّة حتى نهاية الدولة العامريّة (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م)

أعلن الأمير عبد الرحمن الثالث الخلافة الأموية سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) وأصبحت الأندلس خلافة مستقلة سياسياً وروحياً عن الخلافة العباسية بالمشرق، وتلقب بـ "الناصر لدين الله" فكان أول خليفة أموي بالأندلس(١)، ومع بداية السنوات الأولى من اعلانه للخلافة، قام بحملات عسكرية واسعة على المغرب للحدّ من اطماع الفاطميين الرامية للاستيلاء على الأندلس، ولتكون أسلحة المعادلة بين الطرفين متكافئة، فدعم الناصر بهذا الفعل مركزه داخل الأندلس وخارجها، وفرض هيبته في نفوس أهلها حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية(٢)، وعلى الرغم من أنّ الدولة العربية في الأندلس قد استطاعت غير مرة منافسة الدول الكبرى في مجالي القوة والتقدم فإن أمراء هذه الدولة لم يفكروا في الإقدام على منافسة الدولة العباسية في ألقاب الخلافة وقيل في تعليل ذلك أنهم كانوا يرون الخلافة تراثاً لأهل البيت (عليهم السلام)، ويدركون قصورهم عن ذلك، بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية، وأنهم بعبارة أخرى كانوا يرون أن الخلافة تكون لمن يملك الحرمين(٣)، كما استعاد الوحدة

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٠٤-٤١٠، و٢٤١-٢٤٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٧/٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٣٠؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٩٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٥/٢؛ الدليمي، انتصار محمد صالح، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢/٩٧٦م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة كلية الآداب-جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، ص١١٧-١١٨.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٢٩/١.

الوطنية إلى البلاد بعد ستة عشر عاماً من النضال الصعب الذي انتهى بالقضاء على جميع المتمردين وعلى رأسهم بني حفصون، ولقب الأمير لم يعد من الألقاب التي تستوعب طموحات عبد الرحمن الثالث، خصوصاً بعد أن زالت حرمة هذا اللقب وتلقب به معظم الخارجين على السلطة المركزية منافسة لأمير قرطبة الحاكم الفعلي والشرعي لعموم البلاد(١)، ضعف الخلافة العباسية وتحكم العناصر الأجنبية بمقدرات الخلافة بوصفها لقباً له حرمته، وبالخليفة بوصفه صاحب سلطة دينية وزمنية، كان عامل آخر من العوامل التي أجازت للأمير الأموي اتخاذ لقب الخليفة(٢)، إن لقب خليفة يهيئ للعاصمة قرطبة دوراً أكثر مركزية يمكّنها من القبض على أطراف الدولة قاطبة، ويمكّنها من قمع أي: تحرك انفصالي بالسرعة القصوى(٣).

وقيل: إن أهل الأندلس هم الذين منحوا أميرهم لقب (خليفة) تقديراً لجهوده في توحيد البلاد، وتثبيت أركانها لإعادة مجدها وبعد أن تيقنوا من ضعف خلافة بني العباس في المشرق وبطلان دعوى الفاطميين في المغرب(٤)، إذ سيطر على مدينة سبتة التي كان لموقعها أهمية كبيرة واستراتيجية وهذا ما اكده ابن حيان بقوله: "وكانت سبتة مطمح همم أمراء العدوتين وقد كان للناصر المرواني صاحب الأندلس عناية واهتم بدخولها في دائرة حكمه حتى حصل له ذلك في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، وبها أشتد سلطته وملك البحر بعدوتيه، وصار المجاز في يده وتوطدت طاعته لأرض المغرب، وكان أول من سما إلى ذلك من أملاك الأندلس منذ سكنها الإسلام فاستظهر بها على أمره وجعلها ميراثا لمن بعده من ولاة الأندلس وأكرم وجوه أهل سبتة الذين جنحوا إلى طاعته ورفع منازلهم وقضى حوائجهم"(٥).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أراد من هجماته المتكررة على بلاد المغرب ليؤمن جبهته الداخلية من ثوار الأندلس الذين يتجهون بأبصارهم إلى العدوة المغربية، ويفاوضون الفاطميين ويتآمرون معهم على حكومة قرطبة، فما كان من الخليفة الناصر أن يسيطر على هذا الخطر الجديد قبل استفحاله في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، بالسيطرة على مدينتي سبتة وطنجة ذات الأهميتين الاستراتيجية من جهة، والأهمية العسكرية القبلية من جهة أخرى، أما ما يتعلق بالأهمية الاستراتيجية

(١) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في لأندلس، ص١٦٢.
(٢) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في لأندلس، ص١٦٢.
(٣) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في لأندلس، ص١٦٢.
(٤) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في لأندلس، ص١٦٢.
(٥) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٢٨٨-٢٩٠؛ المقري، أزهار الرياض، ٢/٢٥٧-٢٥٨.

فكانت مرتبطة باستخدام الفاطميين لهذين المرفأين كنقطتي انطلاق لأساطيلهم الحربية لمساعدة الثوار داخل الأراضي الأندلسية، ولاسيما أن هاتين المدينتين تشرفان على البحر والقريبة من جبل طارق نقطة العبور باتجاه الأندلس.

لقد اتاحت الظروف السياسية التي مرت فيها المغرب أبان الدولة الفاطمية أواخر عهد أبي القاسم محمد بن عبيد الله القائم بأمر الله من سنة (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م)[١]، للأمويين استعادة نفوذهم بعدما فقدوه بسبب قائد الفاطميين في المغرب ميسور الفتى الذي استطاع أن يهزم ابن أبي العافية والي الأمويين في فاس بالتعاون مع الأدارسة العلويين[٢].

وأدى ذلك كله إلى زيادة طمع الخليفة الناصر أن يسعى بالسيطرة على طنجة مساكن قبيلة صنهاجة التي تعد من أهم مدن المغرب الأقصى[٣]، إذ استطاع الناصر أن يقترح على والي طنجة أبي العيش[٤] أن يتنازل عن طنجة ليضمها إلى سبتة إلا أن الأخير امتنع فبعث إليه الناصر بالأسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه، ولما رأى أبي العيش أنه لا طاقة له بحربه اجابه إلى ما سأل وتنازل له عن طنجة في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) ودعا لعبد الرحمن الناصر على منابر المغرب[٥]، مما فتح الباب إلى الخليفة الناصر أن جعل من الصنهاجيين خاضعين لنفوذه في الأندلس بهدف استعمالهم في جيشه "مقتصراً بهم على أدنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب مصرفاً لهم في اشق خدمة"[٦].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٨/١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٩/١.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٤) هو أحمد بن القاسم كنون (قنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس تولى الحكم بعد وفات أبيه سنة(٣٣٧هـ/٩٤٨م)، فَقِيها ورعا حَافِظًا للسير عَارِفًا بأخبار الْمُلُوك وَأَيَّام النَّاس وأنساب قبائل الْعَرَب والبربر شجاعا جوادا وَكَانَ يعرف فِي بني إِدْرِيس بِأَحْمَد الْفَاضِل وَكَانَ مائلا إِلَى بني مَرْوَان وَلما ولي بعد أَبِيه قطع دَعْوَة العبيديين فِي جَمِيع عمله وَبَايع لعبد الرَّحْمَن النَّاصِر صَاحب الأندلس وخطب لَهُ على جَمِيع مَنَابِر عمله وَبَايع أَبَا الْعَيْش كَافَّة أهل الْمغرب إِلَى سجلماسة وَكَانَ السوَاد الْأَعْظَم من أهل الْمغرب الْأَقْصَى لَهُم محبَّة من جَانب آل إِدْرِيس وإيثار لَهُم لَا يَبْغُونَ بهم بَدَلا مهما وجدوا إِلَى ذَلِك سَبِيلا، إذ خرج أبي العيش مجاهداً إلى ارض الأندلس تاركاً الحكم لأخيه الحسن وتوفي شهيداً في سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م). ينظر: ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٣٨١/٢؛ السلاوي، الاستقصا، ٢٥١/١-٢٥٣.

(٥) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٣٨١/٢؛ السلاوي، الاستقصا، ٢٥٢/١.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.

إلا أن بعد حملة ميسور الفتى حدث أن انتشر مذهب الأباضية في العديد من مدن المغرب وكانت هذه الثورة بقيادة أبي يزيد مخلّد بن كيداد الزناتي الخارجي سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م)[١]، وإزاء ذلك لم يتردد الناصر بتقديم الدعم والإمدادات والمساعدات التي كان يطلبها أبي يزيد مقابل اعترافه بالسيادة الأموية على المناطق التي سيطر عليها[٢]، ولكن هذه الثورة لم تستمر بنجاحها وإنما تم القضاء عليها من قبل الخليفة الفاطمي أبي القاسم اسماعيل المنصور بالله بن القائم (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) بمشاركة فعّالة من قبيلة صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد الذي قدم الدعم للمنصور الفاطمي بالمال والعدة والفرسان الأشداء سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م)[٣].

فضلاً عن ذلك سارت بعض السفن الفاطمية وهاجمت ثغر المرية في سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، وعاثت ما فيه من السفن وأحرقتها واخذوا الغنائم من أمتعة وجوارٍ ومغنيات كانت للخليفة الناصر[٤]، أما الأهمية العسكرية القبلية، ولاسيما طنجة التي كانت تسكنها قبائل صنهاجة ويشكلون الغالبية العظمى من القبائل البربرية التي قطنتها، التي كانت المورد الأساس لجيش الدولة الفاطمية، ولاسيما أن الفاطميين كانوا قد سخروا قبيلة صنهاجة لتشكيل نواة جيشهم في بلاد المغرب، لمهاجمة الأندلس عن طريق الثائرين فيها وخير ما يؤكد ذلك استخلف الفاطميون على المغرب حليفهم القوي زيري بن مناد الصنهاجي بتفويض من المعد بن اسماعيل الفاطمي[٥].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي- القاهرة، ١٩٣٨م، ص٢٨٩؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٤٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٩٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٣/١- ٢١٦؛ ابن خلدون، العبر، ٥١/٤-٥٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٣٩/٧-١٤٩ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١١١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٢/٢-٢١٤.

(٣) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٥٧-٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٩٠/١-٢٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٦/١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت، ٦٢/٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٧٥/١-٧٩؛ ابن أبي دينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة – لبنان، ١٩٩٣م، ص٧٥-٧٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٣/٧؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٠٠/٢-١٠١؛ الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك بن عز الدين (ت: بعد ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: جونهيلد جراف – اريكاجلاسِن، ١٩٩٤م، ٤٧٩/٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ٢٧٧/١.

(٥) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص٧٩.

وبعدما أُنجز للناصر ما كان يصبوا إليه ألا وهو ضم طنجة للخلافة الأموية، لم يفكر الناصر إلا لأمرين الأمر الأول: الثأر من قبيلة صنهاجة التي اذاقت جيشه الأَمرّين ومنعته من التوغل في أراضي المغرب مكلفته الخسائر الفادحة المادية والعسكرية، والأمر الثاني كان الناصر الذي اختبر قوة الصنهاجيين وشجاعتهم وبأسهم في المعارك مما دفعه إلى استخدامهم في تعزيز قوات جيشه ورفده بالمقاتلين الأشداء لكنه لم يوليهم قيادات ذلك الجيش، وانما جعل منهم جنداً فقط، وربما يعود السبب في ذلك لعدم الثقة التامة من طرف الناصر في هؤلاء لكونهم كثيراً ما شقوا عصا الطاعة، ووقفوا إلى جانب الفاطميين بسبب ولاءاتهم المذهبية.

إلا أن الخليفة الناصر تعامل مع بعض اشراف بربر صنهاجة معاملة خاصة، وادناهم منه وجعل منهم وزراء وكتاب وقادة، وهذا ما أكده مؤلف مجهول بذكر ثلاثة شخصيات بربرية صنهاجية خدمتْ الخليفة عبد الرحمن الناصر وهم "ومن صنهاجة ثابت بن ورزيدان الأمير، وعبد الملك بن سكرديد، وميمون بن علي وزراء عبد الرحمن الناصر... وجماعة كثيرة لا تحصى"(١).

يتضح من خلال هذا النص هو اعتماد الخليفة الناصر على شخصيات ذات مكانة مرموقة متمثلة بأشراف قبائل البربر، إذ كانت معاملته لهم تراعِ بالدرجة الأولى مصالح الدولة الأموية ممثلة في شخصه، من أجل ذلك فقد حاز عنده البعض منهم حظوة ومكانة كبيرة، بناءً على مركزهم وكفاءتهم، التي جعلته يتخيرهم ويفضلهم على غيرهم، ويضعهم في سلك الوظائف الإدارية العمومية المهمة، والمناصب العسكرية والسياسية الحساسة للخلافة الأموية، معتلين بذلك عتبة المنصب المهم في الدولة، ألا وهي الوزارة التي تلي في الأهمية منصب الخلافة.

انتقلت الخلافة بعد وفاة عبد الرحمن الناصر إلى ابنه الحكم الثاني الذي كان يلقب بـ "المستنصر بالله" (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)(٢)، وسار الحكم المستنصر على خطى أبيه في السياسة المتبعة في معاملته للبربر، ولاسيما بعد الذي رآه من غلبتهم، بقيادة الحسن بن قنون في بلاد المغرب(٣).

استغل الخليفة المستنصر الأوضاع في المغرب كذلك، ولاسيما النزاع الذي حدث بين الزعماء المغاربة الموالين للفاطميين على نيابتهم في حكم المغرب، إذ قام المعز الفاطمي بتسليم حكم المغرب إلى

---

(١) مفاخر البربر، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٨٦/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٠/٢-٨١.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧١.

زيري بن مناد الصنهاجي، الذي ترك آثاراً سيئة في نفس زعيم آخر قدّم فروض الولاء والطاعة للفاطميين هو وعائلته ألا وهو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي(١)، الذي كان يطمع بحكم المغرب بعد رحيل المعد الفاطمي إلى مصر فحقد جعفر على الفاطميين والصنهاجيين، وكان زيري بن مناد الصنهاجي على رأسهم(٢).

إلا أن زيري بن مناد الصنهاجي لاحق فلول جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي في بوادي البربر وبسط يده على قبائل زناتة النازلين في المسيلة في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، مما دفع الأخير هو وجمع من أهله وعدد من رجاله وعبيده إلى جمع بني برزال الصنهاجيين الذين استقاموا على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن علي، حتى صاروا له شيعاً فأجازوا معه البحر إلى الأندلس فأستخدمهم ونظمهم في طبقات جنده إلى جانب قبائل زناتة وسائر البربر بعدما أعلن جعفر وأخيه يحيى بن حمدون خالعين للدعوة الشيعية المتمثلة بالمعد بن اسماعيل الفاطمي متقلدين للدعوة الأموية الجماعية، وتوافد عليه الزناتيون من كل حدب وصوب، وأراد زيري بن مناد الصنهاجي أن يبادر على الأخير قبل أن تقوى شوكته فأشتد القتال بين الفريقين وزيري يتصدر قومه ويحرضهم على القتال إلى أن عقر به فرسه، فوقع عليه الزناتيون وأحتزوا رأسه، ووقعت الهزيمة بالصنهاجيين في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، وأرسل الزناتيون رأس زيري بن مناد هدية إلى الخليفة الحكم المستنصر مع يحيى بن علي أخي جعفر وطائفة من وجوه رجالها، فأحسن الحكم وفادتهم، وأنفذ الأموال والخلع عليهم، وأَذِن لجعفر في الدخول عليه، وبسط يديه هو ومن معه وانزلهم وأقرهم في قرطبة(٣).

---

(١) جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، جدهما الأكبر عبد الحميد، وفد إلى الأندلس وسكن بكورة البيرة من قرى قلعة يحصب وانتقل حمدون إلى بجاية في المغرب ومال إلى الدعوة الفاطمية فكانت له مكانة رفيعة لدى الفاطميين توارث هذه المكانة ابنه علي الذي بات من اكبر قادة الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي وبنى بتكليف منه مدينة المسيلة وتولى امرها من بعده ابنه جعفر. ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٢-٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٨-٨٠؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦-٩٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٢-٢٦؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص٧٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٨، ٢٢-٢٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١،٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤٣-٢٤٤؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٤-٢٠٥، ٧/٧٣.

ويذكر أن الحكم المستنصر عزم في حماية ثغور بلاد المغرب فأستأنف مخاطبتهم وشدَّ على عزيمتهم وبسط آمالهم وخص بذلك محمد بن الخير بن خزر زعيم قبيلة زناته، لذا كلف المعد بن اسماعيل الفاطمي بلقين زيري بن مناد الصنهاجي بالحرب ضد محمد بن الخير وأمده بالمال والعدة ونزل بلقين مدينة أشير، واجتمعت اليه صنهاجة واشتدت صولته وكثرت وقائعه، إلى أن جمع له ابن الخير جمعاً كبيراً من زناته، فخرج إليه أبي الفتوح بلقين بن زيري مع جمع غفير من صنهاجة في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، الذي كان يحمل حقداً ورغبة في الانتقام لمقتل والده فأستعد الزناتيون لمواجهته فدارت بينهم الحرب وظهرت فيها صنهاجة بقوة عظيمة مما أدى إلى خسارة الزناتيين ومزق جيشهم، فلما نظر محمد بن الخير إلى مضاف أهله وأيقن أنه قد أحيط به، مال إلى ناحية فذبح نفسه بسيفه بدلاً من أن يملكه بلقين(١).

وفي أول سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) قتل وزير الخليفة المستنصر القائد محمد بن قاسم بن طملس ومعه نحو الخمسمائة من الفرسان، ومن الرجالة نحو الألف(٢)، لذلك أصبح على قناعة تامة أن ينقل عدد كبير من فرسان البربر إلى الأندلس، إذ كانوا "عسكر ضخم يقاربون السبعمائة فارس، فيهم وجوه وأعلام حازوا عما قليل بالعسكر الرئاسة، جميعهم من البربر الذين طال مقت السلطان لهم وزهده فيهم، فمنحهم الله قبوله، وحسن عنده زيهم"(٣).

وكان المستنصر يفخر بجنده من البربر، وهو يشاهدهم يلعبون إلى أن قال لمن كان حوله: "انظروا إلى اطباع هؤلاء القوم على خيولهم، فكأنهم الذين عناهم الشاعر المتنبي بقوله:

فكأنما ولدت قياماً تحتهم	وكأنهم ولدوا على صهواتها(٤)

ثم اكمل حديثه قائلاً ما أعجب انقيادها لهم، كأنها تفهم كلامهم! فيعجب سامعوه من سرعة تحول رأيه فيهم"(٥).

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٠/٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٤٣/٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦-٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٤/٦، ٣٧/٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧١.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠.

(٤) أبو الطيب احمد بن حسين الجعفي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٨٣م، ص١٥١. وهذه القصيدة مكونة من ٣٩ بيتاً، وفي الديوان كتبت : "فكأنما نتجت".

(٥) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠-١٥١.

وذكر أن عدداً من الشخصيات المرموقة وفدت على الخليفة الحكم المستنصر ومن هذه الشخصيات وجوه من بربر صنهاجة وكتامة، إذ قال: "وأقترن به في قصده لحضرته، ابراهيم بن مسهول الصنهاجي، ومحمد بن خلف الكتامي، وجهان من وجوه قومهما، في نفر من أصحابهما، فتقبلت وفادتهم ورحب بهم، وأنزلوا بالمدينة في الدار المنسوبة إلى بني غانم وأكرم مثواهم"(١)، إذ "وصل إلى قرطبة عدد جمّ من قبائل البربر الجانحين إلى الطاعة كان فيهم من الأعلام نحو الستين فارساً فأكرم وفادتهم"(٢).

يعطي هذان النصان صورة واضحة عن الخليفة المستنصر وتغيير سياسته تجاه البربر بصفة عامة وصنهاجة بصفة خاصة، وبداية عهد جديد في الأندلس مليء بالثقة، ولاسيما للمكانة التي نالها هؤلاء البربر في المجتمع الأندلسي، بعدما نالت عين الرضا من قبل الخليفة، الذي بات لا يرى بديلاً عنهم، وأصبحوا دعامة حكمه، ومن جملة هؤلاء الذين اقترن اسمهم بمجموعة صنهاجية وفدت إلى الأندلس ونالت مكانة واستحسان لدى الخليفة المستنصر.

وعندما تولى هشام الثاني المؤيد بالله بن الحكم الثاني المستنصر بالله الخلافة (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، لم يكن قد تجاوز من العمر إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، ولم يكن بمقدوره رعاية شؤون الدولة التي تبدلت أحوالها، واستطاع في حينها أبي عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني أن يستغل الفراغ الذي كانت تمر به الخلافة الأموية بالأندلس لصالحه(٣)، إلى أن طلبت "صبح" أم هشام المؤيد زوجة الخليفة الحكم المستنصر من يكتب عنها، فعرفها به بعض من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر فاستحسنت كتابته، وعينته أميناً في خدمتها، فزكته لدى الخليفة، وإذا به يصبح من خواص الدولة ووجوها(٤)، هذا الأمر جعله يكتسب خبرة سياسية ومقدرة ادارية مكنته من تولي شؤون الدولة الأموية في الأندلس، ولاسيما بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وبعدها استطاع ابن أبي عامر في دهائه وحنكته السياسية أن يتخلص

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٨٧.

(٣) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٠؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١٨١/١٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٦٨/١-٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٩/٢، ٢٥٣-٢٥٤، ٢٦٢-٢٦٤؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١١٧/٢-١١٨، ١٣٨-١٣٩.

(٤) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٠-٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥١/٢، ٢٥٨، ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٥٩-٦٠؛ المقري، نفح الطيب، ٣٩٩/١.

من كلِّ خصومه من رجالات الدولة الذين يقفون حائلاً لتحقيق مأربه للوصول إلى الحكم(١)، وعلى وجه الخصوص المغيرة أخو الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر وذلك في سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، إذ أدخل عليه غلمانه فقتلوه خنقاً في مجلسه، معلنا بذلك عن مبايعة هشام المؤيد بالله للخلافة في السنة ذاتها(٢).

وبعدما حصل ابن أبي عامر على مبتغاه، أراد أن يتخلص من آخر خصمين لدودين له، ألا وهو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، الذي يمثل أعلى هرم السلطة بعد مكيدة وضعها له ابن أبي عامر راح ضحيتها وصرفه من الحجابة وألقي القبض عليه في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م)(٣)، والثاني: هو غالب بن عبد الرحمن، الذي تخلص منه بقائد جيش الحضرة جعفر بن علي بن حمدون، ثم بعدها دبر مكيدة اغتال بها قاتله لكي لا ينكشف أمره(٤).

واهتم ابن أبي عامر بالجيش، وقام بعدة اصلاحات في المؤسسة العسكرية، إذ اتخذ من البربر، ولاسيما رجالات صنهاجة جنداً وحرساً له بعدما تخلص من الاتباع والموالين الذين كانوا حاشية للخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر(٥)، وهذا يدل على عدم ثقة ابن أبي عامر بأتباع الأمويين والحذر منهم، وخير ما يؤكد ذلك نصيحته لابنه عبد الملك بقوله: "وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم"(٦).

كما يذكر ابن خلدون بقوله: "فإستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة، فرتّب منهم جنداً، واصطنع أولياء، وعرّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، فتغلّب على هشام وحجره واستولى على الدولة، وملأ الدنيا ...وقدّم رجال البربر وزناته، وأخّر رجال العرب وأسقطهم من مراتبهم، فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر"(٧).

---

(١) بروفنسال، إ. ليفي، تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، ط٣، Espasa Calpe, S. A, Madeid، ١٩٦٧م، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢٠٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦١/٢-٢٦٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٥/٢-٢٧٠.

(٤) ابن خاقان، مطمح الانفس، ص١٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

(٥) ابن بلقين، التبيان، ص٣١.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ٧٧/٧.

(٧) العبر، ١٨٩/٤؛ المقري، نفح الطيب، ٣٩٧/١.

والواضح من خلال هذا النص أن ابن أبي عامر أراد الاستبداد بالسلطة وعمل على اقصاء العرب من المناصب الإدارية في دولة الخليفة هشام المؤيد الذي جعله حبيس أروقة عرشه دون أن يحرك ساكناً ليس له من رسوم الدولة سوى الاسم السلطاني على السكة والخطبة[١]، من خلال هذه الخطة المحكمة باستجلاب البربر من المغرب بصفة عامة وصنهاجة بصفة خاصة كقوة كبيرة يمكن الاستفادة من خدماتها الجليلة، مقابل منحها الامتيازات التي ترضيها بشرط الوقوف في وجه المعارضة العربية، التي حاولت منع ابن أبي عامر ممّا كان يرمي ويخطط إليه من الوصول إلى سدة الحكم، ولكي يحقق حلمه ومآربه التي أراد تطبيقها على أرض الواقع ويجعل منها حقيقة ملموسة، قرر الاستعانة بفرسان البربر لشجاعتهم وقوتهم وكثرتهم، وقرب بلادهم من الأندلس، فكلما احتاج إليهم وطلب خدمتهم كانوا رهن اشارته، حتى صاروا اليد التي تطول بها عدوه في الداخل والخارج، وهذا ما أكده النص الذي ساقه ابن عذاري بقوله: "حتى استبد وانفرد، وأنس إليه من الطاعة ما نفر وشرد، وانتظمت له الأندلس بالعدوة، واجتمعت له اجتماع قريش في دار الندوة، ومع هذا فلم يخلع اسم الحجابة، ولم يدع السمع لخليفته والإجابة، ظاهر يخالفه الباطن، واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن، وأذل قبائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر، فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأندلس قفراً خراباً مهجورة، وملأها وحشاً وذئاباً، وأعراها من الأمان، برهة من الزمان"[٢].

فأن المتأمل في النص يجد في تضاعيفه اشارات واضحة في منافسة العرب بجلب البربر بصورة عامة وصنهاجة بصورة خاصة، ولاسيما الذين كانوا أشد منافسي العرب فكان ولاؤهم له بعدما قدم لهم الخدمات الجليلة فنجد ابن أبي عامر قاومهم بأضدادهم البربر وتكاثر عددهم حتى صاروا السواد الأعظم في دولته، وانهوا بذلك التواجد العربي من الظهور على الساحة السياسية برهة من الزمن، واصبحت مقاليد السلطة السياسية والعسكرية والإدارية بأيديهم.

ومِنْ ثَمَّ تحقق لأبن أبي عامر ما كان يخطط له بعدما خضع له البربر عامة وصنهاجة بصفة خاصة، مما ساعده على تساويه بالرتب مع الخليفة وتلقب بالمنصور في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، وعلى أثر ذلك بدأت مخاطباته التي يرسلها إلى الأمراء والحكام متساوية مع الخليفة، كما يؤكد ذلك ابن عذاري

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٧٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٧٤؛ المقري نفح الطيب، ١/٤٠٥-٤٠٦.

بقوله: "من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر إلى فلان، وأخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقَّبلون يده، ويمولونه عند كلامه ومخاطبته، فانقاد لذلك كبيرهم وصغيره، وإذا بدا لأبصارهم طفل من ولده، قاموا إليه، فاستبقوا ليده تقبيلاً"(١).

وزاد ابن عذاري في موطن آخر زيادة حشود صنهاجة أيام ابن أبي عامر بقوله: "وما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون، يجئ الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجف، فيبدل له بلباس الخز الطرازي وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصراً لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس، ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته، وهم أظهر الجند نعمة، وأعلاهم منزلة"(٢).

وعلى أية حال كان عرفاء صنهاجة يمثلون أكثر هؤلاء الذين أعتمد عليهم المنصور ابن أبي عامر، ولاسيما عندما بدأ الأخير يتقرب من زعيم صنهاجة أبي الفتوح بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي بأرسال رأس جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي قاتل أبيه وجعله بين يديه، وبهذه الخطوة أراد أن يرضيه ويجعله من خواصه المقربين في سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، وينهي بذلك حصار بلقين لمدينة سبتة المغربية وفتح باب العلاقات السياسية والعسكرية بينه وبين زعيم بربر صنهاجة(٣)، وهذا ما اكده ابن الاثير في أحداث سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، عن خبر انتقال بعض أفراد صنهاجة من افريقية إلى الأندلس بقوله: "انتقل أولاد زيري بن مناد، وهم زاوي وجلال وماكس إخوة بلقين، إلى الأندلس وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال، فغلبهم حماد، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة، فأنزلهم محمد بن أبي عامر وسُر بهم، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم، وسألهم عن سبب انتقالهم، فأخبروه، وقالوا له: إنما اخترناك على غيرك، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله، فأستحسن ذلك منهم، ووعدهم ووصلهم فأقاموا عنده أياماً"(٤).

---

(١) البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣١/١، ٢٨٠/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٠٩/٣.

(٤) الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧. ينظر: عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٤٩/٣-٣٦٦.

وما يؤيد هذا الطرح الذي ذهب إليه المنصور ابن أبي عامر ما أورده الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري في غرناطة في مذكراته بقوله: "أن المنصور أستجلب من رؤساء البربر وحماتها وانجادها من بلغه فروسيته وشدته، وتسامع الناس بالجهاد، فبادر إليه شرق العدوة من كان لهم من الاثار والمكارم والبأس على النصارى ما لا خفاء به، وبهم كان يصول أبن أبي عامر على العدو، وهم كانوا العدة في الجيش والموثوق بهم عند اللقاء ومعترك الوغاء، وكان من أدهاهم رأياً وأبعدهم همة زاوي بن زيري عمنا، وبعده حبوس بن ماكسن ابن أخيه (رضي الله عنهما)، فإليهما كان الرأي والمشورة في الأمر، والحكم على من دونهم من الأجناد"(١).

ولعل من الواضح من هذا النص أن المنصور أصبحتْ لديه قناعة تامة؛ لأنّه لا يمكن تحقيق الأهداف التي كان يصبوا إليها على أرض الأندلس، إلا من خلال الدعوة إلى الجهاد وكان شديد الحرص أن تصل انباء هذه الدعوة إلى بربر العدوة المغربية، لإدراكه بأن كسب هؤلاء الرجال إلى صفّه سيرجح كفة المعارك التي سيخوضها في الحروب مع اعدائه لكون هؤلاء البربر، ولاسيما صنهاجة لا يستسلمون ولا يسلمون لهم ما تحت أيديهم ما لم يجدوا فيهم من الغلظة والشدة مما يجعلهم منضوين على أنفسهم، فلا تحدثهم أنفسهم بالاعتداء على أراضي المسلمين.

ولما وصل نداء الجهاد في سبيل الله إلى رؤساء البربر الذين عرفوا بفروسيتهم وشدتهم، بادرت إليه صنهاجة من ساحل بلاد المغرب تعرض خدماتها عليه، والسبب في ذلك ليس بدافع الجهاد على ما يبدو، بدليل ما أورده ابن خلدون في معرض حديثه عن جواز صنهاجة بقيادة زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي إلى الأندلس بقوله: "أن حماد بن بلقين الصنهاجي لقي عمومته بعد أن أجمعوا رأيهم في الخروج على باديس في حكمه لأفريقية، فهزمهم وقتل ماكسن وابنه، ولحق زاوي في حينها بجبل شنوق من ساحل مليانة، وأجاز البحر إلى الأندلس في بنيه وبني أخيه وحاشيته، ونزل على المنصور ابن أبي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الأموية، فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم، واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته وأوليائه على ما يرومه من قهر الدولة والتغلّب على الخلافة، ونظّمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين أذل بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الأموية وقبائل العرب، واستغلظ

(١) التبيان، ص٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٦/٤، ٤٦/٧.

أمر صنهاجة بالأندلس واستفحلت إمارتهم، وحملوا دولة المنصور ابن أبي عامر وولديه المظفّر والناصر من بعده على كاهلهم"[١].

وبعدئذٍ صار اعتماد المنصور عليهم في صولاته وجولاته على نصارى الشمال، مقدماً إيّاهم على من سواهم من البربر بعد الذي رآه من شجاعتهم، وبما استطاعوا أن يثبتوه من شدة بأسهم على عدوهم، التي لم تعد تخفى على الخاصة والعامة من أهل الأندلس، وقد عاد الرأي والمشورة في صنهاجة لزاوي بن زيري، الذي كان أدهاهم عقلاً واخطرهم تدبيراً، ثم صارت قيادتهم من بعده لأبن أخيه حبوس بن ماكسن.

وقد ذكر ابن الأثير دور قبيلة صنهاجة في مهاجمة منطقة جليقية الإسبانية في سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) بقوله: "ثم دخلوا على ابن أبي عامر وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو، فقال: انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم فقالوا: ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلا الذين معنا من بني عمنا، وصنهاجة ومواليا فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال، وبعث معهم دليلاً، وكان الطريق ضيقاً، فأتوا أرض جليقية، فدخلوها ليلاً، وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة، وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم ورجعوا، فلما تسامع العدو، ركبوا في أثرهم، فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة، فلما جازوهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم، وضربوا في ساقتهم وكبروا، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير، فانهزموا، وتبعهم صنهاجة، فقتلوا خلقاً كثيراً، وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا إلى قرطبة، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر، ورأى من شجاعتهم ما يره من جند الأندلس، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته"[٢].

وعلق أحد الباحثين حول غزوة جليقية التي شاركت فيها جموع صنهاجة، هي عبارة عن غارة من تلك التي تعرفها جماعات البدو، مما يسمى بحرب الإمكانات الخفيفة بمعنى حرب العصابات التي تعتمد على عنصر المفاجئة، وقطع الطريق بالأشجار ونصب الكمائن وبيان المهارات الفردية، التي يكون هدفها النهائي العودة بالمغانم والسبي بعد نشر الخوف والهلع[٣].

---

(١) العبر، ٢٠٦/٤، و ٢٣٨/٦.

(٢) الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧-٤٠٠.

(٣) عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٦٠/٣.

ثم ما لبث ابن أبي عامر حتى بادر في غزو مملكة ليون(Leon)[١] في الشمال الإسباني في سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، ولاسيما عندما رأى أهل الأندلس ما فعلته صنهاجة، فحسدوهم ورغبوا في الجهاد وقالوا للمنصور ابن أبي عامر: "لقد نشطنا هؤلاء للغزو، فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار إلى الجهاد... فخرج إلى بلد أليون ونازلها، وهي من أعظم مدائنهم، واستمد أهلها الفرنج، فأمدوهم بجيوش كثيرة، واقتتلوا ليلاً ونهاراً، فكثر القتل فيهم، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً، ثم خرج قومص كبيراً من الفرنج لم يكن له مثله، فجال بين الصفوف وطلب البراز، فبرز إليه جلال بن زيري الصنهاجي فحمل كل واحد منهما على صاحبه، فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه، فسقط الفرنجي إلى الأرض، وحمل المسلمون على النصارى، فانهزموا إلى بلادهم، وقتل منهم ما لا يحصى، وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة عظيمة لم يُرَ مثلها، وأجتمع من السبي نحو ثلاثين الفاً من مقاتليها... وخرب مدينة قامونة ورجع سالماً هو وجيشه"[٢].

وحينما رأى المنصور ابن أبي عامر أن مملكة ليون غدت ولاية تدفع له الجزية، دفعه هذا الأمر إلى توجيه عدة حملات على برشلونة(Barcelona)[٣]، وكان الاخير يختلف عما سبقوه في سياسة السلم اتجاه الممالك الاسبانية، ولاسيما حكام برشلونة والهدف اخضاعها وضمها إلى حدود الدولة الإسلامية وكان أهم هذه الحملات التي اشترك فيها جميع صنوف الجيش، ولاسيما بربر صنهاجة الوافدين على المنصور ابن أبي عامر المشار إليهم سابقاً، وعلى وجه الخصوص في سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)[٤].

---

(١) هي المصر الأعظم وأجل مدن الجلالقة وقاعدة مدن قشتالة، والتي تقع في شمالي غربي إسبانيا، وهي عامرة وبها رجال محاربون ولهم معاملات وتجارات بالمكاسب والنتاج ولأهلها همة ونفاسة. ينظر: المهلبي، المسالك والممالك، ص٥٧؛ البكري، المسالك والممالك، ٦/١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧-٤٠١.

(٣) مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وبرشلونة على ساحل البحر، قريبة من طرطوشة، وهي مدينة لا بالصغيرة ولا بالكبيرة، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة، ولها ربض وعليها سور منيع، كثيرة الحنطة والحبوب والعسل. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٩١٠/٢-٩١١؛ لإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٨١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨٦-٨٧؛ الدرويش، العلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية (٩٤-٦٦٤هـ/٧١٢-١٢٦٩م)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٧م، ص١١-٢١.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٧٩-٨٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٧٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٢٩.

هاجم المنصور برشلونة بنفسه وولده ورجاله من صنهاجة وزناته[١]، واتخذت هذه الحملة الطريق الطريق المار من كورة البيرة إلى بسطة (Baza)[٢] ومِنْ ثَمَّ إلى لورقة (Lorca)[٣] ومنها إلى مرسية، مرسية، فأقام عند

الأخيرة ثلاثة وعشرين يوماً، ومِنْ ثَمَّ توجه إلى برشلونة[٤].

ولا نستبعد أن اهالي هذه المدن التي تسكنها الغالبية العظمى من قبائل البربر شاركوا في هذه الحملة التي مرت بمناطقهم، وما يدل على ذلك نزول القوات العسكرية في مدينة مرسية التي تسكنها قاطنة من قبائل صنهاجة[٥] قبل التوجه إلى برشلونة، ويبدو أن المدة الزمنية التي استقر فيها كافية لتجميع القوات وانضمامها إلى حملة المنصور ابن أبي عامر والمشاركة فيها.

وكان للشعراء نصيب في هذه الحملات إلى جانب المقاتلين، ليقولوا الشعر في غزواته وهذا ما أكده ابن الخطيب بقوله: "إذ بلغ عددهم ٤٠ شاعراً ومن أبرزهم... الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن احمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلي الصنهاجي متنبي الأندلس،... وصاعد بن الحسن البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص"[٦].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٧٩-٨٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٧٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٢٩.

(٢) مدينة بالأندلس من كورة جيان في آخر الكورة مجاورة البيرة من ناحية الشرق، القريبة من وادي آش، وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة آهلة حصينة ذات أسوار. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٧٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٣.

(٣) مدينة في شرق الأندلس من بلاد تدمير شمال مدينة المرية، وهي حصينة كثيرة الخيرات والزروع. ينظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص١-٣؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٩٩/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٢-٥١٣. ينظر أيضاً: الدرويش، والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (تطيلة – سمورة – طركونة – قلعة رباح- لشبونة- لورقة- مدينة سالم)، ص٢٣٠-٢٣٧.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣١٢/٢-٣١٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٥٩/٢-٦٠.

(٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص٩٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٨/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، الأندلس، ص٥٣.

(٦) أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي ، ورد من المشرق إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم المؤيد المؤيد وولاية المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، وأصله من ديار بكر بالموصل، ودخل بغداد، وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشر، فأكرمه المنصور، وزاد في الإحسان إليه

ومن الواضح أن الغرض من هذه المشاركة هو زيادة الحماسة لدى المقاتلين من خلال إلقاء القصائد الحماسية التي تزرع في نفوسهم الثقة والهمة العالية في مواجهة اعدائهم، فضلاً عن أن مرافقة الشعراء يكسوها بعداً إعلامياً، وكل ذلك دليلاً على اهتمام المنصور ابن أبي عامر بالإعلام الحربي لما له من أهمية كبيرة في كسب الرأي العام.

ومن خلال هذه الحملة على برشلونة برزت شخصية الشاعر ابن دراج الصنهاجي، ولعل إلتحاقه ببلاط المنصور ابن أبي عامر كان قبل هذه الحملة بقليل، وهذا ما أكده ابن الخطيب في معرض حديثه عن الشعراء المرتزقين في ديوان العطاء، وهكذا يصبح ابن دراج شاعراً رسمياً أيام دخول المنصور برشلونة سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)[١]، إذ وفدت على الأندلس سفارة ملك البشكنس شانجه غرسيه الثاني (Sancho Garces II) (٣٥٩-٣٨٥ هـ/٩٦٩-٩٩٥م)، على قرطبة بين يدي المنصور مذعناً ومعلناً له الطاعة والخضوع على حد قول ابن الخطيب: "ولم تزل الأيام حتى ورد الملك شانجة على بابه زائراً ومستصرخاً... إذ كان وصوله إلى قرطبة في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)"[٢]، فأستقبله المنصور استقبالاً رائعاً فخماً وبهذه المناسبة انشد ابن دراج الصنهاجي قصيدته الميمية من ٥٠ بيتاً يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر التي مطلعها:

الا هكذا فليسم للمجد من سما	ويحم ذمار الملك والدين من حمى
والله يا منصور آراؤك التي	بنيت بها نحو الكواكب سُلَّما
وهذا عظيم الشرك قد جاء خاضعاً	وألقى بكفيه إليك مُحَكِّما
فهنيت يا منصور سعدا مجددا	وإقبال صنع بالبقاء متمما

والإفضال عليه، وكان مع ذلك محسناً للسؤال، حاذقاً في استخراج الأموال. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٨٨/٢-٤٨٩.

(١) الاحاطة، ٦٠/٢.

(٢) أعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٦٦؛ قدم ملك بلاد البشكنس شانجة غرسيه الثاني(Sancho Garces II) ابنته هدية إلى المنصور ابن أبي عامر في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، فعقد عليها وتزوجها، وقد اعتنقت الإسلام وتسمت بعبده النافارية، فكانت من أحظى نسائه ورزق منها بولد اسمه عبد الرحمن، فكانت أمه في صغره تسميه شانجه، إذ كان أشبه الناس بجده من أمه. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٨/٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٢٥/١٧. للتفاصيل ينظر: العلياوي، حسين جبار مجيتل، البشكنس ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس حتى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، ط١، دار امل الجديدة- سوريا- دمشق، ٢٠١٧م، ص٨١-٨٢؛ الدرويش، اعلام نساء الاندلس، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠١٧م، ص٢١٢.

ومليت من أسباط مجدك حاجبا	يباشر منه المجد والفخر مقدما
رميت به بحر الضلالة فانتهى	وجشمته عبء العلا فتجشما(١)

وفي السياق نفسه بعدما تحقق للمنصور ابن أبي عامر هذه الانتصارات على الممالك الإسبانية، عمل على ترتيب الرتب بصفوف صنهاجة التي كانت تعد اليد الضاربة لتحقيق انتصاراته على اعدائه، وعلى إثر ذلك استبدل المنصور جند الأندلس ببربر صنهاجة ومن لفّ لفهم من قبائل البربر وخصهم لنفسه، واسترقهم بإحسانه، وبهذا أظهر بهم هيبة الخلافة، وقمع الشرك، وحرّض المسلمين عامة على الغزو، فعجز عن ذلك رعية الأندلس، وشكو إليه ضعفهم عن الملاقاة وشغلهم بالغزوات عن عمارة أرضهم، ولم يكن القوم أهل حرب، فقاطعهم على أن يشتغلوا بعمارة أرضهم، ويعطوا من أموالهم كل عام ما يقيم به من الأجناد من يكفيهم ذلك، على اتفاق ورضى منهم، فضرب عليهم الأقطاع، وحصل في الدواوين جميع أموال الناس، وكسرها عليهم وفرض بينهم مالاً يرتزق منه الجيش(٢).

وكان القرار الذي اتخذه المنصور ابن أبي عامر عين العقل والصواب بالاعتماد على البربر وفي مقدمتهم صنهاجة، لما امتازوا به من قوة وبأس في المعارك التي خاضوها معه، ولاسيما بعدما شعر أن أهل الأندلس من العرب خاصة، قد انشغلوا بحراثة الأرض وعمارتها وافتتنوا بملذات الحياة وطيبها، وثقل عليهم حمل السلاح بعد الذي اصابوه، فيما أصبح بين أيديهم من النعم والخيرات، فمالت أنفسهم إلى الراحة والسعة في المكاسب التي تورد عليهم، في وقت كانت جيوش البربر، ولاسيما صنهاجة منها تقاتل لتأمين حدودها من هجمات النصارى المتكررة على بلاد الأندلس، وخاصة هؤلاء النصارى الذين أرادوا استرداد حقهم في أرضهم من المسلمين، لذا اشترط المنصور على أهل الأراضي الزراعية تقديم المساعدات المادية من أجل تجييش الجيوش في كل عام، من أجل التصدي لحملات النصارى في عقر دارهم، متبعا سياسة الهجوم خير وسيلة للدفاع التي تمنع خصومه من الزحف على أراضي المسلمين جنوباً.

وكانت للمنصور نظرة استشرافية للمستقبل، إذ جعل من هؤلاء البربر صمام الأمان للخلافة الأندلسية، وأنه لا يمكن الحفاظ على نظام الدولة وعلو هيبتها ما لم يمتلك جيشاً قوياً كثير العدد والعدة،

(١) ابن دراج، أبو عمر احمد بن محمد بن العاصي القسطلي (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، ديوان، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، منشورات المكتب الإسلامي- دمشق، ١٩٦١م، ص٣٩٥-٣٩٩.

(٢) ابن بلقين، التبيان، ص٣١-٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٩٣.

يتقن فنون الحرب، ولا يخشى الخوض في المحن، ليستطيع في النهاية تحقيق أهدافه التي يسعى إليها لتمكين مشروعه في الحصول على رداء الخلافة والحكم، ولهذه الغاية استدعى البربر وأستكثر منهم في جيشه "فأستظهر بفرسان الهيجاء، وأبطال الكريهة وأعلام السمرة من فرسان الغرب وزناتة الواردين على بابه في سبيل الحسائف، والدماء الواقعة بينهم وبين ناسهم فارتاش أي "أصاب منهم خيراً" بأجنحة وافرة لم يستظهر قبله ملك بمثلها، ومغراوة وإزداجة وزناتة وصنهاجة، وانتقى الرجال منهم، فكان لا يلحق في ديوانه إلا من تقرر غناؤه، وتحقق نفعه وكرم موقفه"(١).

وعلى إثر ذلك انطلق ابن أبي عامر في تجسيد مشروعه الجهادي ضد النصارى فقاد بقبيلة صنهاجة أغلب غزواته التي بلغت "سبعة وخمسين غزوة، لم يهزم قط في غزوة منها، ولم يزل فيها ظافراً مؤيداً منصوراً عند اسمه"(٢).

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن المنصور ابن أبي عامر كان رجلاً طموحاً إلى المجد والخلافة، فسعى لتحقيق ذلك برجاحة عقله وحسن التدبير فضلاً عن دهائه ومكره في السياسة التي اكتسبها من خلال تواجده في البلاط الاموي، أُبان خلافة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر مستفيداً منهما تجاه البربر إلى أبعد حدود(٣)، إذ تجاوز عدد المجندين من فرسان البربر في ديوانه ثلاثة ثلاثة آلاف فارس(٤)، وقيل "أنهم بلغوا ألفي غلام"(٥)، في حين لم يزد عددهم عن سبعمائة في عهد الخليفة المستنصر(٦).

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٦٦.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٧٤-٨٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٥٩-٨٣؛ ٨٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨، و١٥١؛ المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٧-٤٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٨/٢، ٢٨٦م؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٦٤/٢.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٩٦/٢.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ٨٠/٧-٨١.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠.

وفي ضوء ذلك وفدت على المنصور في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)، سفارة من ملك قشتالة (Castilla)[١] غرسية فرناند(Garcia Fernandez) (٣٥٩-٣٨٩هـ/٩٦٩-٩٩٨م)، ولم تحدثنا المصادر المصادر عن تلك السفارة، إلا أن الشاعر ابن دراج الصنهاجي أنشد قصيدة يصف فيها مثول أفراد السفارة بين يدي المنصور والعرض العسكري الهائل الذي اراد منه أن يرهب وينذر أكثر مما فيه من الحفاوة والتكريم[٢] ومنها:

إليكَ منكَ فرارُ الخائِفِ الوَجِلِ	وفي يديكَ أمانُ الفارِسِ البَطَلِ
وقد تَيَمَّمَ شَنْجُ منكَ عائِذَةً	تُجِيرُهُ من سيوفِ الكَربِ والوَهَلِ
وقاد نحوَكَ والتَّوْفِيقُ يَقْدُمُهُ	جيشاً من الذُّلِّ مِلْءَ السهلِ والجبلِ[٣]

وكما وفدت إلى المنصور سفارة أُخرى في سنة (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، للأمير غند شلب (Gonzalov) ابن شانجة غرسية الثاني ملك نباره والقى ابن دراج قصيدة أيضاً منها:

حتى تلافَتْ منكَ باستسلامِهِ	ما كانَ أَعاجَزَهَا بِحَرِّ جِلادِها
ورَمى ابْنُ شَنْجُ إليكَ نَفْسَ مُحَكِّمٍ	نَهَجَ الخضوعُ لها سَبِيلَ رَشَادِها
فاسْتَنقَذَتْهُ منكَ عودَةُ مُنْعِمٍ	قامت لمهجَتِهِ مقامَ مَعَادِها
غازٍ لِعِطْفِ العامِرِيَّ مجاهِدٌ	في طاعَةِ المنصورِ حَقَّ جِهادِها
مستنجِدٌ منه مَذَلَّةَ خاضِعٍ	غَنِمَ الحياةَ أَبُوهُ باستنجادِها[٤]

كما شارك الشاعر ابن دراج الصنهاجي في الغزوة التي قادها المنصور ابن أبي عامر بمن معه من جموع صنهاجة وزناتة إلى قشتالة التي كان يحكمها غرسية فرناند(Garcia Fernandez) في سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وفيها فتح قلعتي شنت أشتبين (San Esteban de Gormaz)[٥] وقلونية

---

(١) اقليم عظيم بالأندلس قصبته طليطلة، وقاعدته قشتالة، وقالوا: ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى يسمى اشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة، ومن مدائنها مدينة سمورة ونيجصة وغليسية وببراق. ينظر:= =الزهري، كتاب الجغرافيا، ص١٠٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢؛ الحميري، الروض المطار في خبر الأقطار، ص٤٨٣.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٧٣-٧٤.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٤١٢-٤١٤.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص٤٣٣.

(٥) حصن بالأندلس ممتنع على جبل لا يدركه المقاتل طمع، بنى عليه بعض الملوك حصوناً كثيرة، وحوصر مدة من الزمن في سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م)، ثم بعدها تم فتحه في السنة نفسها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٦٠.

(Clunia)[١] وخرب أبلة عنوة بعد حصار دام خمسة أيام[٢] وفيها القى ابن دراج الصنهاجي قصيدته قصيدته منها:

أَنْضَيْتُ خَيْلِي في الهوى وَرِكابِي	وَعَمَرْتُ كَأْسَ صِباً بِكَأْسِ نِصَابَ
فقطعتُ يامنصورُ نحوَكَ نَازِعاً	خُدَعَ المنى وعلائقَ الأسباب
وبِرَأْيِ عَيْنِي منه يومَ قُلُنْيَةٍ	منه شهابٌ خاطفٌ لشهاب[٣]

وفي شوال سنة (٣٨٥هـ/نوفمبر ٩٩٥م) شارك ابن دراج الصنهاجي مع المنصور ابن أبي عامر على رأس حملة كبيرة من البربر ولا نستبعد أن تكون صنهاجة من بين صفوفها لعقاب مملكة ليون (Leon)، الذي كان يحكمها آنذاك برمند بن أرذون (Bermudo)، فعاثت فيها جيوش المسلمين وتمكنت من تحقيق النصر[٤]، وفيها أنشد الشاعر ابن دراج قصيدته منها:

إن تفخَرِ الدنيا فأَنتَ فَخَارُهَا	أَو تَخْتَرِ العليا فأَنتَ خِيَارُهَا
أَوطَأْتَ أَرضَ المشركينَ كتائِباً	فيها وَشيكُ فنائها ودَمَارُها
وتركتَ أَرضَ لِيُونَ وَهْيَ كأَنَّها	لم تَغْنَ بالأَمسَ القريبَ دِيارُها
حتّى عَبَرْنَ خليجَ دُويْرُ كأَنَّها	سُفُنٌ ترامى بالحتوفِ بِحارُها
وكتائِبٍ لَهِجَتْ بِطَيِّبِ ذِكْرِكُمْ	فلذيذُهُ عندَ الهياجِ شِعارُها[٥]

كما تمكن المنصور ابن أبي عامر مع جموع صنهاجة في السنة نفسها من أسر ملك البشكنس غرسية شانجة الثاني ثم أطلق سراحه، ولعل ذلك مقابل دفع جزية وخضوعه لشروط المسلمين، إلا أن ذلك لم يضع حداً للمواجهات بين الطرفين، إذ اعتاد البشكنس على نقض العهود المبرمة بعد كل جزية[٦] جزية[٦] وقد اشترك في هذه الغزوة الشاعر ابن دراج الصنهاجي وأنشده قصيدة رائعة منها:

---

(١) قلونية مدينة قديمة بالروم بينها وبين قسنطينية ستون بريداً، الواقعة شمال نهر دويرة على مقربة من شنت إشتيبن، كبيرة القطر عامرة الجوانب متصلة الزراعات قائمة الغلات. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٠٨؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٨٧٣/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٩٣/٤؛ مؤنس، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٩٦/١، و ٦١٣.

(٢) ابن بلقين، التبيان، ص٣١؛ مؤلف، تاريخ الأندلس، ص٢٣١.

(٣) محمود علي مكي، مقدمة ديوان، ص١٥-١٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٦/٢؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ٢٥٦/٥؛ المقري، نفح الطيب، ٤١٦/١.

(٥) ابن دراج، ديوان، ص٤٠٨-٤١٢.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ٣٥/٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٢٢-٣٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ارشاد الأريب إلى إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٣م، ١٤٣٩/٤-١٤٤٠؛ القفطي، أبو

تُناضِلُ عنكَ أَقدارُ السماءِ	وتبطِشُ عن يَدَيْكَ يدُ القضاءِ
فَيَهْنِ الدينَ والدنيا بشيرٌ	بِغَرْسِيَةِ الأَعادِي والعَدَاءِ
أَسِرٌ ما يُعَادَلُ في فكاكٍ	وعانٍ ما يُساوَى في فِداءِ
فساوَرَ نحوَها غَوْلَ المنايا	وجُرِّعَ دُونَهَا مُرَّ اللقاءِ
وأَجْلَتْ عنه مُنْجَدِلاً صريعاً	مَصُونَ الشِّلْوِ مَحْمِيَّ الذِّماءِ
نَعَاءِ إلى ملوكِ الرُّومِ طُرَّاً	ذَوي الِّتيجانِ غَرْسِيةً نَعَاءِ!
وهَلْ للرومِ والإِفْرَنْجِ منهُ	وقد أَودى سِوى سُوءِ العزاءِ
وأَتْبَعَ فَلَّ غَرْسِيَةٍ عجالا	يسوقُهُمُ الرَّدى سَوْقَ الحُدَاءِ(١)

ويذكر ابن دراج القسطلي الصنهاجي مشاركته في الغزوة التي قادها المنصور ابن أبي عامر إلى شنت ياقب (Santiago de Compostela)(٢) في منطقة جليقية شمال غرب أسبانيا في سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، وتعدّ من أقدس البقاع الدينية، إذ كانت تسمى كعبة اسبانيا النصرانية، وذلك لوجود قبر القديس يعقوب أحد حواري السيد المسيح (عليه السلام)، وكانت تقابل في قداستها الكعبة لدى المسلمين(٣) التي رفع فيها ابن دراج لواء شعره في الإشادة بعظمة النصر الذي وقع على عاتق ولديه المظفرين وهما يقودان قبائل البربر ومن ضمنهم صنهاجة وجاء منها:

لكَ البشْرى ودُمْتَ قريرَ عَيْنِ	بشأْوَيْ كوكَبَيْكَ الثَّاقِبَيْنِ
وقد جاءَتْ جُنودُ النصرِ زحفاً	تلوذُ بظلِّ أَكرمِ رايتينِ

حسن جمال الدين علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، انباه الرواة على انباه النحاة تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الفكر العربي- ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ١٩٨٢م، ٨٨/٢-٨٩؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٧.

(١) ابن دراج، ديوان، ص٤٣٥-٤٣٨.

(٢) وهي كنيسة عظيمة عند النصارى، في ثغور ماردة، ويقال دفن فيها يعقوب أحد حواري السيد المسيح (عليه السلام). ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص١٠٥-١٠٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٨/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٨.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٨/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٤/٢-٢٩٦؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ص١٨٢-١٨٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٥٦/٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤١٣/١-٤١٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٩٩/١-٥٦١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٩٩-٢٠٠.

كأَنَّ سِنَانَهُ شِيعِيٌّ بَغْيٍ	تَقَحَّمَ ثائِراً بِدَمِ الحُسَيْنِ[١]

وكذلك قال أيضاً:

اليوم أَنكَصَ إبليسٌ عَلَى عَقِبِهْ	مُبَرَّءاً سَبَبُ الغاوينَ من سَبَبِهْ
واسْتَيْقَنَتْ شِيَعُ الكفَّارِ حيثُ نَأَتْ	في الشَّرْقِ والغربِ أَنَّ الشِّركَ من كَذِبِهْ
بِشَنْتِيَاقَةَ لما أَن دَلَفْتَ لَهُ	بالبِيضِ كالبدرِ يَسْرِي في سَنَا شُهُبِهْ
وعاذ بِرْمُنْدُ منهُ بالفرارِ وكَمْ	من قبلِها عاذَ بالأَنصابِ من صُلُبِهْ[٢]

وبعد وفاة المنصور ابن أبي عامر تولّى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة من سنة (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م)[٣]، إذ سار على سياسة أبيه في اصطناع البرابرة من أهل بلاد المغرب، داعياً إليه قبائلهم للدخول في خدمته وطاعته إذ أورد ابن بسّام رواية عن ابن حيان ذكر فيها هجرة زاوي بن زيري الصنهاجي وقومه كان في زمن المظفر بن المنصور بقوله: "وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري ابن مناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته، وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهائه ومكره وبعد صيته في المغرب، فأضرب عبد الملك عن الفكر في شأنه وطلب السمعة باستخدام مثله، فأدخله بمن معه من إخوته، وهم من سعة النعمة وبُعْد الهمم واستصغار الرغائب فيما يكون عليه أشباههم من أبناء الأمراء، فاستقلوا ما وصلهم به عبد الملك على كثرتهم...وولاّه الوزارة أرفع خطط أصحاب السلطان بالأندلس"[٤].

ويفهم من النص أن المنصور كان شديد الحذر من دخول زاوي بن زيري الصنهاجي بسبب الخوف الذي أعتراه من شدة دهائه ومكره السياسي بعدما ذاع صيته في المغرب، فلم يأذن له المنصور

---

(١) ابن دراج، ديوان، ص٣٧١-٣٧٨.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٤٤٠-٤٤٣.

(٣) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢١٩/١-٢٢٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢١٢/١-٢١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣-١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٧٣/٢٧؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٨٣-٨٩.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٨١/٧-٨٢.

بالدخول إلى الأندلس، إلا أن عبد الملك المظفر بدأ يفكر في علو شأنه وشهرته التي دفعته باستخدامه فأدخله بمن معه من بربر صنهاجة إلى الأندلس(١).

والراجح دخولهم كان على عهد المنصور ابن أبي عامر، وهو ما سبقت الإشارة إليه في رواية الأمير عبد الله بن بلقين(٢) وهذا ما أكده ابن الأثير واعتمد عليه ابن الخطيب، إذ يعد ابن بلقين حفيد ماكسن اخو زاوي وهو ادرى وأعلم بتاريخ اسرته من غيره، وأما الثاني ابن الخطيب فهو يعد حجة في تاريخ البربر(٣)، وبناء على ما تقدّم فمن الراجح أن يكون دخول زاوي بن زيري والوفد المرافق له من صنهاجة إلى الأندلس على عهد المنصور وليس في عهد ابنه المظفر.

وقد كان للشاعر ابن دراج الصنهاجي دور بارز في رفع الهمم لدى المقاتلين في عهد عبد الملك المظفر الذي قاد حملة عسكرية ضد مملكة برشلونة في سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)(٤)، وحاز على النصر المؤزر وفي عودته استقبله ابن دراج بقصيدة منها:

بدا لك نجم السعد واطّلع النجح	فبالله فاستفتح فقد جاءك الفتحُ
وقد قدم النصر العزيز لواءه	وقبل طلوع الشمس ينبلج الصبحُ
فَقِدْ في سبيل الله جيشا كأنه	من الليل قطع طبق الأرض أو جنح
كتائب في إقدامها الحق والهدى	وألوية في عقدها اليمن والنُجحُ
بضائعهم في متجر الحرب أنفس	رضاك لها في كل ملحمة ربحُ(٥)

كما شارك ابن دراج في غزوة الحاجب عبد الملك المظفر الثانية أيضاً المتوجهة لغزو مملكة ليون في سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، وألقى ابن دراج قصيدة جاء فيها:

لئن سُرّتْ الدنيا فأنت سرورها	وإنْ سطعتْ نورا فوجهك نورا
فلا راعها خطبٌ وسيفك أنسها	ولا رامها ضيم وأنت مجيرها

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٣/٣ .

(٢) ينظر: الفصل الثالث، المبحث الثالث، دورهم في عهد الخلافة الأموية حتى نهاية الدولة العامرية ، ص١٣٥-١٣٧.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٣-٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٨٧.

(٥) ابن دراج، ديوان، ص٤٦٦-٤٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي ليفي بروفنسال، ص٨٧.

فلا راعها خطب وسيفك أنسها	ولا رامها ضيم وأنت مجيرها
وقد لاح بالنصر العزيز لواؤها	وأعلن بالفتح المبين بشيرها[١]

وربما استمر عبد الملك المظفر بهذه السياسة وهي تقريب البربر إلى وفاته سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م).

المبحث الرابع:- دورهم في عهد الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)

عاشت الأندلس أوضاعاً مأساوية وصعبة مع بداية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، إذ حدثت فيها الفتنة البربرية، ولاسيما بعد وفاة عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر وتولي بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بـ شنجول[٢] في السنة ذاتها، وأنشد ابن دراج الصنهاجي قصيدة يرثي بها وفاة عبد الملك المظفر المظفر ويعزي أخاه شنجول ويهنئه بالحجابة والولاية بعده، ومنها:

ما أَطْبَقَ الهَمُّ إلا ريثَمَا انْفَرَجَا	ولادَجا الخطبُ إلا وَشْكَ ما انْبَلَجَا
ما كادَ يبدو الضُّحَى بالحزنِ مُكْتئباً	حتىَّ رأَيْنَا الدُّجَى بالنورِ مُنْبَلِجَا
فَلْتَهْنِناَ نِعَمُ الرحمنِ حينَ هَدَى	بِعَبْدِهِ سُبُلَ الحقِّ الذي نَهَجَا
بِناَصِرِ الدِّينِ والإسلامِ مُفْتَتِحاً	بيُمْنِهِ كُلَّ بابٍ للمُنَى ارْتُتِجَا[٣]

كان عبد الرحمن شاباً مغروراً طامعاً فيما بقي للخليفة الأموي هشام المؤيد من السلطة الروحية، وأراد أن يستأثر لنفسه برداء الخلافة كسلطة شرعية، وكان الخليفة رجلاً ضعيفاً لا يرد طلباً، فتقدم إليه عبد الرحمن أن يعهد إليه بولاية العهد، فوافق هشام على طلبه، وعلى اثر ذلك أحضر شنجول وجوه قرطبة وكبراءها فأجلسهم هشاماً وأشهدهم فيما أمضاه من الولاية وأخرج لهم كتاباً قُرِئَ بحضرته ينص على تولية هشام لعبد الرحمن شنجول العهد من بعده[٤]، وقلّده الحجابة فتلّقب بالناصر واصدر له بخطه

(١) ابن دراج، ديوان، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال ص٨٧.

(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢١٣/١؛ ابن عذاري، عذاري، البيان المغرب، ٣٨/٣-٣٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٣٧٣/٢٧؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٨٩-٩٠.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٤٥٦-٤٥٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٣/٣، ٤٧-٤٨؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٩١-٩٣.

بخطه تسميته بالمأمون وكتب إليه عهداً بذلك أن الخليفة لم يجد من هو أجدر وأصلح لولاية العهد من بعده سوى المأمون ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر(١).

وكان لهذا الاجراء اثرٌ واضحٌ والسبب الباعث في اشعال فتيل الفتنة البربرية، ولاسيما بعدما تحولت الخلافة من الأمويين إلى العامريين، فانبعثت من جديد العصبية القبلية العربية، إذ عز على المضريين أن ينتقل عرش الخلافة إلى اليمنيين، كما يصفهم ابن عذاري بقوله: "وغدا وجوه الناس من أهل قرطبة لتهنئته المغرور عبد الرحمن بهذه المنحة، التي كانت عندهم أشد محنة، كلّهم يعزي عنها نفسه، ويكفكف عليها عبرته ثم تجملوا بالملق... وخرجوا من عنده وقلوبهم ذؤوبة عليه موقدة ببغضه"(٢).

وبهذا لم يجد المروانيون بعد هذا الحدث الموجع بُداً من التجمل بالتملق، فتظاهروا بالطاعة والانصياع على مضض من سوء ما أصابهم، إلا أن هذا الأمر لم يثنيهم عن مواصلة الحصول على جبة الخلافة، إذ استغل الأمويون والمضريون فرصة غياب عبد الرحمن شنجول في جمادى الآخرة من سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، في غزو نصارى الشمال في منطقة جليقية، ولما بلغ طليطلة أتته الأخبار بخروج محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر بقرطبة، وخلعه لهشام المؤيد عن العرش، إذ قام بقرطبة وهدم بالش والزاهرة، وأخذ أموالها ونقل جميع ما فيها إلى قصر قرطبة، ولما بلغت الأخبار إلى عبد الرحمن بن المنصور، هاله الامر وأمر بضبط العسكر، فحاول أن يعالج الأمر بهدوء حتى لا ينفضّ الرجال من حوله، ومن أجل ذلك أقام بقلعة رباح(Caltarava)(٣) أربعة أيام وتبرأ من ولاية العهد وأقتصر على الحجابة، وجعل يحلف رؤساء الجند عند المنبر بأيمان البيعة أن يقاتلوا معه أهل قرطبة، وكتب لهم صكوكاً بامتلاك دورهم وضياعهم، وتقديم جميعهم على الخطط(٤).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٤/٣-٤٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٨٩-٩٣.

(٢) البيان المغرب، ٤٧/٣؛ ابن الخطيب اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٩٣-٩٤.

(٣) قلعة رباح بالأندلس، وقد سميت باسم التابعي علي بن رباح اللخمي الذي اشترك في فتح الأندلس، من عمل جيان، وهي بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنه، وقيل أن قلعة رباح بالأندلس غرب من طليطلة مغربة قليلاً وبين شرق وجوف من قرطبة وفيها انواع الفواكه والبساتين العامرة . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٨/٣-٥٠، ٦٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٩٦-٩٨.

لكن هذا الشيء لم يكن يشفع له لسوء ما اتصف به من السلوك المنحرف وقبح الأفعال كما يؤكد ذلك ابن عذاري بقوله: "كان لا ينتهي عن شرب الخمر واللواط وأعمال الشر"[١] وغيرها من الافعال القبيحة، التي باتت حديث الناس جميعاً، مما حدى إلى انصراف البربر عنه في نهاية جمادى الآخرة من سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، ومن جملة قوّاد البربر الذين انفضوا من حوله وتركوه كل من زاوي بن زيري وحباسة بن ماكسن بن زيري الصنهاجيين مع من كان معهما من صنهاجة، وتتابع الانسحاب عنه، للالتحاق بالخليفة الجديد محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة[٢].

إلا أن السبب الحقيقي من التحاق قبيلة صنهاجة بالخليفة الجديد، هو عندما رأوا وقوف أهل قرطبة مع ابن عبد الجبار وقوة بصائرهم في نصرته وبذلهم نفوسهم دونه على ما بهم من قلة الدراية بالحرب والجهل بعواقبها، لذا خافوا على أموالهم وأهليهم، وأيقنوا ألاِ قبَلَ لهم في قتال القرطبيين، فاتفقوا على تسليم عبد الرحمن شنجول والتخلي عنه، والدخول في طاعة الخليفة الجديد طلباً للسلامة[٣].

وبهذا بقي شنجول في نفر يسير لا يتجاوز نحو خمسين فارساً، سرعان ما تخلوا عنه وتركوه وحيداً، فلما وصل إلى قصر ارملاط بالقرب من قرطبة، إذ صير فيه حرمه، فأرسل إليه محمد بن هشام يومئذ من جنده ليوهمه بالحصول على الأمان ليدخل في طاعته، لكنه توجس خيفة منه ففرّ هارباً نحو الجوف (الشمال)، فأرسل إليه ابن هشام ألف فارس في طلبه[٤]، يقودهم الحاجب ابن ذرى[٥] فقبض عليه عليه وأمر أصحابه بانتزاع قلنسوة شنجول واحتز رأسه وحمله إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار[٦].

وبعدما تخلص ابن عبد الجبار من خصمه اللدود واستوسق له الملك في يده، والخلافة قد انتظمت له والمؤيد بالله في قبضته، بعدما قام بإخفائه عند وزيره الحسن بن يحيى، وبمكيدة اصطنعها ابن عبد الجبار من أجل ضمان ولاء العامة له ادعى أن هشام المؤيد قد مات ولتأكيد ذلك أحضر الوزراء ورجالاً من أصحابه على رجل نصراني وقيل يهودي مات في ذلك الوقت، وكان شديد الشبه بالخليفة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٩/٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧١/٣؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٣/٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٧/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٩/٣-٥٠.

(٥) احد موالي الخليفة الحكم المستنصر. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٢/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٦/٢٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧١/٣-٧٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٩٦-٩٨.

المؤيد، فعاينه هؤلاء وشهدوا عند العامة أنهم وقفوا على هشام ميتاً، واتفقوا على أنه مات ميتة طبيعية لا فيه أثر من جرح او خنق وأنه مات حتف أنفه، وللزيادة في اقناع الناس بذلك حضر بعض الفقهاء والعدول وخلق من العامة إلى القصر، وصلوا عليه يوم الأثنين لأربع بقين من شعبان سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)[١].

ولذا نجد الشاعر ابن دراج يتوجه مباشرة إلى ابن عبد الجبار المهدي مادحاً وشاكياً له حاله بقصيدة التي جاء في مطلعها:

قل للخلافة قد بلغت مناك	ورأيت ما قرت به عيناك
مهدي أمة أحمد وكريمها	وحليمها يأوي إلى مئواك[٢]

وفي آخرها يجهر بشكواه ويبكي حظ أدبه الضائع بقوله:

وأنا الشريد وظل عزك موئلي	وأنا الأسير وفي يديك فكاكي
أدب أضاء المشرقين وتحته	حظ يئن إليك أنه شاك[٣]

وبعد حصول محمد بن هشام بن عبد الجبار على مراده بتوليه الخلافة وخطب له بالجامع، وتلقب في حينها بالمهدي، ثم شرع في إقصاء منافسيه على السلطة، فبدأ برؤوس أبناء عمومته، فسجن سليمان بن هشام بن الناصر، وكان قد جعله ولي عهده، وكما سجن معه جماعة من قريش، والأكثر غرابة من ذلك أنه اسقط من جنده نحو سبعة آلاف[٤].

ووجه ابن عبد الجبار رجاله نحو زعماء قبيلة صنهاجة، فنهب العامة دور بني زاوي بن زيري وبني ماكسن بن زيري وغيرها من دور زعماء البربر، ولما دخل عليه زاوي، وحبوس وحباسه أبناء ماكسن بن زيري، واخبروه بما جرى عليهم، وشكوا إليه بما أصابهم، فاعتذر إليهم وقتل من آذاهم من العامّة[٥]،

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٨/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٨/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٢-١١٣.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٥٠-٥٣.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٥٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٨/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٨/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٢-١١٣.

العامّة[١]، إذ لم يكن اعتذار المهدي صادراً عن حسن نية تجاه البربر، فهو الذي حرّض العامة بقرطبة على تقتيلهم ونهب دورهم؛ لأنّه كان يبغضهم وأظهر البغض للبربر وسبهم علناً في مجلسه، إذ عدهم ابن عبد الجبار سبباً في الاستبداد العامري، فأعلن بغضه للبرابرة وتنقصهم جهلاً بمحلهم من البأس والعصبية[٢]، إذ كان حجاب المهدي من أرذل المتجندة من العامة ذوي المهنة فأساءوا الأدب على كل من يدخل للمهدي من قوّاد البربر ووجوههم فطالبوهم بوضع السلاح عند الدخول ويسمعونهم سوء الكلام ولم يميّزوا بين أعلاهم وادناهم وجعلوا يوبخونهم حتى انبعثوا منهم حقداً وأكسبوهم غائلة ومقتاً، وذكروهم ما كان عليه بالسابق من معاملة المنصور ابن أبي عامر الحسنة لهم[٣].

ولما رأى هشام بن سليمان الرشيد رداءة ابن عبد الجبار واهانته رؤساء البربر وزعمائهم، جعل يحرّضهم على خلع محمد بن هشام بن عبد الجبار[٤]، ولاسيما بعدما استوحش البربر من سوء أعمال ابن عبد الجبار وتصرفاته، وبلغهم سره الفتك بهم قاموا عليه فتشاورا فيما بينهم وقدموا هشام بن سليمان ابن امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، ففشا في الخاصّة حديثهم، فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الأعظم، فثاروا بهم، وأزعجوهم عن المدينة، فالتحم الأمر بينهم فبادر قوم منهم إلى خالد بن طريف فقتلوه وقتلوا معه محمد بن ذرى وهما وزيران من وزراء محمد بن هشام المهدي ورفعوا رأسيهما، وانحاز الناس كل فريق من ناحية، وكان مع هشام بن سليمان جماعة البربر الذين سموه بالرشيد، بعدما أسقطهم ابن عبد الجبار من جنده فزحفوا إلى القصر وحاصروا ابن عبد الجبار المهدي يوماً وليلة في أوائل شوال من سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) مما حدى بالمهدي أن يكاتب الرشيد في الصلح على أن ينخلع المهدي ويؤمنه الرشيد في نفسه وأهله[٥]، لكن صمود عامة القرطبيين مع المهدي، أدى بالنهاية بالقبض على هشام وأخيه أبي بكر، والقدوم بهم إلى ابن عبد الجبار المهدي فضرب عنقيهما صبراً[٦]، مما أدى إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٨/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٨/٢٣-٤١٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٢-١١٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٥/٣-٧٥، و ٢٦٣-٢٦٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٨/٢٣-٤١٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٩٤/١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٥/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٥/٣-٧٦، ٧٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٩/٣، ٨٣-٨٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٩/٣-٨١؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٣/٤؛ المقري، نفح الطيب، ٤٢٧/١.

تراجع زاوي بن زيري زعيم قبيلة صنهاجة مع قومه ومن لفّ لفهم من البربر الناقمين على المهدي من سوء معاملته لهم كونه جعلهم من بطانة المنصور ابن أبي عامر(١).

وبعد مقتل هشام بن سليمان نهبت دُوْرِهِ ودُوْر بني ماكسن بن زيري الصنهاجي ودُوْر أخرى لبني زاوي بن زيري ودور كثيرة بالرصافة لجماعة من البربر مرة ثانية، وكان سبب ذلك سوء تصرف ابن عبد الجبار الذي قال: "لا يركَبّن أحدٌ من الغزاة – ويعني بذلك البربر– ولا يحمل سلاحاً ولا يأتي القصر"(٢)، إلا أن من سوء حظ زاوي بن زيري بن مناد عظيم صنهاجة، وقومه أمراء افريقية يملكون من طرابلس إلى طنجة، إذ أنه وصل في ذلك اليوم مع جماعة كانوا برفقته، فردوا عن باب القصر وانصرفوا على غاية من الذلِّ، ويذكر أن الدهماء احتبست زاوي بن زيري بالباب للازدحام مدَّة لا يُفرج له ولا يعرف مكانه وكلَّما همَّ بالاستقدام ردوه وقرعوا رأس فرسه فلما أكثروا عليه جعل يقول: هذا رأسي فأضربوا وأمَّا الدابَّة فلا ذنب لها فكانوا يرون أن ذلك مبتدأ حقده(٣).

وبعد الذي أصاب البربر، ولاسيما قبيلة صنهاجة من الذل والهوان والسلب والنهب لدورها، ارتأى البربر تقديم شكواهم للمهدي، فأستقبل رؤوسهم بقيادة زاوي بن زيري وحبوس وحباسة ابني ماكسن وأبو الفتوح بن الناصر على محمد بن هشام فأخبروه بما جرى عليهم، فلما سمع تظلمهم أعتذر لهم ووعدهم بتعويض ما نهب لهم، وأمر بقتل بعض من أُتهم بنهب البربر(٤)، ولكن كانت الوعود التي قدمها المهدي مجرد كلام لتهدئة البربر، أما من داخله فكان يضمر الحقد اتجاههم(٥)، فترك العامة يواصلون معاداتهم لقبائل البربر بما فيهم قبيلة صنهاجة، واستمرت بنهب دُوْرهم ولم يسلم منها إلا تلك الدُّور التي لم تصل إليها الأيادي نتيجة لحلول ظلام الليل، وعلى إثر ذلك اضطر البربر إلى مغادرة مساكنهم والالتحاق بأرملاط، وبذلك اشتعلت نار الفتنة بين البربر والعامة(٦).

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٢-١١٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٧٥-٧٦، و٢٦٣-٢٦٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٧٥-٧٦، و٢٦٣-٢٦٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٧٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٧١؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٩٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨١.

ومما زاد من التدهور في الوضع الأمني الذي شقّ طريقه نحو العامة، بسبب سوء تصرفات ابن عبد الجبار، الذي أوقد نار الفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية(١)، ويؤيد ذلك ابن الخطيب بقوله: "سبب الفتنة العظيمة التي سماها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، كان المهدي يستفسد إلى البربر ويصرّح ببغضه لهم، ولا يقدر على كتم ذلك حتى أَذلَّهم وتنكَّر لهم"(٢).

وكان الخطأ الجسيم الذي ارتكبه محمد المهدي، هو الاستهانة بالبربر، ولاسيما صنهاجة بصفة خاصة، هذه القوة الكبيرة التي أعلنت الطاعة والولاء له عقب مقتل عبد الرحمن شنجول، ولو كان على شيء من السياسة لقبل ولائهم(٣).

وانتشرت نار الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة، ولم تتوقف أعمال النهب، ولاسيما بعد أن أمر ابن عبد الجبار أن ينادي في البلد من أتى برأس بربري فله كذا وكذا، فشرع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه منهم، فلم يبق تاجر ولا جندي إلا عمل مجهوده في ذلك، ولم يشفع لمجاهدهم جهاده ولا لصالحهم صلاحه فنالهم القتل، وهتكوا حريمهم وسبي نسائهم وباعوهم في دار البنات، وقتلوا النساء الحوامل كما قتلوا سبعة عشر رجلاً من أهل تلمسان، قَدِموا للغزو في ساعة واحدة، وقتلوا بالخطأ قوماً من أهل خراسان وأهل الشام اعتقدوا أنهم من البربر، وهرب من سَلِم من البربر إلى أرملاط ثم جلو إلى الثغر(٤).

وتدارك ابن عبد الجبار سوء تصرفه، فخاف أن تستغل قوة البربر ضده فأمر مناديه أن ينادي في المدينة من آذى بربرياً أو تعرض له بعد كانت عقوبته السيف، فكف الناس عنهم، ولكن البربر كانوا قد وصلوا إلى أرملاط، متوجهين إلى الثغر، فأرسل إليهم محمد بن هشام، رسولاً يؤمنهم فلم يردوا عليه جواباً، وقالوا للرسول لولا أنك رسول وتاجر لقتلناك وسيجازينا الله بما نفعل، فأنصرف عنهم خائباً، ولهذا أدركهم البكري وهو أحد وزرائه يخبرهم بأن الخليفة آمنهم، وأنه نودي في قرطبة وأرباضها، يقول للناس: إن أمير المؤمنين المهدي قد عفا عن البربر على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا حراثيين كما كانوا، لكن البربر صموا آذانهم وتابعوا مسيرهم(٥)، ولحق سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر(١) بجنود

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٦/٣، و ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الاحاطة، ٢٩٤/١.

(٣) ابن سوده، أحمد، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم- بيروت ، ١٩٩٥م، ٢١٠/٢-٢١١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨١/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤١٩/٢٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٣.

البربر، فلما سألوه عن نفسه، فأخبرهم، اجتمعوا إليه في موضع يعرف بصلب الكلب، وفي هذا الموضع كانت مبايعته وولوه على أنفسهم، وعقدوا له الخلافة والإمامة وتسمى بالمستعين في آخر شوال من سنة (٣٩٩-٤٠٠هـ/١٠٠٨-١٠٠٩م)[٢]، ورؤساؤهم يومئذ زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي وبنو ماكير ابن أخيه زيري، ومحمد بن عبد الله البرزالي، وأبو الفتوح بن ناصر وخزرون بن محصن المغراوي وغيرهم كثير[٣]، ولما بايع البربر سليمان بن الحكم المستعين حملوا له مالاً من كل قبيلة منهم وصاروا معه حتى وصلوا إلى قلعة رباح[٤].

ويؤيد ذلك ابن الخطيب في رواية غاية في الأهمية إذ يقول: "وعندما انتهوا إلى فحص هلال، واجتمعوا على التّأسّي، وضرب لهم زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد الصّنهاجي، مثلا بأرماح خمسة جمعها مشدودة، ودفعها لأشدّ من حضره منهم، وقال: اجهد نفسك في كسرها كما هي وأغمزها، فعالج ذلك فلم يقدر عليه، فقال له: حلّها وعالجها رمحاً رمحاً، فلم يبعد عليه دقّها، فأقبل على الجماعة، فقال: هذا مثلكم يا برابرة، إن جمعتم لم تطاقوا، وإن تفرّقتم لم تبقوا، والجماعة في طلبكم، فانظروا لأنفسكم وعجّلوا، فقالوا: نأخذ بالوثيقة، ولا نلقي بأيدينا إلى التهلكة، فقال لهم: بايعوا لهذا القرشي سليمان، يرفع عنكم الأنفة في الرياسات، وتستميلون إليه العامّة بالجنسية، ففعلوا، فلمّا تمّت البيعة قال: إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الاستطالة، فيقيّد له رئيس كل قبيلة منكم، قبيلة يتكفّل السلطان بتقويمهم، وأنا الكفيل بصنهاجة، قال: وامتارت بطون القبائل على أرحامها، وقبائلها إلى أفخاذها وفصائلها، فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيّده، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوي، ولم تزل تلك القبائل المتألّفة بالأندلس لطاعة أميرها، المنادين له، إلى أن أورثوهم الإمارة"[٥].

ومن الواضح أن محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي أحسّ بخطورة ما آلت إليه أوضاع الأندلس، بسبب سوء أوامره وتصرفاته، ولاسيما ازاء البربر، فحاول مجدداً أن يتدارك الأمر قبل أن يخرج

---

(١) ابن حزم، رسائل، ١٩٧/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨-١٩؛ ابن بسام، الذخيرة، ٣٥/١-٣٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢.

(٢) ابن حزم، رسائل، ١٩٧/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨-١٩؛ ابن بسام، الذخيرة، ٣٥/١-٣٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٤/٣.

(٣)ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٣؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٢/٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٤/٣.

(٥) الاحاطة، ٢٩٤/١-٢٩٥.

عن طوعه وإرادته، فأرسل إليهم عباس البرزالي وهم في قلعة رباح فقال لهم: "قد آمنكم أمير المؤمنين أماناً تامَّاً فأرجعوا إلى دُوْركم ومحالكم فقالوا: ليس إلى رجوعنا من سبيل؛ لأنّه أن آمننا لم تؤمننا رعيَّتُهُ وإن آمنتنا عامته لم يؤمننا جندُه[١].

وعندما قاربوا وادي الحجارة كاتب سليمان المستعين أهلها يدعوهم إلى الدخول في طاعته، إلا أنهم رفضوا ذلك الأمر وأرسلوا كتابه إلى محمد بن عبد الجبار المهدي فشكر لهم ذلك[٢].

وبعد أن وصل البربر إلى مشارف مدينة سالم (Medinaceli)[٣] التي كان عليها واضح الفتى، الذي في وقتها كان قائد الثغر الأوسط، الذي كان يوالي في الخدمة محمد بن هشام بن عبد الحبار، وكان في جيشه نحو أربعمائة فارس من البربر المرابطين في المدينة، فأراد واضح الغدر بهم لكنهم استطاعوا خرق صفوفه وضاربوهم حتى خرجوا فلحقوا بإخوانهم ودخلوا معهم إلى وادي الحجارة عنوة فانتهبوها واستباحوا أهلها[٤].

فلما بلغت الأخبار ابن عبد الجبار قرأ كتاباً بقرطبة يستنكر ما فعله البربر في وادي الحجارة فضج الناس لذلك وقال لهم نغزو البربر بجماعتنا، وأمر ببناء أبواب قرطبة، وأخذ في حمل الدقيق والحطب والملح إلى القصر، تحسباً لما قد يحدث مستقبلاً، إلا أنه ظهر منه جزع وخوف وتجرأت عليه العامة فاستخفوا به[٥].

وعندما وصل البربر إلى مدينة سالم، سألوا واضحاً أن يعمل بينهم وبين ابن عبد الجبار صلحاً، شريطة أن يكون سليمان بن الحكم ولي عهده، لقطع دابر الفتنة ويتفقا على أمر يكون فيه صلاح البلاد والعباد، لكنه أبى ودسّ طائفة من العبيد العامريين كانوا مع البربر، كلفهم أن يحتالوا على سليمان

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٤-٨٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٥.

(٣) هي احدى مدن الثغر الأوسط من شرق الأندلس، ومن اعظم المدن واحصنها، ومساحتها من مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم شرقا خمسون ميلاً، وهي مدينة جليلة في وطاء من الأرض كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات، ومن اعمالها شمونت وشنت برية . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦؛ الدرويش، العلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (تطيلة- سمورة- طركونة- قلعة رباح- لشبونة- لورقة- مدينة سالم)، ص٢٩٠-٢٩٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٥.

ويقبضوا عليه في اثناء قتال البربر، فلما باشروهم واشتغلوا بالحرب معهم عدل العبيد العامريين إلى سليمان، ولسوء حظهم اكتشف البربر خطتهم وقتلوهم جميعاً(١).

ولما اتصل الخبر بأبن عبد الجبار قرأ كتاباً ثانياً مفتعلاً على أهل قرطبة، أراد الهدف منه رفع معنوياتهم، إذ اشاع فيه بأن البربر قتلوا قتلاً ذريعاً، وأنه سيصل من رؤوسهم أكثر من ألف رأس، فأستبشر أهلها بالنصر لمحمد ودعوا له(٢).

وعلى الرغم من مغادرة البربر لمدينة سالم وكفهم عن قتال أهلها إلا أن واضح الفتى ضرب حصاراً اقتصادياً على البربر، إذ نادى مناديه في سائر الثغور من حمل شيئاً من الطعام إلى محلة البربر فقد حَلّ ماله ودمه، مما اضطرهم إلى أكل حشيش الأرض خمسة عشر يوماً، فلما أجهدهم الحصار اتصلوا بشانجة غرسية بن فرناند ملك قشتالة، وقالوا له: إنك قد علمت ما بيننا وبين واضح وابن عبد الجبار، فإن أنت رغبت في صلحنا ومسالمتنا فنحن معك عليهما فسارت رسلهم إليه، فوجدوا رسل ابن عبد الجبار وواضح الفتى يسألانه الصلح معهما على أن يعطياه ما أحب من مدائن الثغر وحملا إليه هدية منها خيلاً وبغالاً *وكساء* وجوهراً وطيباً ومالاً لا يحصى والتحف الكثيرة، إلا أن ابن فرناند رفض طلبهم ومغرياتهم وعقد الصلح مع رسل المستعين بالله، وأشترط عليهم أن يعطيه البربر إذا ظفروا ما أحبّ من مدائن الثغر، ثم زوّدهم بألف عجلة من الدقيق والعقاقير وأنواع المآكل وألف ثور وخمسة آلاف شاة وجميع ما يصلحهم حتى الفحم والعسل والسروج وغير ذلك إلى ما دونه من الحبال والأوتاد فعاش البربر بذلك وقويت نفوسهم(٣).

ويرى أحد الباحثين أن السبب الذي دفع شانجة غرسية بن فرناند ملك قشتالة إلى تفضيل الاتفاق مع البربر هو علمه المسبق بالمنتصر في هذه المواجهة الدائرة بين الطرفين؛ لأنّه سبق أن اختبر مدى قوة الجيش المكون للمعارضة، وذلك من خلال المواجهات العسكرية السابقة التي دارت بينه وبين جند الأندلس الذي كانت غالبيته من البربر في عهد المنصور ابن أبي عامر وأبنه عبد الملك المظفر(٤).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٣-٨٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٠/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٣.

(٤) بوباية، البربر في الأندلس، ص٣٢٧.

ثم سار البربر يتقدمهم سليمان بن الحكم المستعين مع شانجة غرسية بن فرناند في جمع كثيف من النصارى، فلما وصلوا إلى مدينة سالم أرسلوا إلى واضح الفتى يرغبون إليه في الصلح كراهية في القتال لإلقاء الحجة عليه، إلا أن (واضح) أبى وامتنع، فساروا كلهم يومئذ إلى شرنبة الواقعة على مقربة من قلعة عبد السلام، فجمع لهم واضح أهل الثغور من أجل محاربتهم، وأرسل إليه في أثناء ذلك ابن عبد الجبار غلامه قيصراً بالعسكر من أجل مساعدته في حربه ضد البربر المدعومين بالنصارى، والتقى الجمعان بشرنبة، فأقتتل الطرفان في أواخر ذي الحجة من سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، وقيل في محرم من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، فدارة الدائرة على واضح وأنهزم وأُسر البربر من كان معه، فقتلوا منهم كثيراً ونصبوا رؤوسهم على قلعة عبد السلام، وعفوا عن بعضهم وغنموا ما كان بحوزتهم من مال وسلاح[١]، مما حدى بأبن عبد الجبار أن يستنجد ببعض الشخصيات البربرية المعروفة، التي لم تغادر قرطبة، على الرغم من أحداث الفتنة، كقاضي الجماعة أبو العباس احمد بن هرثمة بن ذكوان ومصل بن حميد وغيرهم، من أجل التوسط له، لكنهم خافوا على أنفسهم فعذرهم[٢].

ولما أدرك أن الحرب قاب قوسين أو أدنى منه، وأنه لا مفرّ من ذلك، أمر أن يحفر خندق حول قرطبة على أفواه الأرباض خوفاً من البربر، كما أمر البربر المقيمين بأرباض قرطبة أن يخرجوا من المدينة، وشدّ الرحال نحو بلاد المغرب، ليأمن عدم انضمامهم إلى صفوف البربر من أخوانهم إذا حلت الحرب بساحتهم، فأشتد الأمر عليهم وخافوا أن خرجوا من قرطبة أن يقتلوا بكل طريق فأستتر كثير منهم، إلا أنهم بلغت قلوبهم الحناجر لما علموا بتجمع أهل قرطبة من كل ربض حول القصر، وتعالت صيحاتهم بقتل هؤلاء البربر الذين لا يزالون معهم بالمدينة هم ونساؤهم وأولادهم؛ لأنّهم أضرّ عليهم من الذين يأتونهم من خارجها[٣].

وأقبل واضح في اربعمائة فارس من أهل مدينة سالم لنصرة محمد بن عبد الجبار، ناقضاً لعهد البربر طمعاً في استئصالهم، ووصل غلامه في مائتي فارس، ونزل البربر يوم الخميس الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) بأرملاط، ونادى منادي ابن عبد الجبار أن يخرج كل من بلغ

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٦-٨٧؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٤٢٠.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٦٧-٦٨، ٨٧.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٧-٨٨.

الحلم من سائر الناس، فلم يتأخر أحد إلا المستضعفين من الشيوخ والصبية، ثم تحرك البربر ونزلوا في سفح جبل قنطيش(Quentish)[١]، بينهم وبين أهل قرطبة الوادي الكبير[٢].

وكان واضح الفتى وجنده من رجال الثغر قد وصلوا الوادي قبلهم بيومين، فقلده المهدي أمر الحرب، واحتشد الناس من الكور والبادية، فعسكروا في جموعٍ كبيرة، يوم السبت الثالث عشر من ربيع الأول من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، ثم زحف القرطبيون على البربر، وخالفوا واضحاً في تدبير حربهم، الذين استدرجوهم إلى معسكرهم من خلال خطة محكمة عملها أصحاب المستعين بالله، فحمل عليهم نحو ثلاثين فارساً بربرياً من معسكر المستعين، فتراجع القرطبيون منكشفين انكشافاً ما سمع بمثله، إذ انهزمت عساكرهم التي كانت بعدوة الوادي الكبير، فعمل البرابرة ونصارى مملكة قشتالة السيوف على أهل قرطبة، بعد أن ازدحموا في طرق ومسالك ضيقة كانوا قد أعدوّها لعدوهم، وتناشبوا وسقط بعضهم على بعض، إذ مال نصارى مملكة قشتالة يومئذ على المنهزمين من أصحاب ابن عبد الجبار المهدي فقتلوا في صعيد واحدٍ نيفاً على ثلاثة آلاف رجل، فضلاً عن ذلك غرق الكثير منهم في الوادي الكبير، في هذه الواقعة التي عرفت بوقعة قنتيش المشهورة بالأندلس، التي بلغ فيها عدد القتلى في صفوف جند المهدي عشرة آلاف قتيل أو أزيد[٣]، بينما ذكر الحميدي أنه: "لم تكن إلا ساعة حتى قتل من أهل قرطبة نيفاً على عشرين ألف رجل في جبل هناك يعرف بجبل قنطيش"[٤]، في حين اشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: "قتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً"[٥]،

وعندما خرج الأمر عن يد واضح، فلم يثبت أحد ممن كان معه، في تلك الوقعة من العوام والخواص، مما دفع واضح الفتى إلى الهروب إلى الثغر في سواد الليل البهيم، ودخل البربر في ارباض

---

(١) هو موضع جبل عند وادي الحجارة من أعمال طليطلة على نهر الوادي الكبير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٠٢/٤؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الأطلاع، ١١٢٥/٣ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٣/١؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١٥٤/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٨/٣-٨٩.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٣/١-٤٤؛ ابن بشكوال، الصلة، ص١٨٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٨/٣-٨٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٤/٢٣.

(٤) جذوة المقتبس، ص١٨. ينظر ايضاً: الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦/٢.

(٥) اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٣.

قرطبة، وانبسط البربر يومئذٍ في أرض قرطبة يقتلون ويأسرون، وبات الناس على سطوح دورهم في وجل وخوف(١).

ولما رأى ابن عبد الجبار ظهور البربر عليه وهزيمة أهل قرطبة هزيمة نكراء، ورأى انحراف الناس عنه، بدأ في حينها يفكر في خطة بديلة اراد منها انقاذ ما يمكن انقاذه، بعد أن أيقن أن الدائرة دارت عليه، فأصطنع حيلة أراد منها ابطال دعوى سليمان بن الحكم المستعين، إذ أمر بإخراج هشام بن الحكم المؤيد بالله إلى الناس، ظناً منه أن البربر يتعصبون له إذا رأوه، لما كانوا يكثرون من الترحم عليه والطلب بدمه، بعدما اخفاه كما ذكرنا سابقاً بزعمه انه مات، وأجلسه في شرفة قصر قرطبة ليروه، وبعث لهم قاضي الجماعة أبا العباس احمد بن هرثمة بن ذكوان وأدى لهم رسالته التي جاء فيها: "إنما أنا قائم دون هشام بن الحكم ونائب عنه كالخليفة والحاجب وهو أمير المؤمنين، فقال له البربر سبحان الله القاضي ابن ذكوان بالأمس يموت هشام وتصلي عليه انت وغيرك واليوم يعيش وترجع الخلافة إليه، وجعلوا يتضاحكون منه وقالوا له الله محمود على سلامته، ونحن لا حاجة لنا في إمامته، ولا نرضى بغير سليمان، فأعتذر ابن ذكوان لهم وأنصرف عنهم مولياً الأدبار"(٢).

وعندما أفلس ابن عبد الجبار من هذه الحيلة، عمد إلى حيلة أخرى أراد من خلالها أن يبين اذعانه لسيمان بن الحكم المستعين هو ومن معه من البربر، وسلم له القصر، ثم اختفى أياماً في داخل مدينة قرطبة، ثم خرج منها متنكراً إلى طليطلة، إذ كان وصوله لها في أول جمادى الأولى من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، فأستقبله أهلها احسن قبول(٣).

ودخل زاوي بن زيري الصنهاجي القصر يوم الأثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وفي اليوم التالي وصل سليمان المستعين فدخل القصر، فوجد هشام بن الحكم المؤيد بالله، فأكرمه وأجلسه في إحدى أجنحة القصر(٤)، ووجد المؤيد أن جاريتين من جواريه قد حبلتا من ابن عبد الجبار فقال: ما جرى على أحد مثل ما جرى عليَّ من هذا الرجل في نفسي ومالي وأهلي فالله بيني

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٩.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٤-٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٨٩؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٣.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٨٩؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٣-١١٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٤-٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٩-٩٠.

وبينه، وأمر المنادي أن ينادي في الناس بالحضور في المسجد الجامع ليبايعوا لسليمان بن الحكم ففعلوا وشرط لهم شروطاً سرتهم وذلك في ربيع الأول سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، فبايعه الناس بالخلافة، واستقبله أهل قرطبة بأسرهم تدفعهم حماستهم الكبيرة، فأحسن لقائهم والرد عليهم(١).

وفي هذا الصدد يذكر ابن بسّام اقبال الشعراء العامريين على سليمان المستعين بالله من كل حدب وصوب بقوله: "لما استوسق الأمر بقرطبة لسليمان، تعرض لمدحه من كان ثوى بقرطبة يومئذ من بقية الشعراء العامريين رجاءً في الحصول على مكانة ومقربة منه، فصاغوا في مديحه أشعاراً حسنةً وكان ممن شهر امتداحه للخليفة سليمان يومئذ، وحفظ كلامه من تلك الطبقة العلية، كبيرها أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، وقد كان إلى وقته ذلك ثاوياً بقرطبة، يحسب أن سليمان سيجيره من الزمان، وكان النجم أدنى من ذلك إليه، دخل عليه أول مجلسٍ كان له بالقصر(٢) فأنشده قصيدته السياسية الأولى التي التي كان أولها:

شهدت لك الأيام أنك عيدها	لك حن موحشها وآب بعيدها
وأضاء مظلمها، وأفرخ روعها	وأطاع عاصيها، ولان شديدها
لمواكب صهلت اليك خيولها	وكتائب خفقت عليك بنودها
شغفاً بدعوتك التي قد طالما	عمرت تهائمها بها ونجودها
حتى ارتقت من المنازل رتبةً	عزت بها غر الرجال وصيدها
في قبة الملك التي صنهاجة	وزناتة أطنابها وعمودها
صدقتك أيام النزال سيوفها	ضرباً وفي يوم النفار عهودها(٣)

وزاد ابن دراج في قصيدته السياسية الثانية التي مدحه فيها من خلال نونيته المشهورة وتكلم بلسان العصبية القبلية البربرية منشداً اياه:

هنيئاً لهذا الملك روح وريحان	وللدين والدنيا أمان وإيمان
فإن قعيد الخزي قد ثل عرشه	وإن أمير المؤمنين سليمان
أسود هياج ما تزال تراهم	تطير بهم نحو الكريهة عقبان

(١) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٤-٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩١.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ١/٦٧.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٦٠-٦٦؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/٦٧-٦٨.

وأقمار حربٍ طالعت كأنما	عمائمهم في موقف الروع تيجان
وأبيض صنهاجٍ كأن سنانه	شهاب إذا أهوى لقرنٍ وشيطان
لقد علموا يا مستعين بأنهم	لربهم لما اعانوك اعوان
ولولاك والبيض التي مهدوا بها	لما قام للإسلام في الأرض سلطان[١]

وبعد ذلك انطلق ابن دراج بقصيدة ثالثة سياسية يظهر فيها دور صنهاجة في نصرة المستعين بالله أيضاً ويروي مشاهد القتال بينه وبين الحزب الأندلسي الذي كان منضوياً تحت لواء ابن عبد الجبار المهدي بقوله:

تخيرت فاستمسكت بالعروة الوثقى	فبشراك أن تفنى عداك وأن تبقى
بوارق لو لم تخطف الهام في الوغى	لخرت جسوم من رواعدها صعقا
تبارى إلى الهيجا بأسد خفية	إذا هال وجه الموت هاموا به عشقا
وإن فزعوا نحو الصريخ فلا ونى	وإن وردوا حوض المنايا فلا فرقا
عبيد مماليك وأملاك بربر	وكل عظيم الفخر قد حزته رقا
هم فئة الإسلام إن شهدوا الوغى	وهم أفق للملك إن نزلوا أفقا
عممتهم نعمى جزوك بها هوى	وأوزعتهم حلما جزوك به صدقا[٢]

بدأ واضحاً أن الشاعر ابن دراج عندما نظم قصائده الثلاثة السياسية بحق سليمان المستعين، ولاسيما قصيدته النونية المشهورة مبيناً فيها للمستعين لولا وجود الصنهاجيين من ابناء قبيلته لما استطعت من تحقيق المجد، وتلك المكانة التي أنت عليها من الوصول إلى جبة الخلافة، لكن ابن دراج كان ذكياً وبارعاً من تلك الغايات التي قصدها من تلك القصيدة، ولا نستبعد أن يكون من وراءها مآرب ونزوع شخصي، وهي الميزة التي امتاز بها ابن دراج، التي تمحورت حول استعمال كل ما يمكنه استعماله في قصائده وانتخابه للعبارات والكلمات المؤثرة، ولاسيما في مدحياته للوصول لمبتغاه من خلال قصيدته النونية التي برع فيها وذكر فيها اسم قبيلته صنهاجة وشجاعة رجالاتها ومكانة ساداتها هذه المحاور الثلاثة التي جعلها ذوات الفضل على المستعين فيما وصل إليه، أما غايات ابن دراج من وراء ذلك يقيناً هي الحظوة والمنزلة التي طالما سعى إليها في بلاط المستعين.

---

(١) ابن دراج، ديوان، ص٥٤-٥٩؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/٧٠-٧١.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٦٧-٦٩.

واختار البربر ومن ضمنهم صنهاجة السكن في مدينة الزهراء لتفادي الصدام مع العامة الحاقدين عليهم، وعلى الرغم من ذلك لم يقابل البربر الإساءة بالإساءة بل قابلها بالإحسان، على الرغم مما لقوه من بغض العامة من أهل قرطبة لهم، وقد ساموهم سوء العذاب فذبحوا البربر واستباحوا الحرمات، ونهبوا كل ما وقعت عليه أعينهم، بل زادت أعمالهم شراً بكل من يجدوه منهم في خلوة أو منفرداً قتلوه غدراً، وكان البربر اذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة، فأن صهل فرس على فرس قامت جماعة لتعصب العامة عليهم، ومع ذلك صابرون، لكي يضعوا حداً لهذه الأعمال المشينة من خلال فتح صفحة جديدة تطوي صفحات الماضي الأليم، التي من شأنها أن تخمد نار الفتنة التي هاجت بها الأندلس، وفي الإطار نفسه ذكر أن بعض عبيد البربر نهبوا دوراً من أرباض قرطبة، فضربت رقاب أربعة منهم فسكن الناس(١).

وبعد استقراره بالقصر، أمر سليمان الذي تسمى بـ الظافر بحول الله بأنزال جثمان عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبي عامر من الخشبة التي علقت بها جثمانه منذ قتله، فغُسِّل ودفن في دار أبيه، وكما قام الناس بدفن موتاهم، وتم أحصاء القتلى من أهل قرطبة فكانوا نحو عشرة آلاف، وبهذا حسم الأمر في عدد الذين قتلوا في وقعت قنتيش(٢).

وقَدِم شانجة غرسية بن فرناند ملك قشتالة إلى قصر قرطبة، فأستقبله سليمان المستعين بحفاوة كبيرة، فأكرمه وخلع عليه وعلى أصحابه، ثم عاد إلى معسكره غرسية وطلب من البربر أن يسلموه الحصون التي اشترطها عليهم مقابل مساعدته لهم في حربهم ضد المهدي وواضح الفتى، فقال لهم زعيم البربر زاوي بن زيري الصنهاجي: "ليست الآن بأيدينا فإذا تمهد سلطاننا أنجزنا لك ما وافقناك عليهم"(٣)، وبعد مكوثه اياماً قلائل غادر ملك قشتالة قرطبة وبعث سليمان البربر معه ليأمنوا طريق خروجه من أرض الإسلام، إذ ترك غرسية حامية تتكون من مائة مقاتل في منية العقاب(٤).

(١) ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٤-٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٨٩-٩٠، ٩٢.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٠.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٠-٩١.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩١.

وفي أثناء ذلك وصل المهدي إلى طليطلة كما بينا سابقاً، وشرع في تدبير أمره، وكانت الثغور كلها من طرطوشة(Tortosa)[١] ولشبونة(Lisbonne) باقية على طاعته ودعوته[٢]، وعندما علم سليمان المستعين بما يدبره المهدي وقائده واضح الفتى، خرج بقواته من قرطبة متجهاً صوب مدينة طليطلة، وذلك في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وعند وصوله أرسل الفقهاء إلى أهلها وطلب منهم الدخول في طاعته، ولكنهم رفضوا ذلك، فأنصرف عنهم راجياً أن يرجعوا إلى الطاعة بغير اساءة إليهم[٣]، وفي إثر ذلك دفع ابن عبد الجبار إلى واضح الفتى خمسين الف دينار ليفرقها على جند مدينة سالم، لتشجيعهم في الدفاع عن المدينة، لكنه فشل في هذه المهمة الموكلة إليه وأنهزم من المدينة وبقي المال في داره، ولاسيما عندما سمع بتقدم قوات سليمان المستعين إلى مدينة سالم بقيادة زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، الذي دخل دار واضح الفتى واستولى على ما في الدار من الأموال[٤]، ومِنْ ثَمَّ فشل المستعين مرة أخرى في استمالة أهل مدينة سالم للدخول في طاعته أيضاً، ولذلك اضطر إلى العودة من حيث أتى، ومما عجل بذلك سوء الأحوال الجوية لتساقط الثلوج والأمطار بكثرة، إذ وصل إلى قرطبة في أواخر شعبان سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)[٥].

وفي الوقت الذي كان فيه سليمان يحاول استمالة أهل مدينة طليطلة ومدينة سالم إلى صفه كما بيّنا سابقاً، سار واضح إلى مدينة طرطوشة، وكتب إلى سليمان برغبته بأعفائه من الخدمة وأن يأمره بالسكن في مدينة لورقة ليتعبد وينقطع عن الناس، فكتب إليه سليمان بالنظر في سائر الثغر وجهاد العدو، وأراد واضح الفتى من هذا التصرف كسب الوقت لتنظيم صفوفه من جهة وتطميناً لسليمان المستعين من جهة أخرى، حتى يتمكن من الاتصال بأمير برشلونة الكونت رامون وأخيه الكونت أرمنجو امير أورقلة، وأتفق معهما على امداده بجيش وعدة لتعينه في قتال البربر بقرطبة مقابل تنازلات كبيرة

---

(١) مدينة تقع شرق الأندلس تتصل بكورة بلنسية، قريبة من البحر في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤١؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦١؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٥/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦-١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩١.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥/١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٣/٣؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٣-١١٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٣/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩١/٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٣/٣.

وخطيرة، منها ادخالهم مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط وتسليمها لهم فأخلاها ممن كان فيها من المسلمين، وكان أول موضع دخله نصارى برشلونة وأورقلة من هذه المدينة مسجدها الذي دقوا فيه الناقوس وحولوا قبلته، كما اشترط النصارى على واضح أن يلتزم كل رجل منهم دينارين في كل يوم، وما يقوم به من الشراب واللحم وغير ذلك، ويجري على أمير برشلونة الكونت رامون وأخيه الكونت أرمنجو أمير أورقلة، في كل يوم مائة دينار، وما يقوم به من الطعام والشراب وغير ذلك، وعلى أن لهم كلما حازوه من عسكر البربر من سلاح وكراع ومال، وأن نساء البربر ودماءهم وأموالهم حلالٌ لهم(١)، وهذا ما يؤكد للباحث أن موافقة المهدي واضح الفتى على جميع شروط حاكمي برشلونة وأورقلة، على الرغم من قساوتها، هو حرص المهدي بالتشبث باستعادة كرسي الخلافة ولو تطلب اراقة دم المسلم وعرضه وماله للعدو النصراني.

وسار الجيش النصراني برفقة واضح الفتى نحو مدينة طليطلة، فوصلت مقدمة جيش نصارى برشلونة واورقلة إلى سرقسطة فساموا أهلها سوء العذاب في عبيدهم وذراريهم وتجارهم والنزول في ديارهم(٢).

وعندما وصلت قوات النصارى إلى مشارف مدينة طليطلة، انظم إليهم المهدي وجنده، وسارت هذه القوات مجتمعة نحو مدينة قرطبة، وعندما بلغت أخبار تحرك هذه الجيوش إلى سليمان المستعين بالله استنفر الناس بقرطبة لقتال نصارى برشلونة واورقلة، ولكن دعوته لم تلق الرد الذي كان بانتظاره، إذ اظهر أهل قرطبة العجز عن ذلك وجبنوا عنه وطلبوا منه معافاتهم فأعفاهم بشفاعة زعيم البربر زاوي بن زيري وقومه(٣)، وهذا أن دل على شيء انما يدل على أن اهل قرطبة لم يكونوا قلباً وقالباً مع المستعين بالله انما تظاهروا له بالمبايعة للحفاظ على ارواحهم وممتلكاتهم فقط بينما نشاهد وقوفهم سابقا مع المهدي بكل ما يملكون وضحوا من أجله بعدد كبير من ابنائهم.

وخرج سليمان من قرطبة بمن معه من البربر لقتال ابن عبد الجبار وحلفائه من نصارى مملكة قشتالة، وكان ذلك في الرابع عشر من شوال سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وتمكن ابن عبد الجبار خلال ذلك من حشد ثلاثين ألف فارس من المسلمين، وتسعة آلاف من النصارى، والتقى الجمعان في موضع يعرف

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٣-٩٤؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٤.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٤.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٤، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٤٢٣.

بعقبة البقر[١]، وكانت خطة البربر بزعامة زاوي بن زيري أن يكون هو في المقدمة، بينما يبقى سليمان المستعين بقواته الخيالة من المغاربة في مؤخرة الجيش، وقالوا له لا تبرح موضعك ولو وطئتك الخيل بحوافرها، فلما بدأت المعركة كانت خطة البربر التي وضعها زعيمهم زاوي بن زيري تقتضي أن يفتح البربر صفوفهم لتطويق جيش عدوهم، فلما رأى سليمان المستعين تدفق الأفرنجة بين صفوف البربر، ضن أن جيشه أنهزم، فأنسحب مع من كان معه من الفرسان إلى شاطبة(Jativa)[٢]، وبذلك تخلّى عن مؤخرة الجيش التي كان قد كلف بحمايتها، فأنقلب النصر إلى هزيمة، على الرغم من ذلك كانت خطة زعيم البربر زاوي بن زيري المحكمة التي من خلالها تمكن هو ومن معه من محاصرة الأفرنجة، الذين انقضوا عليهم وتمكنوا من قتل أرمنقد ملك النصارى وقتلوا معه ستين رجلاً من وجوههم وقتل من رجالة البربر نحو ثلاثمائة رجل لم يقتل لهم فارس واحد[٣].

ونتيجة لذلك اضطر البربر إلى الانسحاب نحو مدينة الزهراء، التي استقروا فيها ليلة واحدة، حتى لا يجاوروا أهل قرطبة الناقمين عليهم، وبعد وصولهم إليها أخرجوا منها عيالهم وأموالهم وأولادهم وغادروا المدينة فلم يبق فيها منهم أحد[٤].

ويصور الحادثة سعيد المرابط الذي كان أحد المشاركين في موقعة عقبة البقر على لسان ابن حيان بقوله: "لما انهزمنا من عقبة البقر ووصلنا إلى قرطبة لنحمل عيالنا وأهلينا، استعجلنا الخروج منها وخرجنا مع ذلك من باب واحد، ولقينا من الأزدحام عليه برحاً من الضيق والصعوبة، وهلك من عيالنا وضعيفنا في ضغطة الخروج وشدة الهرب لفرط المخافة خلق كثير لم تكن بهم نهضة، وعبرنا النهر أسفل الزهراء وهو كبير فقدنا فيه من عيالنا وأبنائنا وأتباعنا خلقاً"[٥].

---

(١) عقبة البقر Elvacar أو دار البقر، حصن يقع على بعد عشرين أو خمس وعشرين كيلو متر شمال قرطبة إلى الجنوب الغربي قليلاً من Ovejo . ينظر: المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٥٨٨، ص٦٣٧.

(٢) وهي مدينة قديمة تقع شرقي الأندلس، وتتصل باحواز بلنسية، وتبعد عن مدينة دانية خمسة وعشرون ميلاً. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ص١٠٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٣/٣-٩٤؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ٤٢٣/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٤؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٣/٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٥/٣؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ٤٢٣/٢٣.

(٥) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٦. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١٠-٤١١.

ويضيف ابن سعيد المرابط على لسان ابن حيان أيضاً قوله: "أنه لما غادر البربر مدينة الزهراء لم يحملوا معهم ما يحتاجون إليه من غذاء وما يستعينون به لحمل عيالهم وضعفائهم عليه، فبسطوا أيديهم بالغارة على الحاضرة وقراها، وهي يومئذ مشحونة بالدواب والأقوات والأمتعة، فأخذوا كل ما اصابوه فيها من دابة، وحملوا العيال والضعفاء والقرابة عليها"(١).

وزاد ابن سعيد المرابط بتصوير الحدث بشكل دقيق على لسان ابن حيان إذ قال: "إن البربر استقبلوا نحو الساحل حيارى، يحسبون كل صيحة عليهم، وأعظم أملهم أن يأمنوا على أنفسهم وأهليهم ويعطوا المراكب وينصفوا إلى بلدهم"(٢).

وسمح هروب المستعين بالله نحو شاطبة، وخروج البربر من مدينة الزهراء، المجال لمحمد بن عبد الجبار بالعودة مجدداً إلى مدينة قرطبة، فجدد البيعة لنفسه، فكان أول من بايعه هشام المؤيد(٣)، وأمر بقتل كل متشبه بالبربر وكل عدوي من بلاد المغرب، حتى أن كل من بينه وبين أحد عداوة قال هذا بربري فقتل، كذلك قتلوا الأطفال وشقوا بطون الحوامل(٤)، ثم أقسم بالأيمان المغلظة أن لا يستقر ولا يحل عن نفسه شعار الحرب حتى يفرغ من أمر البربر، وقد كانوا ساروا بعيالهم وأولاهم، يحملونهم على سروج دوابهم إلى جهة الخضراء من البحر الزقاقي (البحر المتوسط)، قبال بلادهم الغربية، حتى نزلوا بوادي ياور(Wadi Yawar)(وادي السقائين) (Wadi Al-Sakqain) من أحواز مربلة(Marabilla)(٥)(٦)، إذ تحرك إليهم المهدي بكل من قدر على حمل السلاح من أهل قرطبة وبواديها، حتى جمع منهم جيشاً

(١) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٦. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١١.

(٢) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٦. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٥/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٧/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٤/٢٣.

(٥) مدينة صغيرة من أعمال قبرة بالأندلس، بالقرب من مرسى سهيل ومرسى مالقة، مسورة من بناء الأول محكمة العمل ممتنعة المرام، وهناك جبل منيف عالٍ يزعم أهل تلك الناحية أن النجم المسمى سهيلاً يرى من أعلاه، وأرضها خصبة كثيرة الفواكه والأعناب وسمك السردين والحوت . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٩٩/٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٥/٣؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ٤٢٣/٢٣-٤٢٤؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٣/٤.

قوامه ثلاثون الف فارس من المسلمين وتسعة آلاف من النصارى[١]، فتوجه بهم المهدي نحو البربر عند وادي ياور يوم الخميس السادس من ذي القعدة من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، فدارت معركة حاسمة غير متكافئة فقاتل البربر قتالاً شديداً، وغشي ابن عبد الجبار فرسان الثغر، وأظهر البربر شجاعتهم وقتالهم المستميت فكتب الله لهم الصائفة، فأنهزم واضح وابن عبد الجبار والنصارى أشدَّ هزيمة ولم تغنهم كثرتهم، فقُتِل من النصارى يومها أكثر من ثلاثة آلاف، وغرق منهم بالوادي خلقاً كثيراً، وغنم البربر ما في حوزة عسكر خصومهم من مضارب ومال وسلاح ودواب[٢].

وما يؤيد دور صنهاجة في هذه المعركة الفاصلة ما ورد على لسان ابن حيان عن طريق رواية سعيد المرابط ووصفه لواقعة وادي ياور قوله: "وتقدم عدو الله للحرب قبل إقامة التعبئة، واقتحم الوادي إلينا في جمعه العرمرم، فاستقبلهم حماة القوم وعامتهم بنو برزال، وقد تناهت خيلهم أربع مائة فارس، وصنهاجة معهم مقدار مائة وخمسين فارساً... واستحرّ القتل، فقتل من وجوه بني برزال في الكبّة بضعة عشر رجلاً ومن صنهاجة نفر"[٣].

ولما لاحظ زعيم البربر زاوي بن زيري الصنهاجي قوة جيش المهدي، ولاسيما فرسان النصارى، نادى على قومه بالبربرية كما يصفها سعيد المرابط بقوله: "الخيل الخيل فأتكئوا بالرماح على خيول الكفرة، فنكسوهم وردوهم على الأعقاب بعد أن قتل منهم في تلك الورطة نيفاً على ثلاثة مائة فارس، واقتحموا النهر على مخاضه فغرق منهم خلق كثير... وألوت بسائر الناس الهزيمة... وغنم البرابرة المحلة بأسرها وسرادق المهدي وبيت ماله، وغنموا محلة الإفرنجة بأسرها، وحصلوا على ما لا تقدر قيمته"[٤].

ويضيف ابن سعيد المرابط عن دور البربر في هذه الوقيعة بقوله: "أن جماعة من البرابر ذكروا أن الذي حازوه من هذه الوقعة من رؤوس اعداء الله الكفرة خاصة أثر انهزامهم ألف رأس وثلاث مائة سوى الغرقى منهم في النهر وكانوا خلقاً كثيراً...، وعندما سأل عبد الرحمن بن هشام بن سليمان العراقي

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٨/٣؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ٤٢٣/٢٣-٤٢٤؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٣/٤.

(٣) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٦-١٥٧. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١٣.

(٤) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٦-١٥٦-١٥٧. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١٣.

ابن عم سليمان المستعين الذي شهد الموقعة فقال: جمع البرابرة رؤوس من قتلوه في هذا المأقط بحضرتي معدودة وانتهت إلى ألف وخمسمائة وزيادة"[١]، وكما ذكر ايضاً بقوله: "أن الافرنجة كان اعتراضهم بقرطبة عند خروجهم إلى البربر، إلى وادي أره[٢] تسعة آلاف وخمسمائة فارس وبضعة عشر فارس، وأنهم لما انصرفوا من واد أره اعترضوا ثانية عند دخولهم قرطبة فكانوا في خمسة آلاف وخمسمائة والبضعة الزائدة، فكان القتلى والغرقى منهم أربعة آلاف فارس والله أعلم"[٣].

ولما رجع ابن عبد الجبار إلى قرطبة منهزماً، أمر بحفر خندق يحيط بالمدينة وحصنها بسور وراءه استعداداً لمواجهة البربر، بعدما استنفذ جميع اوراقه الحربية، ولاسيما بعد رفض النصارى القتال مع أهل قرطبة مولين الأدبار إلى بلادهم، فيما كانوا البربر في هذا الوقت يغيرون على نواحي قرطبة فلا يخرج إليهم أحد واخذوا الجبل المعروف ببشتر الذي كان يأوي إليه ابن حفصون ويمتاز بوفرة الماء والمرعى والمزارع فزاد ذلك في قوتهم[٤].

وعندئذ أرتأى واضح الفتى هو وطائفة من العبيد العامريين التخلص من ابن عبد الجبار، ثم اخرجوا هشام المؤيد واقعدوه على العرش للمرة الثانية، وكان تنفيذ هذه المهمة في يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وأول عمل قام به هشام المؤيد هو إرسال رأس ابن عبد الجبار المهدي إلى البربر لكسب رضاهم، ودعاهم إلى الدخول في طاعته، ولكنهم رفضوا طلبه لشدة غيظهم مما فعلوه أهل قرطبة بهم، فزادت أعمالهم الانتقامية، فأغاروا على شقندة وفج المائدة وغيرها من المدن والقرى فأفقروها ونهبوا كل ما وجدوه من أموال[٥].

---

(١) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٨. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١٣-٤١٤.

(٢) إقليم من أقاليم الجزيرة الخضراء. ينظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥٢/١.

(٣) ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة- مخطوط رقم ك ١٢٧٥- الخزانة العامة-الرباط- المغرب، ورقة ١٥٩. نقلا عن بوباية، البربر في الاندلس، ص٤١٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٩/٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٤/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٥-١١٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٦/٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٠/٣-١٠١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٤/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٦-١١٧.

وفي سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)، دخل البربر قرطبة ومدينة الزهراء، ثم انتهوا إلى مالقة فعاثوا في نواحيها نهباً وقتلاً، ثم مالوا إلى البيرة فنهبوا وخربوا وسبوا النساء، ثم دخلوا بعدها الجزيرة الخضراء فقتلوا من وجدوه بها وهدموا دورها وسبوا ذراريها وأخذوا الأموال، ثم أمر سليمان بضم السبي إلى دار الصناعة وخلى سبيلهم، ثم ساروا إلى قلعة رباح فملكوها وغنموا ما فيها واتخذوها مستقراً لهم، ثم قطعوا الميرة عن أهل قرطبة حتى اشتد بهم الجوع، ولم يسلم منها إلا طليطلة ومدينة سالم(١).

وكان زاوي بن زيري كما يصفه ابن الخطيب في أثناء الفتنة بقوله: "كبش تلك الحروب، وكاشف الكروب، خادم قومه شهير الذّكر أصيل المجد، المثل المضروب في الدهاء، والرأي، والشجاعة، والأنفة، والحزم"(٢) بل زاد على ذلك بقوله: "ليث الحروب، وفل الوقائع، ورجل القبيل قاطبة دهاءً وحزماً وصبراً وإقداماً ورأياً"(٣).

وفصل في ذلك ابن خلدون بقوله: "كان زاوي كبش تلك الوقائع ومحش حروبها، وتمرّس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناتة والبربر حتى ثبتوا قدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الّذي بايعوه وبذلوا له الطاعة... ثم اقتحموا به قرطبة عنوة واصطلموا عامّة أهلها وأنزلوا المعرات بذوي الصون منها وبيوتات الستر من خواصّها، فحدث الناس في ذلك بأخبارها، وتوصّل زاوي عند استباحة قرطبة إلى رأس أبيه زيري بن مناد المتصور بجدران قصر قرطبة فأزاله وأصاره إلى قومه ليدفن في جدثه"(٤)، الذي كان مقتله يوم الخميس العاشر من رمضان سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، بالقرب من الملوية وأحتز الزناتيون رأس زيري بن مناد وأرسلوه إلى سلطانهم في الأندلس الحكم بن عبد الرحمن المستنصر(٥).

وسار قوم من البربر من جيان إلى بلنسية فأغاروا عليها وحازوا منها خمسمائة فرس كانت للسلطان، وثلاثمائة رجل من وجوه الجند والكتاب والعمال الذين كانوا بها، ومِنْ ثَمَّ خرجوا من جيان إلى

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٦/٧-٥٦٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠١/٣-١٠٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢٤/٢٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٧.

(٢) الاحاطة، ٢٩٤/١-٢٩٥.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٢٣٩/٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٤-٢٥.

أرملاط في جمادى الآخرة، وقد ملؤوا ايديهم من البقر والغنم حتى عجزوا عن ضبطه، فكان جياع أهل قرطبة يسيرون ليلاً على رعاة متفرقة فيأخذون منها ما قدروا عليه فلا يتورع عن شرائها كبير ولا صغير، ثم كمن لهم البربر فقتلوا منهم في كل ليلة العشرة والعشرين والثلاثين، إذ قتلوا منهم في ليلة واحدة أكثر من مائة رجل، فكفوا أيديهم عن سرقة غنم البربر ومواشيهم(١).

وعندما طال حصار البربر لمدينة قرطبة التي ذاقت الأمرين كما بيناه سابقاً من قلة الغذاء وغلاء المعيشة، مما دفع أهل الثغور بمكاتبة أهل قرطبة، أما أن تصالحوا البربر وأما أن تجدوا في حربهم فأنه لا طاقة لنا ولا لكم بهم، وعلى إثر ذلك حضر الوزراء والفقهاء وأرباب الدولة لدى القصر وتشاوروا مع هشام المؤيد الذي كتب بدوره كتاباً إلى زاوي بن زيري يطلب فيه الصلح بين الطرفين ويعده بمكافئة له على اتمام كل ما شرطه لنفسه ويبذل له كل ما يريد من مال وولاية(٢)، فرد عليه زاوي بن زيري بجواب نابع من حكمته وسياسته، قاطعاً عليه زرع بذور الفرقة والانقسام بين صفوف معارضيه من البربر، إذ ربط موافقته على عقد الصلح بتأييد جميع زعماء البربر المنضوين تحت راية سليمان المستعين بقوله: "أما نقض عهد سلطاني ومخالفة أصحابي فلا سبيل إليه، وأما السعي في الإصلاح فأني ابذل ما بوسعي في تأليف كلمة المسلمين فوالله لا قصرت فيه حرماً مني على ما يقربني إلى الله من قطع الفتنة وحقن الدماء واصلاح ذات البين"(٣).

ويرى أحد الباحثين أن مراسلة الخليفة هشام لزعيم صنهاجة في شأن تحقيق الصلح بين الطرفين تؤكد مكانة البربر في صفوف المعارضة، على الرغم من وجود خليفة ثاني مبايع من قبل المغاربة إلا أن هشام اتصل مباشرة بزاوي بن زيري الصنهاجي لعلمه أن معظم الجند يدينون له بالطاعة، فإذا وافق على الصلح أيده في ذلك بقية زعماء البربر(٤).

وبعد فشل الصلح كاتب وجهاء أهل قرطبة بكتابين مرة ثانية في سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، أحدهما عن هشام المؤيد إلى سليمان المستعين بالله، والآخر من وزراءه إلى وزراء البربر وعلى رأسهم زاوي بن زيري الصنهاجي لاستعطافهم والترغيب في قطع دابر الفتنة، وذلك بتسليم الأمر إلى هشام المؤيد فهو

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٠٥-١٠٦؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٠٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٠٨.

(٤) بوباية، البربر في الاندلس، ص٣٣٩.

أولى به لبيعته التي في رقاب الناس قبل بيعة غيره، على أن يكون سليمان ولي عهده ومدبر أمره والقائم بأعباء الخلافة عنه، وعندما وصل كتاب هشام إلى سليمان وقرأ كتابه من عبد الله هشام بن الحكم أمير المؤمنين إلى سليمان بن هشام، إلا أن المستعين رفض هذا العرض جملةً وتفصيلاً مستهزءاً بكتاب هشام المؤيد، إذ عدّ نفسه أولى بها منه، فأتبع وزراء البربر خليفتهم، ومزقوا الكتب الموجهة إليهم(١).

وفي آخر شهر ذي الحجة سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، نزل البربر بغربي الوادي الكبير بقرطبة، يتقدمهم وزراء البربر وعلى رأسهم خزرون بن محمد وحباسة بن ماكسن ابن أخي زاوي بن زيري، فارس صنهاجة طراً وفتاها، وكان يحتقر أهل قرطبة ولا يعبأ بهم لشجاعته وبسالته، وكان ذو شهامة وهيّبة، كريماً في قومه، أبيّاً في نفسه، صدراً من صدور صنهاجة، وكان أشجع من أخيه حبّوس، فقاتل قتالاً شديداً في وقعة رمداي(٢).

وقد ذكر ابن عذاري عن هذه الحادثة بقوله: "ثم صار حباسة إلى مكان ليس فيه قتال فنزل عن فرسه ومعه خيل قليلة نزلوا معه وسرحوا دوابهم، فإذا بجمع عظيم من أهل قرطبة عاينوهم من وراء الخندق وهم آمنون قد نزعوا لجم دوابهم فأنقضوا عليهم، وكانوا سبعين فارساً والبربر خمسة فقاتلوهم وقتلوا من اهل قرطبة عدداً كثيراً، ثم طعن حباسة فوقع صريعاً عن فرسه وهرب عنه أصحابه فأخذ اسيراً، فلما عرفوه قتلوه وقطعوه قطعاً صغيرة وتهادوا لحمه فأكلوه، لما كان أكثر من قتلهم وما جربوه من شجاعته وشدة بأسه ولو أنهم عرفوه قبل أخذه لما تجاسر عليه أحد"(٣)، وزاد ابن الخطيب في ذكر هذه المأساة بقوله: "فاحتزّوا رأسه، وعجّلوا به إلى قصر السلطان، وأسلموا جسده للعامّة، واجتمعوا إليه اجتماع البغاث على كبير الصّقورة، فجرّوه في الطرق وطافوا به الأسواق، وقطعوا بعض أعضائه، ونكلوا بجثته، ثم أوقدوا له ناراً فحرقوه بها جرياً على ذميم عادتهم، في قبح المثلة"(٤).

من الواضح من خلال هذا النص بشاعة قتل حباسة بن ماكسن والتمثيل بجثته ما بين تقطيع أوصاله وشواء ما تبقى منها وأكله، لا يمثل إلا الحقد الذي حمله أهل قرطبة الموالين لهشام المؤيد حقداً وانتقاماً من زعيم البربر زاوي بن زيري الصنهاجي الذي فوت الفرصة على هشام المؤيد، عندما أرسل إليه

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٩/٣.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١١/٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٧٣/١.
(٣) البيان المغرب، ١١١/٣-١١٢.
(٤) الاحاطة، ٢٧٤/١.

كتاباً بغية زرع بذور الفتنة بين زعماء البربر الموالين لسليمان المستعين، عبر شق عصا الطاعة له من قبل الصنهاجيين من جهة، ومن جهة قد نرجح أن مقتل ابن ماكسن بهذه الطريقة ما هي إلا رسالة مبطنة كان قد أرسلها هشام المؤيد عبر اتباعه والموالين إليه في قرطبة، بامتلاكه زمام المبادرة ومباغتة العدو واليد الطولا التي مكنته من قتل كبار قادة البربر عامة والصنهاجيين خاصة، بسبب ولائهم لعدوه المستعين ولا يستثنى من ذلك زاوي بن زيري الصنهاجي.

وما أن علم عمه زاوي بن زيري وأخيه حبوس وأهل بيته بمقتل حباسه بتلك الطريقة البشعة من قبل أهل قرطبة الموالين لهشام المؤيد، جزعوا عليه جزعاً شديداً وبلغ على جميع البرابرة الحزن عليه، ورأت أن دماء أهل قرطبة جميعاً لا تعدله، وباتوا مستعدين للقتال ثأراً له وانتصاراً لدمائه(١).

ولما أصبح اليوم التالي قاتلوا أهل قرطبة قتالاً شديداً لم يسمع قط بمثله، فكمن لهم البربر الكمائن وتظاهروا بالهزيمة، فطمع جند قرطبة بالخروج فناوشوهم القتال حتى أخرجوهم عن خنادقهم، فطوقوهم واتبعوهم بسيوفهم يحصدون رؤوسهم، فكانت الهزيمة نكراء على أهل قرطبة الذين طلبوا الأمان، لهول ما اصابهم بعد اقتحام البرابرة أرباض قرطبة عنوةً، في يوم يَجُلُّ عن الوصف، ويشذُّ عن العبارة، من استيلاء السيف والسبي والنار والتخريب، ولجأ من تأخر أجله إلى المدينة، في وقتها خرج القاضي ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سليمان وزعماء القبائل البربرية، وطلبوا منهم الأمان فآمنوهم وطلبوا منهم أموالاً عظيمةً فوق طاقتهم، وملك البربر يوم الأحد الخامس والعشرين من شوال سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)(٢).

ثم بايع أهل قرطبة سليمان المستعين للمرة الثانية في يوم الأثنين السادس والعشرين من شوال سنة (٤٠٣-٤٠٧هـ/١٠١٢-١٠١٦م)، وأول عمل قام به هو استدعاء هشام المؤيد بالله وتوبيخه على ما صدر منه، إذ قال له: "أما كنت تبرأت لي من الخلافة، وأعطيتني صفقة يمينك فما حملك على نقض عهدك، وحللت عقدك، فأعتذر إليه بأنه مغلوب على أمره، ثم تبرأ من الخلافة وسلم الأمر إليه وخلع له نفسه"(٣).

وفي الوقت نفسه أخبر رجل من أهل قرطبة حبوس بن ماكسن بقاتل أخيه، على حدِّ قول ابن عذاري: "وعند دخوله قرطبة أتى إلى حبوس بن ماكسن رجل من أهل قرطبة، فعرفه بقاتل أخيه فركب في

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٢/٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٧٤/١.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٢/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٨.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٣/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٩.

بعض أصحابه، ودخل المدينة وأهلها ينظرون إليه نظر المغشي عليه من الموت حتى أتى إلى دار قاتل أخيه فأستخرجه وقتله، وأضرم داره ناراً وحرقها ووجد له مالاً فأخذه، ومن جملة ما وجد له أربع عشر جارية وفرشاً مثيرة وسلاحاً وافرة وأستخرج أخاه فما وجد إلا عظامه وقد أكل لحمه"[١]، وهاله المنظر وزاد في حقده على أهل قرطبة فأقسم، وقال: "والله لا كان عندي أمان لعبد من عبيد بني أمية أبداً فخافه الناس وهرب كثير منهم وأسلموا ديارهم وأموالهم، فأحتوى البربر عليها واقتسموا البلد بين أنفسهم وملكوه لا ينازعهم فيه أحد إلا قتلوه ولا يمتنع عليهم موضع إلا حرقوه وخربوه"[٢].

ولم يكن بوسع سليمان أن يمنعهم كونهم اصبحوا هم الحاكمين في دولته لا يقدر على خلافهم، كما كانوا عامة جنده، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه[٣].

واستمرت أعمال القتل والنهب والسلب إلى غاية سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، بحسب ما ذكره ابن عذاري بقوله: "وفي هذه السنة كفَّ البربر أيديهم عن أهل قرطبة"[٤]، ويرى أحد الباحثين السبب في كف ايديهم عن أهل قرطبة، عندما بادر الخليفة سليمان المستعين بالانتقال إلى مدينة الزهراء، وجعلها مستقراً ومقاماً له، مخافة انقلاب البربر عليه كما انقلبوا سابقاً على عبد الرحمن شنجول حاجب هشام المؤيد، ومن خلال ذلك أراد إبعادهم عن قرطبة والاحتكاك بأهل العاصمة للأحقاد والضغائن الموجودة بين الفريقين، كما أنّه منح البربر أجزاء من بلاد الأندلس، ويمكن عدّه بمثابة المكافأة لهم مقابل ما قدموه من خدمة له، فمن دونهم لم يكن بمقدوره أن يعتلي عرش الخلافة"[٥].

وعندما استقر في مدينة الزهراء قسّم المستعين بالله بعض كور الأندلس على القبائل البربرية عرفاناً لهم بالجميل لما قدموه من تضحيات جسيمة، وكانوا ستة، فأعطى صنهاجة من بني زيري بن مناد البيرة، إذ بقيت بيد حبوس بن ماكسن بن زيري وذريته حوالي مائة سنة، وأعطى مغراوة جوفي البلاد،

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١١٥.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١١٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/٥٩٠.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١١٥.
(٥) بوباية، البربر في الأندلس، ص٤٢١-٤٢٢.

وبني برزال وبني يفرن جيّان وذواتها، والمغاربة وبني دمر وازداجة شذونة ومورور، وولي علي بن حمود على سبتة، والقاسم بن حمود على مدينة طنجة وأصيلة[١] والخضراء[٢].

وبذلك يكون المستعين قد ردَّ الجميل لصنيع البربر معه ونزل عند رغبتهم في الحصول على موطن يوفر لهم ولأهليهم الأمن والاستقرار والحياة الكريمة على حدٍّ قول ابن الخطيب: "ولما استقر صاحبهم بمقر الخلافة، وفي أيديهم زمامه ولحكمهم يرجع نقضه وإبرامه، طلبوه بالبلاد التي يحرزون بها أولادهم وحرمانهم، ويرجعون إلى فوائدها في حاجات أقواتهم، إذ لا يأمنون على أنفسهم تمالؤ البلدين في زمن من الأزمان، فكان زاوي بن زيري من استأثر بكورة البيرة وجيان"[٣].

ويعزي أحد الباحثين انقسام دولة الأندلس إلى دويلات صغيرة، إلى سوء إدارة المؤسسة العسكرية التي اعتمدت على العنصر البربري الذي بدوره انطوى على خطرين عظيمين : أحداهما أن استخدام هذه القوات معناه أن الارستقراطية العربية الأندلسية لم تعد تهتم بشؤون الحرب، وركنت إلى استئجار من يتولون القتال عنها، والثاني: وهو الأكثر خطورة، هو انقلاب زمام هؤلاء المرتزقة والأرقاء من بعد وفاة المنصور، فانقلبوا على الرعية المدنية مع أنهم نظموا في الأصل من أجل الدفاع عنها[٤].

وتولّى الحاجب المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري امارة غرناطة من سنة (٤٠٣-٤١٠هـ/١٠١٢-١٠١٩م)، الذي يعد أول حاكم سكن هذه المدينة سكن استبداد، وصيرها دار ملكه ومقر أمره من أسرة بني زيري بن مناد الصنهاجية التي حكمت في الأندلس بكورة غرناطة ومعاقل كثيرة منها

---

(١) بلد بغربي طنجة وهي مدينة كبيرة قديمة عامرة آهلة كثيرة العيون والثمار والخصب. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧٩٠/٢-٧٩٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٠/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٣/١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٢/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١١٩؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٤/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٤٠-٢٤١.

(٣) اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٨.

(٤) لويس، ر . ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠م)، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٥١م، ص٣٢١.

مدينتي قبرة وجيان التي غلب عليهما حبوس بن ماكسن وتملكهما[١]، وحصن آشر(Asher)[٢] من الغَرب[٣].

ولما طاعت البلاد لقبيلة صنهاجة، اجتمع رأيهم على أن يتقاسموها فيما بينهم، وكانت عادة في البربر، كي لا يأنف أحدهم مما يصير إلى أخيه، فكانت البيرة تحت حكم زاوي، وحصن آشر مع مدينة جيان تحت حكم ابن أخيه حبوس بن ماكسن، وتعاقد جميعهم على أن طرق العدو جهة صاحبه، يكون الآخر يحميها بنفسه ورجاله[٤].

وذكر ابن بلقين في هذا الصدد: "أن سلاطين صنهاجة وبنو زيري استقر رأيهم بعد التشاور على ترك الأندلس، فهموا بالرحيل عنها والجواز إلى العدوة ليرجعوا إلى مستقرهم، بعد أن رأوا اقتطاع كل أمير في بلد لنفسه، وذهاب ما كانوا عليه من عز وأثر"[٥].

لكن أهل البيرة "كانوا من أجبن الناس وأخوفهم على مدينتهم، لا يستطيعون على قتال أحد، إلا بمن يحميهم ويذبُّ عنهم، فلما بصروا باختلاف سلاطين الأندلس، وأنها اضرمت ناراً، وتوقعوا أن يتخطفهم الناس توجهوا إلى زاوي بن زيري وشكوا ضعف حالهم وخاطبوه هو وقومه بقولهم: إن كنتم جاهدتم قبل اليوم، فهذا الجهاد أكد عليكم: أنفس تحيونها، وديارٌ تحمونها، وعزة تأوون إليها ونحن شاركناكم بأموالنا وأنفسنا: لكم منا الأموال والسكنى، ولنا منكم الحماية والذب عنا"[٦]، ووافق أهل البيرة على قولهم، واستبشروا بهم خيراً، حفاظاً على أنفسهم من الغدر لتشتتهم، ورجوع أمرهم كلّه إليهم، فأتوهم محتشدين متألفين، قد انقطع إليهم كل من انتمى من البربر وتعلق بهم، ونزلوا ساحتهم وحيوهم بالتحف والأموال، وشاركوهم أحسن مشاركة، راضين بهم لا ساخطين[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٤/٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١ ابن خلدون، العبر، ١٩٤/٤.

(٢) يقع الى الجنوب الشرقي لحصن ورطة، على ضفة رافد من روافد نهر شنيل، وهو حصن حسن حصين كثير العمارة آهل وله سوق مشهودة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢؛

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٣٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤٠/١.

(٤) ابن بلقين، التبيان، ص٣٤.

(٥) التبيان، ص٣٣.

(٦) ابن بلقين، التبيان، ص٣٣.

(٧) ابن بلقين، التبيان، ص٣٤.

وكما ذكر ابن بلقين أن زاوي بن زيري جمع أهل كورة البيرة مرة ثانية لما بلغه احتشاد أهل الأندلس ومبايعتهم للمرتضى فقال لهم : "نحن لم نأتِ لفساد دياركم، ولا قهرناكم على استيطانها، وإنما كان ذلك على اختياركم لنا، وهذه الفئات مقبلةٌ لطلبنا: فأن استوثقنا منكم، دافعنا عنكم، وإن كانت الأخرى، فأعلمونا: نمض عنكم على أجمل وجهٍ، فلن نعدم الخير بسيوفنا فأجابهم القوم: اثبتوا في قتال عدوكم والدفاع عنَّا وعن أنفسكم فنحن رعيتكم الطائعة وأسيافكم القاطعة"(١).

ورأى زاوي أن البيرة سهلة المنال، لا يمكنها مقاومة العدوان الخارجي، لوجودها في مكان منبسط من الأرض(٢)، فقرر الرحيل عنها بقوله: "إذا كان هذا رأيكم، فأرى من الصواب أن نرحل عن هذه المدينة، ونختار لأنفسنا فيما يقرب منها معقلاً نأوي إليه بأهلينا وأموالنا والحرب سجال يصيب عندها ولا يصاب"(٣).

وقالت صنهاجة بجمعها لأهل البيرة: "لسنا نكلفكم من الأموال ما تسرعتم به، إلا أن تنفقونها فيما يخصكم من تقوية مدينتكم بحشود رجَّالةٍ منكم، تنفقون عليهم ليكونوا بها لكم أعواناً: تصرفونهم حرساً وجواسيس، وتحملون من تعرفون أنه يستطيع على الجندية، أو تبنون لأنفسكم سوراً لا يتوقع بتركه ثلمةٌ تدخل بها الداخلة عليكم، وأما سوى ذلك مما يخصنا نحن فأعلموا أنه لم نأتِ الأندلس إلا وأجلبنا مع أنفسنا من الأموال ما لا نحتاج فيه إلى أحد، بانين على الإقامة إن اضطررنا إليها، ولم نأتها عن فاقةٍ ولا سعاية، إنما جئناها رغبة في الجهاد وأن تكون كفايتُنا التي شهرنا بها على العدوِّ دون سائرهم، وأن نفني مِنْ باقي أعمارنا في طاعة الله، إلى أن دفعتنا الأقدار إلى ما ترون، ونَحْنُ لم نطلب أحداً، ولا تعدينا على بشرٍ، وهؤلاء باغون متطاولون ومن قتل دون ماله وأهله فهو شهيد"(٤).

فرضى القوم من رأيهم، فوقعت أعينهم على بسيط جميل، قد جمع الأمطار والأنهار والأشجار والبساتين والفواكه، إذ لا تجري بها الريح إلا نادراً لأكتناف الجبال إيّاها، وجميع ما يليها من البلد كله

(١) التبيان، ص٣٥.
(٢) ابن بلقين، التبيان، ص٣٣.
(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٣٥.
(٤) ابن بلقين، التبيان، ص٣٥-٣٦.

يسقى من وادي شنيل (Guadaxenil)[١]، المنحدر من جبل شُلَيْر (Sierra Nevada)[٢] في جنوبها، فبنو في هذا البسيط الذي يحجبه الجبل مدينة غرناطة موسطة للبلد كلها محصنة لا يطيق العدو على حصارها، فظهرت إلى الوجود غرناطة في كل ما يحتاج إليه الناس من المرافق، فشرعوا في بنيانه وتولى كل أمرئٍ منهم إقامة داره من أندلسّي وبربريّ، وخربت عند ذلك البيرة [٣].

وقد زاد في وصف غرناطة ابن الخطيب بقوله: "حجبت الجنوب عنها الجبال، فأمن الوباء والوبال، وأصبح ساكنها غير مبال، وفى جنة من النبال، وانفسحت للشمال، واستوفت الشروط على الكمال، وانحدر منها مجاج الجليد على الرمال، وانبسط بين يديها المرج الذي نضرة النعيم لا تفارقه، ومدارى النسيم تفلى بها"[٤].

وقد انصبت جهود بني زيري في بناء مدينة غرناطة التي استحدثها زاوي وبدأ اعمار غرناطة بالساكنة "سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) فصارت غرناطة حاضرة الصّقع وأمّ المصر لحصانة وضعها وطيب هوائها ودرور مائها ووفور مدتها، فأمن فيها الخائف... فانقلبت العمارة إليها فأصبحت حاضرة السلطان وقبّة العدل والإحسان لا يعدلها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يضاهيها في اتّساع عمارتها وطيب قرارتها[٥]، ولكي تكون درعاً حصيناً في بداية حكمهم، فحلت محل البيرة التي خلت وخربت، وقد

(١) نهر الثلج أحد فروع نهر الوادي الكبير بالأندلس، الذي يمر من مدينة غرناطة، فينحدر من جبل شلير بجنوبها، وهو طود شامخ لا ينفكّ عنه الثلج شتاء ولا صيفا، فهو لذلك شديد البرد، وغرناطة كذلك في الشتاء بسببه، إذ ليس بينها وبينه سوى عشرة أميال، ويمرّ شنّيل على غربي غرناطة إلى فحصها يشقّ منها أربعين ميلا بين بساتين وقرى، وينتهي فحصها إلى لوشة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٤/٢، و ٥٦٩؛ العمري، مسالك الأبصار، ٢٢٧/٤-٢٢٨؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص٤٧؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ٢٢٠/٤.

(٢) جبل الثلج المشهور بالأندلس، من أعمال البيرة، وهو متصل بالبحر المتوسط، ينتظم بجبل ريه. ينظر: ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٨-١٣٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٧/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٣.

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٣٦؛ العمري، مسالك الأبصار، ١١٦/٤-١٢٠.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص١١٧.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٤/١، و ٢٣٨.

كانت من قبل حاضرة كورة البيرة، فهي مدينة رومانية، كانت تسمى أيام الرومان إليبوريس (Iliboris)[١].

إذ كان تعمير المدينة قد بدأ عندما وضع زاوي الصنهاجي قدمه فيها، وبهذا يمثل عهده النواة الأولى في تأسيسها وإعمارها بالساكنة، وسيتواصل ذلك عبر عهود خلفائه باستمرار، فأن بناءها لم يكتمل عندما غادرها عائداً إلى القيروان سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م)، إذ حصن خليفته حبوس بن ماكسن الصنهاجي اسوارها وبنى قصبتها، فكملت فأنتقل الناس إليها، ثم زاد في عمارتها ابنه باديس من بعده[٢]، وأصبحت مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر[٣].

ومما لا شك فيه أن أكبر عدد منهم انتقل إليها في عهد زاوي بن زيري، ثم تتابع تدفقهم إليها خلال الحقبة التي حكم فيها حبوس بن ماكسن، فأتسعت وعمرت نواحيها بالمباني، وتكونت خارجها احد عشر ربضاً، وهي ربض البيازين (Albaicin)، وربض البيضاء، وربض الفخارين، وربض قمارش، وربض المنصور، وربض الأجل، وربض الرملة، وحي غرناطة، والحي المعروف بغرناطة اليهود، وربض النجد، وربض المرابطين[٤].

وفي سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، أرسل علي بن حمود الإدريسي من سبته إلى مالقة كتاباً، اظهر نسبه إلى هشام بن الحكم المؤيد بالله، يعيّنه فيه وليّاً لعهده ويطلب منه أن ينقذه من أسر البربر والمستعين، وإنْ قُتلتُ فعليك بأخذ ثأري وأنت وليّ عهدي[٥]، وما يؤيد ذلك ما أورده ابن بسام بقوله: "وكان هشام بن الحكم عندما رآه من اضطراب أمره وتيقنه من انصرام دولته صيرّ إلى علي بن حمود ولاية عهده، وأوصى إليه بالخلافة من بعده، وراسله إلى سبتة بذلك سراً وولاه طلب دمه واستكتمه السّر فيه إلى أوانه وبلوغ زمانه، هائجاً للحفائظ القرشية، ومحرّكاً للطوائل الطالبية"[٦].

---

(١) طويل، مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان،١٩٩٤م، ص٥٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢؛ المقري، نفح الطيب، ١٥٠/١.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ١١٦/٤.

(٤) طويل، مملكة غرناطة، ص٢٤-٢٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٦/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٢١.

(٦) الذخيرة، ١/ ٣٧-٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٤/٣.

وكان السبب في اخراج هذا الكتاب لطمع علي بن حمود في حكم الأندلس لما رأى من الاختلاف بين خيران العامري والخليفة سليمان المستعين، وعلى أثر ذلك الكتاب أخذ خيران يكاتب الناس، ويأمرهم بالخروج على سليمان فوافقه جماعة من أصحابه منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد وهو بمالقة فأسرع بمكاتبة خيران العامري صاحب مدينة المرية وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن صاحبي مدينة غرناطة، يدعوهم بالخروج على المستعين بالله، إذ أرسل لهم كتاباً مزيفاً يذكر فيه كما بينا أن المؤيد كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره إنْ هو قُتِل فدعا لعلي بن حمود بولاية العهد(١)، وعندما قرأ الكتاب كل من خيران العامري وزاوي بن زيري، كاتبوه على الفور بالقدوم من سبتة إلى موضع يعرف بثغر المنكب ما بين مالقة والمرية من أجل وضع خطة تمكنهم من تحقيق هدفهم المشترك المتمثل في دخول مدينة قرطبة والتخلص من سليمان المستعين في سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)(٢)، وقبل ذلك كان ابن حمود قد ضمن حياد صنهاجة وزعيمها زاوي بن زيري المستقرين في غرناطة واحوازها منذ سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وذلك بإقرارهم على ما بأيديهم من الأراضي مقابل مساعدته في محاربة خليفة قرطبة(٣)، وهذا ما أكده ابن عذاري بقوله: "ولما وصل علي بن حمود من سبتة إلى مالقة، أظهر إنه ما وصل إلا لنصرة هشام المؤيد فأنحاش إليه جماعة من الناس، وجاءه خيران العامري وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن بن زيري وإخوته وبنو عمه الصنهاجيون فعظم شأنه وقوي أمره وحارب بهم سليمان الذي كان البربر اقاموه خليفة"(٤).

ويرى دوزي أن دخول زاوي بن زيري في ذلك التحالف كان له أثر كبير في نفوس البربر الموجودين في جيش سليمان المستعين ، والذي أرسلهم لمحاربة منافسيه ، فلم يقاتلوا، ولاسيما إن علي بن حمود استطاع أن يضمن ولاء القادة من جند المستعين عن طريق الرشوة(٥).

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ٣٧/١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤-٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤١؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٤١.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٦/٣؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٤٥/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥٩/٢٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣١٧/١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٢١.

(٣) بوباية، البربر في الأندلس، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٠/٣.

(٥) المسلمون في الأندلس، ١٩١/٢-١٩٢.

وجمع الزعيمان قواتهما ونظما خطتهما للزحف على قرطبة، وبويع علي بن حمود على طاعة المؤيد الأموي، ثم سارت القوات المتحدة صوب العاصمة، وفي طريقها إلى الحضرة أنضمّ إليهم زاوي بن زيري وحبوس الصنهاجي في قوة من بربر غرناطة، وكان سليمان المستعين قد وصلت إليه أنباء أولئك المجتمعين وزحفهم لقتاله، فخرج من قرطبة للقائهم في جند البربر، والتقى الفريقان في ظاهر قرطبة على بعد عشرة فراسخ(١) منها، ونشب القتال بينهم انتهت بهزيمة سليمان والبربر، وقُتِل منهم عدد خلق كثير، وأُخذ سليمان المستعين أسيراً فحُمِل إلى علي بن حمود ومعه أخوه عبد الرحمن وأبوه الحكم بن سليمان، ولما رأى ابن حمود أن هشام المؤيد قد قُتِل وأطلع على جثته بعد أن نُبِش قبره، أمر بقتل سليمان وأبيه وأخيه في السابع من محرم سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)، وبهذا خلت الساحة إلى علي بن حمود في قرطبة، ودعا الناس إلى بيعته فبُويع وتلقب بالناصر لدين الله(٢)، وذكر ابن بسّام فرحة زاوي بن زيري بقتل سليمان المستعين الأموي بقوله: "أن زاوي استوهب من علي بن حمود، يوم قتل سليمان بن الحكم رأسه، حنقاً على بني مروان المُهدى إليهم رأس زيري والده، وأنه أسعفه بذلك، فصار عنده، ونقله من الأندلس معه في ذلك الوقت مفتخراً به على أهل بيته، فإن يكن ذلك حقاً فزاوي أكبر من أدرك الثأر المنيم، ودحض العار المقيم"(٣).

ويرى دوزي أن نقمة الأندلسيين في قرطبة، كانت تشتد على سليمان المستعين لأسباب عديدة منها: أنه بلغ العرش على أكتاف البربر ونصارى مملكة قشتالة، وسيطرة البربر والصقالبة على مدن البلاد العظيمة التي أقرهم فيها للتمتع بأموالها، وفظاظة جنده من البربر في قرطبة، الذين قصرت يده عن أن تنالهم بالعقاب، ولاسيما أن خضوعهم له كان مرهونا بإطلاق يدهم على وفق ما يشتهون(٤).

---

(١) الفرسخ: هو لفظ فارسي معرب وأصله فرسنك، مقداره ثلاثة أميال إثنا عشر ألف ذراع ٥٥٤٤ متراً، أي طول الفرسخ حوالي ٦ كم ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٥/١-٣٦؛ هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية- عمان، ١٩٧٠م، ص٩٤.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ٤١/١-٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧-٦١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٦/٣-١١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥٩/٢٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣١٧/١، النويري، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ٤٣١/٢٣.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٩/٣.

(٤) المسلمون في الأندلس اسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٤م، ١٨٩/٢.

إلا أن خيران العامري الذي كان طامعاً في أن يجد هشام المؤيد حياً، لكن آماله خابت عندما وجده مقتولاً، وفي الوقت نفسه جاءت إليه أخبار أن علياً يريد قتله فخرج عن قرطبة متمرداً على الخلافة إلى شرق الأندلس، وأعاد الدعوة إلى بني أمية من جديد وانضم إليه العدد من ولاتها ومنهم منذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة والثغر الأعلى وأهل شاطبة وبلنسية وطرطوشة والْبُنْتَ، فوجد ضالته في عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الأموي، الذي كان قد هرب من قرطبة مستخفياً إلى جيان داعياً إلى نفسه، فاستدعاه خيران في مكان يعرف بالرياحين ومعهم الفقهاء والعلماء وبايعوه بالخلافة وتلقّب بالمرتضى وأعلن ثورته على علي بن حمود الحسني الإدريسي وانضمت إليه معظم مناطق شرق الأندلس كما بيّنا، وزحف باتجاه غرناطة في سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)[١].

وما أن علم الخليفة علي بن حمود بهذا التجمع، تجهز للمسير نحو جيان لقتال من فيها من عسكر خيران، وفي هذا الوقت كان أهل قرطبة يتطلعون للمرتضى حتى غيّر ابن حمود سياسته تجاههم، فبدّل اللين بالشدة والغلظة، وأذاقهم الذل وأراهم القهر بالظلم والطغيان، وألزمهم مغارم عسيرة وانتزع السلاح منهم، وهدم دورهم، وقبض أيدي الحكام عن إنصافهم، وأغرم عامتهم، وتوصل إلى أعيانهم بأقوام من شرارهم، ففتحوا له أبواباً من البلايا أهلك بها الأمة، وتقربوا إليه بالسعاية فضاقوا به، وابتهلوا إلى الله بالدعاء عليه، فسلّط الله عليه ثلاثة من صقالبة بني مروان كانوا أقرب الناس إليه تسللوا عليه بالحمّام، فقتلوه في ليلة السبت أول ذي القعدة سنة (٤٠٨هـ/١٠١٨م) فعاد العسكر إلى قرطبة[٢].

وقد شجع موت ابن حمود الخليفة الأموي المرتضى المسير إلى قرطبة والتفّ حوله أكثر أمراء الطوائف، فكان في مقدمتهم خيران العامري وصاحبه زهير العامري، ومنذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة والثغر الأعلى، واسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون صاحب طليطلة، واتفقوا على أن يزحفوا بالمرتضى على قرطبة لينصبوه خليفة عليها مكان القاسم بن حمود الادريسي[٣] إلا أنه عرج على غرناطة

---

(١) ابن حزم، رسائل، ٣٨/١ و ٥٨/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧-٦١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥٩/٢٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣١٧/١-٣١٨. للمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ١٢٤/٢.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢؛ ابن بسام الذخيرة، ٩٧/١، ٩٩-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٨/٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٦؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٤٦/٢.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٦/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٧/٧-٦١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢١/٣-١٢٥؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣٠-١٣١؛ المقري، نفح الطيب، ٤٨٤/١-٤٨٥.

متيقناً هو ومن كان معه إنهم في حال وصولهم ستكون لهم الغلبة، بحكم كثرة عددهم الذي تجاوز الأربعة آلاف فارس(١)، فلما شارفوا الوصول على مقربة من غرناطة بعثوا بكتاب إلى زاوي بن زيري، يدعونه إلى الطاعة والامتثال لأمرهم بالاستسلام ويكونوا تحت قيادتهم، مقابل ذلك يمنحون الأمان للإبقاء على حياتهم والعودة إلى كنف الجماعة، فلما قُرِئَ على زاوي كتاب المرتضى، جمع رجاله وخاطب ابن أخيه حبوساً يأمره بالقدوم عليه، فأتى في جميع عسكره، ودخل المدينة أمام أعينهم، غير مذعور ومتخوف منهم، واجتمع بغرناطة من صنهاجة دون الألف من خيرة الخيرة، وأعصوصبوا بأميرهم زاوي بن زيري فأحتضنوه بأسرهم، فكان لهم كبش الحروب، ومهون الكروب والدولة تسعده، والمقدار ينجده، ثم قال لكاتبه اكتب على ظهر رقعته: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ))(٢)، لا تزده حرفاً(٣).

فلما بلغت المرتضى هذه الرقعة، ردَّ عليه بكتاب فيه الإنذار والتهديد والوعيد بالقتل والتشريد والسبي، وعندما قرئ على زاوي قال لكاتبه لا تزد شيئاً على ما أملي عليك، اكتب قوله تعالى: ((أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرتُمُ ٱلمَقَابِرَ كَلَّا سَوفَ تَعلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوفَ تَعلَمُونَ كَلَّا لَو تَعلَمُونَ عِلمَ ٱليَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَينَ ٱليَقِينِ ثُمَّ لَتُسـَٔلُنَّ يَومَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ))(٤)، فلما ورد الجواب عليه، أزاد المرتضى غيضاً ويئس منه وعجب من دهائه وقال: "أن هذا الرجل لم يأبَ الطاعة لنا، إلا أنه واثق بنجدته وبمن معه، أو مُوَطِّنٌ على الموت"(٥).

ولم يجد المرتضى حلاً سوى الزحف نحو زاوي والبربر المنضوين تحت قيادته، فتقدم إلى مُلاقاتهم، فأمر زاوي قومه بالثبات، حتى يبدو له ما هم فيه، فقالوا بأجمعهم "لا خير لنا في غير ملاقاتهم، إذ قد ايقنا بأنَّهم لا ينفعنا معهم شيءٌ إلا الظفر بهم أو الموت على أيديهم، ولا مهرب لنا في

---

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٣٧؛ ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٣/١-٤٥٥.

(٢) سورة الكافرون، آية ١-٢.

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٣٧، ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٣/١-٤٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٥/١.

(٤) سورة التكاثر، آية ١-٨.

(٥) ابن بلقين، التبيان، ص٣٧؛ ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٤/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣-١٢٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٥/١.

الأرض دون قتالهم إن بقينا لم يبارحونا، وحاصرونا مع رعايانا إن لم يروا منَّا دفاعاً عنه، فإما هُلكٌ وإما ملك وأنَّ موتنا في مُلاقاتهم بعد إبلاء العذر، أحب الينا من تغلُّبهم على مدينتنا"(١).

ودخل الفريقان في معركة شديدة دامت أياماً، قاتلت فيها صنهاجة مع أميرهم زاوي بن زيري الصنهاجي بكل شجاعة مستميتين غير مبالين لكثرة عدد جيش عدوهم، وأسفرت عن انهزام الأندلسيين المسلمين وحلفائهم النصارى، وتركوا ميدان المعركة، واتبعتهم صنهاجة يحصدون بسيوفهم أرواحهم، وقد أشار ابن حيان إلى هذه الهزيمة بقوله: " فحلَّ بهذه الوقعة على جماعة من الأندلس مصيبة سوداء أنست ما قبلها، ولم يجتمع لهم على البربر جمع بعد، وأقروا بالإدبار، وباءوا بالصغار"(٢)، وقتل المرتضى في ضنك ذلك المأزق سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م)، وأرسل زاوي إلى قرطبة كتاباً يخبر فيه الخليفة القاسم بن حمود بهذا النصر وهزيمة الاندلسيين وما استحوذ عليه من معسكر أعدائه نصيبه من الغنيمة وما خلفوا من ورائهم ما لا كفاء له اتساعاً وكثرة من الأموال والأسلحة والخيل والذخائر وفاخر الحلي والمتاع(٣).

وحاز زاوي على سرادق المرتضى بكل ما فيه من الزينة ورفيع الحلية، مما كان الأمراء ومضارب الرؤساء قد جمعوا له وجملوه به، معتقدين غروراً أن النصر سيكون حليفهم لا محالة، وعندئذ سيدخلون قرطبة للاحتفال، حتى إن كثيراً من جاليتها والتجار المتجهزين منهم ومن سواهم اغتروا بذلك العسكر باستعراض ما كانوا قد أعدوه من بهرجة للتباهي بالنصر، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وخابوا وحاق البغي بهم وخسروا أنفسهم وأموالهم(٤).

ويذكر أن السبب في هزيمة المرتضى مع كثرة جنده يكمن بالخيانة من كبار قادة عسكره ومنهم منذر التجيبي الذي جاء إلى شاطبة مصحوباً بأبن مسوفة(٥) والأفرنج، للإجتماع ورسم خطة الهجوم على على قرطبة، وفي طريقه إلى شاطبة مرَّ على بلنسية، فأغلق واليها (مبارك) بابها في وجهه مما أثار غضبه، فلما اجتمع بالمرتضى بشاطبة طالبه بإخراج مبارك للغزو معهم، فأعتذر المرتضى بإبقاء مبارك

---

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٣٨.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٤/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٧/٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٦/١.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٤/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٧/٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٦/٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٥/١؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٦/٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٤/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٦/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣١.

(٥) لم اجد له ترجمة.

خلفه لجمع الأموال وأرسالها خلفه فأحقد عليه، وعندئذ اتفق كل من ابن مسوفة وخيران ومنذر، وتظاهروا على الغدر به، بعد اظهاره الجفاء لهم عقب مبايعتهم له، مولّياً وجهه شطر أهل بلنسية وشاطبة، دون أن يقبل عليهما(١).

ويؤيد ذلك المقري سبب ما كان من أمرهما بقوله: " فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نيّة منذر وخيران على المرتضى، وقالا: أرانا في الأوّل وجهاً ليس بالوجه الذي نراه حين اجتمع إليه الجمُّ الغفير، وهذا ماكر غير صافي النيّة، فكتب خيران إلى ابن زيري الصّنهاجي المتغلب على غرناطة – وهو داهية البربر – وضمن له أنّه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى قرطبة خذّل عن نصرته الموالي العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور"(٢).

وهؤلاء عملوا بالخطة فمالوا بالمرتضى إلى غرناطة، وأقنعاه وقالوا: لا يصلح أن نسير إلى قرطبة ووراءنا العدو زاوي الذي اجتمع عليه الجمع الغفير، فلا بدَّ لنا التخلص منه أولاً، ثم دسوا إلى زاوي وأسروا عليه الغدر بالمرتضى، فلما أصبحوا للقتال حرّض منذر الموالي العامريين سخرية يبغي توريطهم ويقول: أين أنتم معشر أرباب المملكة المؤثرين على كل طبقة؟ أين أصحاب الوظائف المرتبة؟ هذا يومكم تقدموا، فحمي القوم وخرجت صنهاجة ومن كان تحت لوائها من باقي قبائل البربر، فلما حمي الوطيس أشار منذر وخيران بتقريب المحلة إلى قرب مكان القتال، فلما زحزحت صنهاجة من موضعها اضطرب العسكر، وشدّ البرابر شدّة منكرة، فانحاز منذر وخيران لأول وقتهما وانهزما على وجوههما، بعدما بثّ منذر التجيبي الخوف بنفوس رجال الافرنجة من غدر الموالي العامريين لهم فشغل بذلك بالهم، فلم يثبت الناس بعدهما، فاستمرت بهم الهزيمة(٣).

وأُشيع خبر غدر المنذر التجيبي الذي ورط المرتضى وحلفاءه، وأقحمهم أوعاراً صعبةً حتى أنزلوهم فوق رؤوس صنهاجة في الجبل المطل عليهم، فأنهزم منذر وخيران عن المعركة فصبر العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى على أحرٍّ من الجمر، وعندما كثر القتل بمن كان حوله من أصحابه فأنكشفوا عنه، وفرّ على إثرها المرتضى مخافة أن يقبض عليه، فتبعته عيون خيران وتقفوا أثره فلحقوه

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٦/١.

(٢) نفح الطيب، ٤٨٥/١.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٦/١-٤٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٦/٣.

بوادي آش(Guadix)[١] وقد أمَّن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاءوا برأسه إلى خيران ومنذر وقد لحقا بالمرية، فشربا الخمر على رأسه سروراً بمهلكه[٢].

ويبدو وصول معلومات استباقية إلى منذر التجيبي وخيران العامري لما كان يمتلكه زاوي بن زيري من الدهاء في السياسة والخبرة العسكرية الواسعة، فضلاً عن الروح القتالية العالية التي كان يتمتع بها جيشه، والقتال المستميت الذي كانوا يتحلّون به، ونفوس أبية لا تقبل الخضوع لأي مؤامرات تحاك ضدهم من أجل استحصال النصر فكانت المعركة بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت، فتدارك منذر التجيبي هذا الأمر فبعث بكتاب إلى زاوي يثنيه على حربه، فتراجع الأخير عن الحرب بعدما حقق نصراً حاسماً[٣].

وعلى الرغم من النصر المؤزر الذي حققه زاوي زعيم صنهاجة، إلا أنّه أصبح يرى أن الأندلس لم تعد وطناً آمناً لهم، وذلك بسبب البغضاء والاحقاد التي ملئت قلوب الأندلسيين اتجاه البربر، فصاروا لا يتورعون في اظهاره صراحة ويتحينون الفرص للتخلص من البربر والقضاء عليهم[٤].

ويؤكد ذلك ابن بلقين بنص ساقه يبيّن فيه القرار الحاسم الذي اتخذه زاوي بن زيري بعد هذه المستجدات، موضحاً المبررات التي جعلته أكثر اصراراً وعزيمة على الرحيل من الأندلس بقوله: "وقد علمت وأيقنت أنّه هذا يكون دأبهم أبداً، وإنْ كنا قد منحنا الظفر في أول صفقة، لم نأمنهم على أنفسنا وديارنا في كل حين، وهم إنْ قُتِل منهم واحد خلفه ألف، مع ميل جنسيتهم من الرعايا إليهم، فتكون الزيادة فيهم والنقصان منا ولا يموت لنا نحن أحد ونخلفه أبداً، فنظر من المكان بعين الحقيقة وزهد فيه"[٥].

وأشار ابن حيان إلى أن السبب الذي ازعج زاوي زعيم صنهاجة على لسانه بقوله: "إنه لما انهزم المرتضى قال زاوي لقومه: كيف رأيتم ما قد خلصنا منه فقالوا: عظيماً، قال: فلا تتناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده، إن انهزام من رأيتموه لم يكن من قوة منا، إنما حدّه مع غَدرْ ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا،

---

(١) سميت ايضاُ وادي الأشات، مدينة بالأندلس متوسطة المقدار تعدّ من كورة البيرة تبعد عن غرناطة اربعون ميلاً وهي بين غرناطة وبجاية وقيل من اعمال غرناطة. ينظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣، و ٨٦، و٨٩، و١٣٢، و١٧٠؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٩٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٧/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٤.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٦/١-٤٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٦/٣-١٢٧.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٧/١.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٤/٢.

(٥) التبيان، ص٣٨-٣٩.

فإني عرفت ذلك من يوم نزولهم، ولذلك ما كنت أقوي نفوسكم، وقد نجانا الله منهم برحمته ومضى القوم ولم يعدموا إلا رئيسهم، واستخلافه هين عليهم، ولست آمن عودتهم جملة إليكم فيما بعد، فلا يكون لنا قوام بهم، فالرأي الخروج عن أرضهم، واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة، والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية، مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا زناتة، الأعداء في الحقيقة، الذين لا يغفلون عنا وإن غفلت الخليقة، ولاسيما وقد قرفنا قومهم، ونبشنا أحقادهم المدفونة، فإن فرغوا لنا على قلة عددنا، وظاهروا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا، وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس، فمن أطاعني فليرحل معي، فلم يساعده أحد من أهل بيته"(١).

ورحل زاوي بن زيري عن الأندلس بعدما قام بتأسيس ملك بني زيري في غرناطة، وقضى بها بعد اغترابه لمدة اثنين وعشرين سنة في الحكم في هذه الإمارة الحديثة العهد، التي قاسى حروبها وفتنها، وقد اختلفت المصادر في تحديد السنة التي رحل فيها زاوي فقيل: ركب البحر من مرسى المنكب سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م)(٢)، وقيل: إنّه رحل عن الأندلس سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)(٣)، وقيل: كان خروجه من الأندلس سنة (٤٢٠هـ/١-٢٩م)(٤)، والأرجح أن رحيله بحسب ما أكدته أغلب المصادر كان في سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م) (٥)، واستقلت السفن به وبمن آثر الرحيل معه من أهله وولده وحشمه، وهي تحمل على متنها لما اصابه من نفائس الذخائر والأموال، ما يفوق الإحصاء لكثرة عظيم ما حازه أيام الفتنة ما لم يقتنه ملك، بعد أن استأذن ابن عمه المعز بن باديس صاحب افريقية، وحرص جميع بني عمه بالقيروان على رجوعه إليهم لحال سنه وحكمته من جهة، ولحاجتهم إليه بعد مهلك جميع اخوتهم من جهة ثانية، وبهذا اجتمع شمله بأبناء عمومته وخرج إليه شرف الدولة المعز بن باديس بزي عظيم فترجل له

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٨/١-٤٥٩؛ ابن عذاري البيان المغرب، ١٢٨/٣-١٢٩.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٨/١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٦/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٩/١؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٦/١؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٠/٦.

(٣) ابن عذاري البيان المغرب، ١٢٨/٣.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٦/٤

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٨/١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٦/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٩/١؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٦/١؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٠/٦.

الشيخ زاوي، ونزل شرف الدولة وسلّم عليه راجلاً، وفرشت له القصور لنزله وأوصله بأعظم الصلات وأرفعها وسار معه في دولته وكنفه حتى أنزله بالمنصورية(١).

وكان لزاوي أبناء يعدل كل واحد منهم ببدنه مائة فارس في نجدته وقوة بأسه وحكمته، ومنهم بلقين بن زاوي الذي أعاب على أبيه رحيله من الأندلس وقال له: "بنيت لغيرك فتكون له بمنزلة الخادم أو الأجير، لا تترك حاضراً لغائب وأثبت بمكانك الذي لم تحصل عليه إلا بعد مشقة وإشرافٍ من نفسك على الهلاك"(٢)، فردّ عليه زاوي بقول حكيم: "نستخلف على المدينة من شيوخ تلكاته الموثوق بهم في المهمات مَنْ يثقِّفها، وينوب عنا فيها، حتى أباشر بنفسي حال القيروان وكيفية دولتها، فإما أن يتهيأ غَرَضُنا، وإلا انصرفنا إلى مركزنا"(٣).

وذكر ابن بلقين أنه لما وصل إلى القيروان تحرج بعض وزراء المعز فنكروه وخافوا مكره ودهائه وما يضمره في داخل صدره، ورأوا أن ولاية المعز على طفوليته وعيشهم معه وتحكمهم عليه، أخف من تولية داهية مثل زاوي، لا يملكون ذرة من حكمته ودهائه السياسي والعسكري، فدسوا إليه من سقاه السُّمَّ فمات به(٤).

وقيل: استخلف مكانه في غرناطة ابنه ونا بن زاوي، فظعن ونا لأهل غرناطة، وأساء السيرة فيهم، فنقضوا عهده، ثم بعثوا إلى ابن عمه حبوس بن ماكسن بن زيري من بعض الحصون ليتولى أمر غرناطة قبل فوات الأوان، فبادر إليهم، ونزل بغرناطة، وبايعوه، فملكها وأستبدَّ بها(٥).

وذكر ابن بلقين أيضاً بقوله: "ما أن خرج زاوي عن غرناطة كأنه يقاد قوداً، فبم يخرج منها إلا وكتب شيوخها المستحلفون إلى حبوس بن ماكسن يحثونه على القدوم إلى البلد ليتولى أمرهم قبل أن يطمع فيه من لا يرضون به، فأسرع حبوس ولم يتأخر عنهم، وبادر إليهم، ونزل بغرناطة، فتلقته صنهاجة بالطاعة، وبايعته وانقادت لملكه وعظم فيها سلطانه"(٦).

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٨/١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٦/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٩/١، و١٢٨/٣؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٦/٤، و ٢١٠/٦

(٢) ابن بلقين، التبيان، ص٣٩.

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٣٩.

(٤) التبيان، ص٤٠.

(٥) ابن خلدون، العبر، ٢٣٩/٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٤٢/٥، و ٢٤٨.

(٦) التبيان، ص٣٩-٤٠.

ثم تولّى امارة غرناطة من بعد مغادرة زاوي بن زيري الأندلس ابن أخيه أبا مسعود حبوس بن ماكسن من سنة (٤١٠-٤٢٩هـ/١٠١٩-١٠٣٧م)[١]، ويذكر لمّا ركب زاوي البحر من مرسى المنكّب، وودّعه زعيم البلدة وكبير فقهائها القاضي أبو عبد الله بن أبي زمنين[٢]، ويذكر أن حلالي بن زاوي لم يرافق أباه إلى مرسى المنكب، فمكث بغرناطة أياماً لتتميم حاجاته، وقد دبر مع بني عمه الراحلين مع أبيه القبض على قاضي غرناطة ابن أبي زمنين وعلى المشيخة من أهله، عند عودتهم من تشييع أبيه ليأخذ أموالهم، وكشف هذا التدبير ابن أبي زمنين، وأسرع إلى حبوس وأخبره بالأمر، وكان حبوس آنذاك متوقفاً بحصن آش يترقب ركوب عمه البحر، ليلحق بغرناطة، وبعدها توجه حبوس برفقة ابن أبي زمنين إلى غرناطة، فلم تشعر به صنهاجة حتى أطل عليهم قارعاً طبوله، فخرجت صنهاجة تستقبله، ووقف ابن عمّه حلالي بباب غرناطة حائراً قد فسد تدبيره ابن أبي زمنين، ولم يعرج عليه حبوس حتى صعد إلى قصبة غرناطة فضبطها وحط رحله فيها، ثم خرج إلى ابن عمه حلالي ليودعه، فعاتبه في اقتحامه عليهم وقال له: أهذا دخول مكتئب بفراق عشيرته! أم بدخول أشبه بشامت! أو كأنك فتحت بلداً وطردت عدواً! فأعتذر منه حبوس، وقال ما ذاك إلا لرسم الإمارة وإرهاب الرعية[٣]، وعلى إثر تلك المحاور انسحب حلالي ولحق بأبيه زاوي[٤].

وذكر أن حبوس بن ماكسن بنى مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها[٥]، وكان أيضاً "وقوراً حليماً، فظاً مهيباً، نزر الكلام، قليل الضحك، كثير الفكر شديد الغضب، غليظ العقاب، شجاعاً حسن الفروسية، جباراً متكبراً داهية، واسع الحيلة، كامل الرجولية، له في كل ذلك أخبار مأثورة"[٦]، وزاد في ذلك ابن

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٤٠-٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٣٧/٧-٦٣٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٧/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٨/٣، ٢٦٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١-٢٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٩/٦.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٩/١-٤٦٠؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١.

(٤) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١-٢٦٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، ١٥٠/١.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٠/١-٤٦١.

الخطيب بقوله: "وكان حازماً داهية شجاعاً، وسعة في النظر وحمى وطنه ورعيته ممن جاوروه من البربر"(١).

واتسع ملك حبوس وتعاظم جيشه من صنهاجة ليشمل مدينتي قبرة وجيان الذين صارتا من أعمال غرناطة(٢)، وسار بأجمل سيرة وأعدل طريقة، وتعفف عن كل شيء، ولم يمد يده على الحرام والأموال، فأحبه الناس وأمنت معه السبل، وقلّ الفساد ورفع الجور عن العباد، وكان محباً في أقاربه وبني عمه، فلم يستأثر عليهم بشيء وقسّم عليهم البلاد، فكان كل واحدٍ منهم سلطاناً في جهته وأنفرد بعسكره، وحثهم على فائدة تخدمه وتخدم قومهم الاستكثار من الاجناد، فمتى دعوت أحدكم لمهمة وبصرةٌ عسكره أكثر عدداً وأجود خيرة، فذاك الأكثر حظاً لدينا، فسارع الأجناد إلى اللحاق كل في ناحيته، وزاد الجيش في أيامه، وقامت همم الرجال على قدم وساق، وتنافسوا على خصال الحروب ومقاطع الشجعان(٣).

وكان حبوس لا ينفرد برأي دون اشراك بني عمومته، ولا يقطع أمراً إلا بمشورتهم، حتى أن من تواضعه وإحسانه كانوا يجتمعون للحكم في موضع خارج قصره، كي لا يحصل عليهم ما يقع في أنفسهم منه ذلة ولا ما ينقمون عليه، وكان رفيقاً بهم محسناً إليهم مؤلفاً لكلمتهم، وكان يقول: "إن صنهاجة مثل الأسنان في الفم: إن عدمتُ منهم واحداً، لا نخلفه أبداً"(٤).

وفي سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م)، بعدما استبد حبوس بالملك في غرناطة، إذ حصل في السنة ذاتها اضرابات بسبب تزايد الفتنة التي راح ضحيتها أخوه حباسه، إلا أنه استطاع بحنكته السياسية أن يخمد تلك الاضرابات التي شابتْ مدينة غرناطة(٥).

وكانت سياسة حبوس بن ماكسن تقوم على العلاقات الدبلوماسية مع جيرانه من زعماء البربر وفي مقدمتهم (بنو حمود حكام) مدينة مالقة، ولاسيما يحيى بن علي بن حمود المعتلي بالله، الذي تحالف معه ضد عمّه القاسم بن حمود، إذ جمع يحيى جيشاً ممن انضاف إليه بمالقة، ومن أعانه من جيرانه

(١) الاحاطة، ٤٠/١، و ٢٣٨، و ٢٦٧-٢٦٨

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٤/٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٣٨/١.

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٤٠-٤١.

(٤) ابن بلقين، التبيان، ص٤١.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١-٢٦٨.

البرابرة[١]، وقبل كل شيء لا بد أن نبين حقيقة مفادها أن ابن دراج الصنهاجي بعث برسالة إلى يحيى بن علي الحمودي الذي كان في بلاد المغرب طالباً منه الجواز إلى الأندلس من خلال قصيدة نسجها له بقوله:

وفي غيابات أطباق الخطوب شج	بالبين ييأس أحيانا وينتظر
قد أخرس الدهر منه منطقاً هتفت	عنه الرزايا ألا غاد فمعتبر
لمعتلي همة بين النجوم هوت	به النجوم برزء ما له وزر
وهل بسمعك يا يحيى حييت لنا	عن دعوتي زور أو عنك لي وزر
وإن أولى بمهد فيك مدحته	لو جاء قبل من التقصير يعتذر
بأوجه الفاطميين التي شهدت	شمس الضحى أنها في وجهها غرر[٢]

وعلى أية حال تقدَّم يحيى المعتلي على قرطبة وتملكها وبويع له بالخلافة عليها وفرّ عمّه القاسم إلى حليفه أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي في سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م)[٣] الذي كان من أشد أمراء الطوائف منافسة ليحيى باشبيلية[٤] الذي كان يرى أحقيته بمنصب الخلافة من يحيى، وحدثته نفسه بالتغلب على تلك البلاد[٥].

وكانت ولاية يحيى بن حمود على قرطبة سنة واحدة وستة أشهر، بعدما تصالحا هو وعمه القاسم المجاور له بأشبيلية، إلا أن يحيى ثار عليه أهل قرطبة من جند البربر وغيرهم في سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م)، وفرّ إلى قاعدته مالقة واستدعي عمه القاسم من أشبيلية للخلافة على قرطبة للمرة الثانية، ولم يدم الحال معه وحاصروه أهل قرطبة في القصر أياماً ثم اضطر للخروج عنهم إلى الربض الغربي مع البربر فحاربه أهل قرطبة نحو شهرين حتى هزموه مما اضطره إلى الخروج من الربض بمن معه من البربر منهزماً إلى مقره في اشبيلية وكتب إلى أهلها في إخلاء ألف دار ليسكنها البربر، فعظم

---

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٤٠-٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٩/٧-٦٢١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ٢٦٤/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣١-١٣٢.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٥٢٨-٥٣٠.

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص٤٠-٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٩/٧-٦٢١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ٢٦٤/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣١-١٣٢.

(٤) ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص٢٧٩.

(٥) ابن حزم، رسائل، ٢٠٥/٢.

ذلك عليهم وكانا بها أبناءه محمد والحسن فثار بهما أهلها فأخرجوهما عنهم ومن معهما فغلق أهل اشبيلية أبوابها بوجهه لكرههم الشديد للبربر في سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) ورحل عنهم(١).

ثم اجتمعت صنهاجة مع يحيى بن علي وتوجهوا لحرب عمّه القاسم الذي نزل بشريش، وبعد حصار شديد فتحت المدينة وأخذ القاسم أسيراً، فحبسه يحيى فبقي في سجن المطبق إلى أن مات أيام ادريس بن علي خنقاً في سجنه سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م)(٢).

وفي سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، قتل الخليفة المستكفي بالله أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في قرطبة، وذلك بسبب الدمار الذي أحدثه في المدينة لسوء سياسته اتجاه أهلها مما دفعهم على قتله في السنة ذاتها، وبعد ذلك كتب بعض أهل قرطبة إلى يحيى بن علي المعتلي بالله وهو بمالقة ليعيدوه إلى الخلافة على قرطبة فدخلها يوم الخميس في ١٦ رمضان من سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، إلا أنه لم يدم بقاءه طويلاً فغادرها إلى مالقة يوم الثلاثاء في ٢٢ محرم سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، واستخلف عليها وزيره وكاتبه أبو جعفر أحمد بن موسى، ويساعده في ذلك دوناس بن أبي روح، فخالفه حبوس بن ماكسن على الطاعة، وظل حبوس يتابع أخباره لتحين الفرصة المؤاتية للانقضاض عليه، فما أن خرج المعتلي يوم الثلاثاء ٢٢ محرم من سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، إلى مالقة التي كان قد استولى عليها في سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م)، ليتفقد أمورها، فأستغل حبوس غيابه عن قرطبة فأوعز لحليفيه زهير وخيران العامريين بدخولها فجهزا جيشاً كثيراً، فلما شعر أهل قرطبة بقربهما ثاروا على عبد الرحمن فهجموا على من كان عندهم من البربر فقتلوهم يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول من سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، وبلغ عددهم ألف رجلٍ بربريّ، وفرّ أحمد بن موسى إلى يحيى بن علي بمالقة، بينما ألتجأ دوناس بن أبي روح إلى حبوس بن ماكسن بغرناطة(٣).

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦١٩/٧-٦٢٠؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٦-٤٨؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٣١/٣-١٣٥؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣٢-١٣٤.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٢١/٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٦-٤٨؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٣١/٣-١٣٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٢/٧-٦٢٣؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٧-٤٨؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٤١/٣-١٤٥؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٣٥-١٣٧.

وسعى ابن عباد للحصول على الخلافة من خلال اعطاء حكمه درجة من الشرعية التي كان بأمس الحاجة إليها؛ لأنّه لم يكن يتوفر على أية أسس للحكم[١]، فأراد أن يدبر أمراً يزيح يحيى من طريقه، فأخرج للناس هشام المؤيد المزيف الذي ظهر من جديد في مدينة المرية أيام زهير الصقلبي سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م)[٢]، ولاسيما عندما تعاظم شأن يحيى بن علي الحمودي الذي سيطر على مالقة وقرمونة وأشونة وأستجة[٣]، فجاء ابن عباد بهشام هذا وأخبر الناس أنه وجده عند يحيى في مالقة وجمع له من بقي بأشبيلية من نساء القصر والخدم فأعترف به أكثرهم، فوجد ابن عباد بذلك سبيلاً إلى ما دبره من حرب يحيى، وعمد ابن عباد على اخفاء هشام المزيف عن الناس[٤]، وعلى الرغم من أنّه اعترف له أمام من كان معه بقوله: "لست بالذي تعنون ولا بالذي تطلبون"[٥]، ويذكر أن هذا الرجل كان يقال له: بـ (خلف الحصري)[٦]، وقد ورد اسمه عند ابن عسكر وابن خميس بـ "هشام بن فلان الدعي"[٧].

ومن الواضح أنّه كان على قدر من الشبه بهشام المؤيد، مما جعل الناس لا يفرقون بين صورته وصورة هشام المؤيد بالله الذي مات سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)[٨]، وبهذا وجد ابن عباد ضالته بهذا الرجل، فدعى إلى مبايعته والدخول في طاعته، على أنه هشام المؤيد الحقيقي، ولكي لا يفتضح أمره اقعدوه بالقصر وبينه وبين العامة والخاصة من الناس ستر مسدود يتكلم لهم من وراءه، ويقول لهم: إنّه أعطى حجابته إلى اسماعيل بن محمد بن عباد[٩].

فأستجاب لدعوته صاحب بلنسية وأعمالها عبد العزيز بن أبي عامر، والموفق صاحب دانية والجزائر الشرقية، وصاحب طرطوشة، والوزير أبو الحزم بن جهور صاحب قرطبة، وأقرّوا جميعهم

---

(١) ابن عبود، امحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لأشبيلية في عهد دول الطوائف (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، تقديم: وليم مونتغومري واط، تحت اشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطابع الشويخ -ديسبريس-تطوان- المغرب، ١٩٨٣م، ص٥٤.

(٢) ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٨/٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٤/٧.

(٤) ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٨/٣.

(٥) ابن عذاري، البيان لمغرب، ٢٠٠/٣.

(٦) ابن عذاري، البيان لمغرب، ٢٠٠/٣.

(٧) أعلام مالقة، ٣٥٨-٣٦٠.

(٨) ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ٣٦٠.

(٩) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠/٧-٣١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ٢٠٠/٣.

بخلافته وسارعوا إلى الدخول في طاعته وبعثوا كتبهم بذلك وتابعهم أكثر أهل الأندلس(١)، ومِنْ ثَمَّ تمكن ابن عباد من فرض هيمنته على هذه التحالفات التي ستدعمه بكل قوة للوقوف بوجه خطر يحيى بن علي على مدينة اشبيلية.

وعندما شعر يحيى بن علي بتعاظم خطر ابن عباد عليه بعدما تكوّن لديه حلف قوي مكوّن من خمسة كور تدين له بالولاء والطاعة، لذا قام يحيى في سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م)، بأرسال كتابين أحدهما إلى حبوس بن ماكسن الصنهاجي والآخر إلى محمد بن عبد الله البرزالي يطلب منهم النهوض معه إلى قرمونة لمحاربة ابن عباد، فاعتذرا له، بسبب تعاظم شأنه الذي شكل هاجساً مخيفاً وخطراً حقيقياً أحس به جميع رؤساء الطوائف بجنوب الأندلس(٢).

وكان يحيى بن علي قد خرج من قرمونه يريد أبا القاسم محمد ابن عباد في عدد قليل من رجاله، فوجه إليه ابن عباد ابنه اسماعيل ومعه محمد بن عبد الله البرزالي، ولما احتدم القتال فرّوا من أمامه، وتبعهم حتى توغل في صفوفهم فاجتمعت الخيل عليه من كل جانب، فرأى ما لا طاقة له به، فقاتل حتى اثخن بالجراح فوقع عن الفرس وقطع رأسه البرزالي وحمله إلى القاضي أبو القاسم ابن عباد باشبيلية في هذه الموقعة وذلك في سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)(٣).

وصار محمد بن عبد الله البرزالي من جيش ابن عباد حتى دخل قرمونة وملكها مرة ثانية بعدما طرده منها يحيى بن علي الادريسي(٤)، وهذا يعني أن ابن عباد نجح في استمالة وإقناع ندٍّ قوي له كالبرزالي وضمه إلى صفوفه، لكون قرمونة التي تعد حصن أشبيلية من الشرق، بالمقابل كان البرزالي يخشى سطوة بني حمود وأطماعهم بالمدينة، فكانت المصلحة جوهرية ومشتركة من اجل التعاون بينهم لدفع خطر يحيى بن علي، وربما وعده ومنّاه ابن عباد بامتلاكه قرمونة وعدم منازعته عليها في المستقبل لقاء هذا التعاون(٥).

والمتمعن للأحداث نجد أن المستفيد الأكبر من مقتل يحيى بن علي من دون أدنى شك هو اسماعيل بن عباد، الذي تخلص من خصم عنيد، استطاع تثبيت دعائم ملكه، فإن البرزالي خدم ابن عباد

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠/٧-٣١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٠/٣، ١٩٧-١٩٩.
(٢) ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ٣٦١.
(٣) ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ٣٦١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٩/٣؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٨/٤.
(٤) ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٩/٣.
(٥) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ٣٥/٢.

بالمجان من حيث لا يعلم، وأنه سرعان ما يتحول إلى هدف من أهداف سياسة ابن عباد التوسعية، بحسب ما تقتضيه المصلحة وظروف المرحلة المقبلة، التي يسعى فيها إلى الاستحواذ على الخلافة بالمكر والخداع والدهاء والحيلة، فضلاً عن استخدامه لسلطة المال والقوة العسكرية.

ويبدو أن عبد الله بن محمد البرزالي وحبوس بن ماكسن الصنهاجي شعرا بالذنب بعد مقتل يحيى، لسوء تقديرهما لعاقبة الأمر، وذلك أنه بمجرد أن أعتلى أخوه ادريس بن علي بن حمود، الذي تلقب بالمتأيد بالله في مالقة، أسرع إليه صاحب قرمونة واستجة، وصاحب غرناطة مع قومه من صنهاجة، وحليفهما زهير العامري صاحب المرية إلى مبايعته، فخطب له زهير الفتى بالمرية(١).

ومن الواضح أن هذا التحالف الرباعي أصبح قوة كبيرة لا يستهان بها، تمكنه من التصدي لأي مشروع يقوم به ابن عباد ومن يقفه في صفه، ولذلك كان أول عمل قام هذا التحالف "أن اجتمع زهير وحبوس مع محمد بن عبد الله زعيم زناته بجهة استجة في يوم الأربعاء ٥ ذي القعدة سنة (٤٢٧هـ)، واحتلوا يوم السبت قرمونة، ويوم الأحد احتلوا قرية طشانة بجهة اشبيلية وقاتلوا حصن زعبوقة، واحتلوا بالقلعة(٢) يوم الأثنين، وقرّبوا من اشبيلية يوم الثلاثاء وأحرقوا طريانة(٣) يوم الأربعاء بعده، ثم احتلوا بحصن القصر(٤) وفيه انعقدت البيعة بينهم لأدريس بن علي بن حمود وانصرفوا إلى قرمونة وقد تحالفوا وتعاقدوا على القيام بدعوته وأنصرف زهير إلى المرية، وخطب لأدريس فيها"(٥).

ونتيجة لهذا التحالف والتقارب أن قام حبوس بن ماكسن الصنهاجي بنجدة زهير العامري بعد أن استنصره على ابن عباد قاضي اشبيلية، الذي حزّ في نفسه بعدم قبول زهير ببيعة هشام المزيف والخطبة

---

(١) ابن حزم، رسائل، ٢٠٥/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٤/٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٥٤؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٤٠، ابن خلدون، العبر، ١٩٨/٤.

(٢) القلعة (Alcala) إقليم بالأندلس من كورة قبرة، وأنا أظنّ الرصاص القلعي إليها ينسب لأنه من الأندلس يجلب فيكون منسوبا إليها أو إلى غيرها مما يسمى بالقلعة هناك. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٩/٤.

(٣) وهي مدينة ممتدة على شاطئ النهر الأعظم في مقابلة النصف من حضرة اشبيلية، وهي مسورة من جهة الصحراء، وفيها الحمامات والأسواق الضخمة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٤/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٤) حصن بالأندلس يعرف بقصر بني خلف بسرطانية في الثغر الأعلى. ينظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٦٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ٣١٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٠/٣-١٩١.

له، فلم يقتنع وتبرأ من ذلك الرجل ولم يقبل بالدخول بهذه اللعبة التي حاك خيوطها ابن عباد، فأرسل إليه جيشاً لمحاربته وإرغامه على مبايعة المؤيد، فحالت قوات حبوس التي دعمت موقف زهير العامري دون حدوث ما كان يصبوا إليه ابن عباد، الذي اضطر إلى الانسحاب بسبب عدم قدرة قواته على مواجهة قوات صنهاجة المعروفة بشدة بأسها في المعارك التي لم يسجل لها التاريخ خسارة في مواجهة اعدائها، لذا قرر أن لا يخوض الحرب معهم، وفضّل الانسحاب والتراجع نحو اشبيلية، وعاد حبوس إلى مالقة، بينما أقام زهير في يابسة(Ibiza)[١][٢].

إلا أن ابن عباد سار في تنفيذ خطته بالتغلب على ما بيد أمراء البربر، فأخرج ابنه إسماعيل في عسكر مع من أجابه من قبائل البربر، ونهض إلى قرمونة فحاصرها، ثم نهض إلى حصن يدعى أَشُونة، وحصن آخر يدعى إِسْتِجَة، فأخذهما، وكانتا بيد محمد بن عبد الله البرزالي، فاستصرخ البرزالي بإدريس بن علي الحسني وقبائل صَنْهَاجة، فأمده حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة بنفسه، وأمده إدريس بعسكر يقوده أبو جعفر أحمد بن موسى المعروف بأبن بقنة مدبر دولته، فاجتمعوا مع البرزالي ثم غلبت عليهم هيبة إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد، قائد عسكر أبيه القاضي أبي القاسم، فافترقوا وانصرف كل واحد منهم إلى بلده، فبلغ ذلك إسماعيل بن محمد، فقوي أمله، ونهض بعسكره قاصدًا طريق حبوس الصنهاجي من بينهم مسرعاً في اتباعه، فلما قرب من صاحب غرناطة وأيقن حبوس أنه قريب منه، بعث بدوره إلى ابن بقنة قائد عسكر أدريس يطلب منه الرجوع إليه، كونه فارقه قبل ذلك بساعة، فرجع إليه والتحم الجيشان في معركة حاسمة أسفرت عن هزيمة ساحقة بعسكر اسماعيل بن عباد، وكان هو أول قتيل في هذه الموقعة في أواخر سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، وحمل رأسه إلى إدريس بن علي الحسني[٣]، واستطاع حبوس الذي اشتبك بجيشه في معركة دموية ضد الأشبيليين أن يُوقع هزيمة فادحة وينقذ

(١) وهي جزيرة من جزائر الأندلس حسنة، طول هذه الجزيرة عشرة فراسخ وعرضها ثمانية فراسخ، ومنها يجلب الملح والخشب إلى افريقية، كثيرة الثمار والزرع والكروم واللوز والتين والأعناب وفي شرقي يابسة جزيرة ميورقة بينهما مجرى. ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٢/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٣٠/٧.

(٣) ابن حزم، رسائل، ٢٠٥/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠-٣١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧-٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٤/٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٥٤-٥٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٩٨/٤.

قرمونة، وحول نصر ابن عباد إلى هزيمة نكراء، بعدما أوغل في أراضي صاحب اشبيلية وأثخن فيها القتل(١).

إلا أن محمد بن عبد الله البرزالي سرعان ما تناسى الجميل الذي قدمه إليه حبوس الصنهاجي، فتغيرت مودته وفك رابطة الحلف الذي يجمعه به، بدلاً من أن يقوي أواصر الأخوة مع حبوس الذي مدَّ يد العون له في أحلك الظروف، إلا أنه نكر كل شيء وأصبح من حليف ودود إلى عدو لدود، ونلمتس ذلك من خلال الرقعة التي كتبها وزير حبوس أبو عبد الله البزلياني تحت عنوان " فصول من رقعة عن حبوس إلى ابن عبد الله أمير قرمونة"(٢)، الزناتي الذي بعث بكتاب من الواضح من خلال الرد الذي حوته هذه الرقعة أن محتوى الرسالة التي بعثها البرزالي الزناتي غلب عليها السب والشتم والاستعلاء، وأن جاء ذلك من باب النصح لحبوس الصنهاجي.

ومن أهم ما جاء فيها: "من النصح تقريع، ومن الحفاظ تضييع، ولكل مقام مقال، إذا عدي به عنه استحال، ووصل إلي منك كتاب طمست منحاه، وعميت معناه، أومأت فيه إلى النصح، ودللت على سبيل النجح؛ فوقفت على فصوله ومعانيه، وأحطت علما بجميع ما فيه، ولم يكن لمن أوحشت جهته، وتغيرت مودته، أن يدخل مدخل الناصحين، وقد خرج من جملة المشفقين، وكان بالجملة أوّله سباب، وآخره إعجاب، والسِّباب لا ينطق به كريم، والإعجاب لا يرضى به حليم، وقد نزهني الله عن المقارضة بهذا ومثله، وما أحسن قول القائل:

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا	ونشتم بالأفعال لا بالتكلم"(٣)

ويكمل بقوله: "فإن كنت أردت أن تستصلح مني بسبك فاسداً، وتستقرب من ودي باستطالتك مباعداً، فما هذه شيم يقضي بها الفضل، ولا سياسة يُحكّم بها العقل، وإن كنت أردت التخويف والإيعاد، والإبراق والإرعاد، فقد كفني بيت الكميت:

أبرق وأرعد يا يزيد	فما وعيدك لي بضائر"(٤)

(١) أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد بن عبد الله عنان، نشر وتوزيع وتوزيع المركز القومي للترجمة-القاهرة، ٢٠١٤م، ٣٦/١.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٤/٢-٦٢٥.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢-٦٢٦.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٤/٢-٦٢٥.

ثم ذكره بأنه "حبوس أحد البرابرة: لا أخرج عن جماعتهم، ولا أبعد عن موافقتهم، ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم...وفي لزوم الجماعة السداد والرشاد، والغي في الانفراد والاستبداد"(١)، مستشهداً بقول دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إنْ غوت	غويت وإن ترشد غزية أرشد(٢)

وأما قولك: "فمن كان متبوعاً قلما يستقيم أن يكون تابعاً، ومن عرف في النادي مطاعاً لم ينقلب مطيعاً، إلا أن يصادف هدي العمرين، وأجدر بذلك أن يبعد، فقد أزريت على كل خلافة، وبينت أنك خارج عن كل فرقة...، وليس هذا نظر مشفق، ولا قول محقق، إذ لا تتم ديانة إلا بإمامة يدعى إليها، وتجري السنن عليها، إلا في مذهب نافع بن الأرزق وعبد ربّه وأشباهها"(٣).

وتدل هذه الرسالة أن عقد التحالف بينهم انتهى وانقلب إلى عداوة وبغضاء، وإذا رجعنا بالزمن إلى الوراء قليلاً لوجدنا هناك تكهن زاوي بن زيري وهو يحاول اقناع قومه صنهاجة بمغادرة الأندلس، فحدث كما توقّع بالضبط فقد حذرهم من زناته بقوله: "ولست آمن عودتهم جملة إليكم فيما بعد، فلا يكون لنا قوام بهم، فالرأي الخروج عن أرضهم، واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة، والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية، مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا زناتة، الأعداء في الحقيقة، الذين لا يغفلون عنا وإنْ غفلت الخليقة، ولاسيما وقد قرفنا قومهم، ونبشنا أحقادهم المدفونة، فإن فرغوا لنا على قلة عددنا، وظاهروا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا، وها أنا قد أديت لكم النصيحة"(٤).

ومِنْ ثَمَّ فإن العلاقة بين صنهاجة وزناته غالباً ما كانت تحكمها المصلحة الشخصية الآنية، والدليل على ذلك ما أورده الشاعر أبو الوليد بن زيدون، الذي قال: "سأل حبوس يوماً محمد بن عبد الله في بعض التقائمها عن سِنّهِ بمعراض فقال: ابن كم كنت يوم قتل ابن الخير؟ – فأجابه مسرعاً: كنت يوم قتل زيري بن مناد يفعة، وشهدت وقعته مع قومي ابن كذا، فتبسم حبوس وعجب من حضر من فطنتهما، وإنما أراد حبوس تعيير ابن عبد الله بمقتل ابن الخير سلطان زناتة المصاب في وقعة صنهاجة، فعارضه

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٦/٢.
(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٦/٢.
(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٦/٢.
(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٤٥٨/١-٤٥٩؛ ابن عذاري البيان المغرب، ١٢٨/٣-١٢٩.

ابن عبد الله بذكر وقعتهم بجد حبوس زيري بن مناد"[١]، معلقاً على ذلك ابن زيدون بقوله: "فلو كانا في الرعيل الأول من أذكياء العرب ما زاد على ما أتيا به"[٢].

وكما يبدو أن الأمور ساءت بينهما إلى حدٍّ لا يمكن لأحد أن يطيق الآخر، فأخذ البرزالي باستمالة زهير الصقلبي صاحب المرية الذي والاه، فتحول بمولاته من صديق إلى عدو لحبوس، وساق لنا ابن بسّام عن ابن حيان نصاً يؤكد الخبر الذي حول الصداقة إلى عداوة وأنهى الحلف الذي كان يجمعهم من الداخل بقوله: "كان سبب فساد صاحب صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية زهير الصقلبي، فتى المنصور ابن أبي عامر، موالاته لكاشحه محمد بن عبد الله زعيم زناتة، ومضى على ذلك حبوس من عداوته، وخلفها كلمة باقيةً في عقبه"[٣]، وكانت وفاته في سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ودامت مدة حكمه منذ توليه إلى وفاته ١٨ سنة ثبت فيها حكم بني زيري في غرناطة، وكان من أعظم أمراء الطوائف[٤].

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦١/١.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦١/١.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٦٥٦/١٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٣٧/٧-٦٣٨؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤٠/١-٤١؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٩/٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٤٢/٥، و ٢٤٨.

الفصل الرابع

الإسهام الفكريّ للصنهاجيّينَ

المبحث الأوّل/ العلوم الدينيّة والأدبية:

أ-علوم القرآن الكريم

ب-علم الحديث

جـ- علم الفقه

المبحث الثاني/ علوم اللّغة العربية وآدابها:

أ- علوم اللّغة

ب-الأدب

الإسهام الفكريّ للصنهاجيّين:

يتفق أغلب المؤرخون والكتاب على أن دراسة تاريخ أي قبيلة، لا يكاد يكتمل ولا تتضح صورته وأبعاده ومعالمه ومعطياته كلّها، ما لم يكن لأعلام تلك القبيلة ورجالاتها واسهاماتهم في المجالات الفكرية والعلمية والإدارية حيزاً من تلك الدراسة، ولاسيما أولئك الأعلام المستقرين في العدوة الأندلسية بما قدموه من نتاج علمي وأدبي وفكري وافر كلْ بحسب تخصصه ومجال علمه، إذ شكلوا نقطة وضائة في تاريخ الحضارة الإسلامية عامة وفي التاريخ الاندلسي خاصة، ولا تكاد تكون قبيلة صنهاجة وأعلامها ورجالاتها استثناءً من هذا المفهوم.

فقد شكلتّ العطاءات العلمية والفلسفية والأدبية لعلماء صنهاجة علامة فارقة في الحركة الفكرية التي نشأة بوادرها في الأندلس بداية منتصف القرن الثالث الهجري/ منتصف القرن التاسع الميلادي، فأشار إلى ذلك ابن صاعد الأندلسي بقوله: "لما كان وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة، وذلك في أيام الامير الخامس من ملوك بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بالأندلس، تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة"(١)، ولهذا ارتأينا أن يكون هذا الفصل بما حواه من محاور ومضامين خير معبر لتلك العطاءات، لكننا لا نستطيع الولوج إلى تلك النتاجات الفكرية ما لم ندرس مسببات تلك الحركة وبواعثها ومعطياتها الأخاذة التي أعطتنا صورة عن اسهامات المسلمين عامة والصنهاجيين المغاربة بصفه خاصة في ابرز معالم تلك الحركة العلمية وآثارها، ولاسيما موقف خلفاء الأندلس من علماء البربر بصوره عامة وصنهاجة بصورة خاصة، بعدما ازدادت الحركة العلمية أُبان خلفاء بني العباس في المشرق الإسلامي، مما دفع ذلك روح المنافسة لدى خلفاء الأندلس في تشجيع العلماء بالرحلة لطلب العلم وجلب الكتب ونسخها، وتشجيع الترجمة، وتكريم العلماء والأدباء مؤثرين لأصحاب الحديث والإحسان إليهم والحضور في مجالسهم، والمشاركة في المناقشات والمناظرات الفكرية والأدبية(٢).

ويبدو أن عهد زاوي بن زيري مؤسس الدولة الزيرية في غرناطة وأحوازها، ترك اثراً واضحاً في المجتمع الأندلسي على مستوى الوعي الثقافي والعلمي، ومِنْ ثَمَّ فهو لم يكن داهية بالمفهوم السياسي والعسكري فقط، بل يمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال محاورته لأهل البيرة بشأن الخطر المحدق بهم من

(١) طبقات الأمم، ص٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٨/٧-٣٨٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٦٢/٨.

قبل جيش قرطبة، عندما علم أنهم يريدون بقاء صنهاجة معهم للدفاع عنهم، إذ قال لهم "إذا كان هذا رأيكم، فأرى من الصواب أن نرحل عن هذه المدينة، ونختار لأنفسنا فيما يقرب منها معقلاً نأوي إليه بأهلينا وأموالنا والحرب سجال يصيب عندها ولا يصاب، فقد يظن عجزاً ! وقد أمر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عند احتشاد المشركين على المدينة أن يخندق حواليها، وسن الحزم مع مد الوحي له فكيف نحن؟"(١)، ويدل هذا النص دلالة واضحة للقارئ المتمعن فيه أن زاوي كان على اطلاع ومعرفة واسعة في السيرة النبوية.

وكذلك الحال عندما ردّ زاوي بن زيري على المرتضى حفيد الناصر عندما طالبه بالخضوع والتسليم له، فكانت أجوبتة نارية على ظهر كتاب المرتضى بسورة الكافرون، ولما رد عليه المرتضى يتوعده، أمر كاتبه أن يكتب إليه بسورة التكاثر(٢)، ونستشف من هذه المراسلات أنه اختار أن يرد على عدوه بالقرآن، وتخير من القرآن ما يتناسب مع ظرف كل مراسلة، وكأنه يريد أن يقول للمرتضى: كفى بالقرآن واعظاً، فضلاً عن ذلك يدل دلالة واضحة أنه كان على قدر كبير من الثقافة الدينية، ولو أن مجال تخصصه الذي اشتهر به هو فن الحرب، ورسم الخطط العسكرية، ومقارعة العدو في الميادين.

وكذلك الحال بالنسبة لابن اخيه حبوس بن ماكس، إذ نشطت الحركة العلمية في عهده إيما نشاط فأنبثق عنها غزارة الإنتاج الفكري في كل صنوف العلم، إذ تجلّت عوامل ازدهار الحركة العلمية في عصر ملوك الطوائف في التأسيس الفعلي لحركة فكرية أندلسية محلية، حتى سمي ذلك بعض علماء المشارقة بالتعصب الأندلسي(٣).

اهتم حبوس بن ماكسن اهتماماً بالغاً في زيادة الوعي الثقافي والعلمي في غرناطة واحوازها والدليل على ذلك ما ذكره ابن بسّام عن ابن حيان قوله بحق حبوس: "وكان يصغي إلى الأدب، وينتمي في العرب، للأثر المقفو في قومه صنهاجة. وكان يؤثر لذلك " كتاب التيجان " لابن دريد في ذكر مناقبهم، ولا يغب سماعه ومطالعته"(٤).

---

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٣٥.

(٢) ابن بلقين، التبيان، ص٣٥.

(٣) ابن عبود، جوانب من الواقع الاندلسي في القرن الخامس الهجري، تقديم: محمد المنوني، دار ومطبعة الثورة للنشر والتوزيع- تطوان-المغرب، ١٩٨٧م، ص٢٢٠.

(٤) الذخيرة، ١/٤٦٠.

كما استقطب جملة من العلماء منهم صاحب الهندسة أصبغ بن محمد المهري[١]، الذي استقر في كنف حبوس بن ماكس بغرناطة[٢]، وكذلك من بين الرجال الذين ملكوا حظوة في بلاطه محمد بن أحمد البزلياني[٣]، الذي كان من كتابه بل أنه يعد من شيوخ الكتاب وجهابذة الأدب[٤]، وسوف نحاول أن نسلّط الضوء بشكل واضح على الحركة العلمية والفكرية لرجالات صنهاجة كما يلي:

المبحث الأول: العلوم الديّنية والأدبية:

لم تبدأ الحركة الأدبية نشاطها في قرطبة إلا منذ أن دخلها عبد الرحمن بن معاوية، وأتخذها مقراً لدولة بني أمية في الأندلس، أما في عصر الولاة فلم يكن هناك رواج للحركة الأدبية، وذلك لاشتغال الولاة في الفتوح وتثبيت اقدام المسلمين في البلاد، فضلاً عن الفتن الداخلية بين العرب أنفسهم، والعرب والبربر، وأول ما يلاحظ على الحياة الأدبية لتلك الحقبة من تاريخ الأندلس ظهور جيل من الأدباء الأندلسيين[٥]، ويؤيد ذلك ابن حزم بقوله: "منهم قواد وكتاب وفقهاء وأُدباء[٦]، وزاد في ذلك مؤلف مجهول بقوله: "إذ برز برز منهم مجموعة من الفقهاء والكتاب والأدباء والمُدرّسين"[٧]. لكن من دون التعريج على اسمائهم واكتفى بإشارة عامة عنهم.

ويعدّ الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، من أهم خلفاء الأندلس اهتماماً في العلم والأدب والمعرفة، إذ لم يسمع في الإسلام بخليفة، بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين،

---

(١) أبي القاسم اصبغ بن محمد بن أصبغ المهري كَانَ من أهل البراعة فِي الهندسة وَالْعدَد والنجامة والطب لَهُ فِي ذَلِك تصانيف سكن غرناطة وَتقدم عِنْد حبوس بن ماكس وَتُوفِّي سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م). ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ١٧٠/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١٦/٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٦٧/٩.

(٢) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ١٧٠/١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عامر البزلياني المالقي، أحد كتاب حبوس بن ماكسن الصنهاجي، ويعد شيخ الكتاب وجهابذة أهل الآداب ممن ادار الملوك ودبرها وطوى الممالك ونشرها، والى بني عباد صارت مصائره بعد تقلبه في البلاد عنوان من نثره من رقعة خاطب بها ابن عبد الله صاحب قرمونة عن حبوس بن ماكسن أمير غرناطة، توفي في سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م). ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢-٦٢٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٤٤/١-٤٤٥.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٦٢٥/٢-٦٢٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٤٤/١-٤٤٥.

(٥) دويدار، حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية-القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٢٠.

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢.

(٧) مفاخر البربر، ص١٨٦.

وإيثارها والتهمم بها، أفاد على العلم، ونوه بأهله، ورغب الناس في طلبه، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية(١)، وهو ذو علم "وكَانَ من أهل الدّين وَالْعلم رَاغِبًا فِي جمع الْعُلُوم الشَّرْعِيَّة من الْفِقْه والْحَدِيث وفنون الْعلم باحثاً عَن الْأَنْسَاب حَرِيصًا على تأليف قبائل الْعَرَب وإلحاق من درس نسبه أَو جَهله بقبيلته الَّتِي هُوَ مِنْهَا مستجلباً للْعُلَمَاء ورواة الحَدِيث من جَمِيع الْآفَاق يُشَاهد مجَالِس الْعلمَاء وَيسمع مِنْهُم ويروى عَنْهُم"(٢)، وكان من أشدّ الناس صبابة بالعلوم، ولاسيما بالأخبار والمقالات(٣).

واكسبه ذلك علماً وافراً وإدراكاً سليماً لقضايا العلم حتى أصبحت آراؤه في ميدان العلم حجة لدى العلماء، وقد أشار ابن الأبار إلى ذلك بقوله: "صَار كلّ مَا كتبه حجَّة عِنْد شُيُوخ الأندلسيين وأئمتهم ينقلونه من خطه ويحاضرون بِهِ"(٤).

وكان الحكم المستنصر جامعاً للعلوم، محباً لها مكرماً، لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحدٌ من الملوك قبله هنالك، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار، وابتياعه لها بأغلى الأثمان(٥)، وكان عالماً فقيهاً بالمذاهب أيضاً، وإماماً في معرفة الأنساب، وحافظاً للتاريخ، جماعاً للكتب، ومميزاً للرجال من كل عالم وجيل، فكان في ذلك حجة وقدوة واصلاً يوقف عنده(٦).

وبهذه الطريقة جمع الحكم الثاني مكتبة هائلة في قصره بقرطبة تضم من الكتب ما لا يحدّ ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل: إنها كانت اربعمائة ألف مجلد، وعددُ الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع واربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير(٧)، ونظم شبكة شبكة حقيقية من الباحثين عن الكتب والسماسرة والنساخين يجوبون العالم الإسلامي طوله وعرضه، لحساب الخليفة الأندلسي، بحثاً عن المؤلفات يشترونها أو ينسخونها، وجند في قرطبة عدداً كبيراً من الحُذّاق في صناعة النسخ، والمهرة في الضبط، والمجيدين في التجليد والزخرفة، استقدم بعضهم من

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٠١/١.
(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٠١/١.
(٣) ابن حزم، رسائل، ٧٥/٢.
(٤) الحلة السيراء، ٢٠٢/١.
(٥) ابن حزم، رسائل، ١٩٤/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٦.
(٦) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٤٢/٢.
(٧) المقري، نفح الطيب، ٣٩٤/١-٣٩٥.

صقلية(sicile)[١] وحتى من بغداد، يعملون تحت اشراف موظف كبير من الصقالبة العاملين في قصر الخلافة، لإثراء هذه المكتبة بنفائس المؤلفات[٢].

وبعد وفاة الحكم المستنصر سار المنصور ابن أبي عامر على خطى الحكم ومنواله، بعدما استبد بأمر الأندلس، فحذا حذوه في تقديره للعلم والعلماء، ذكره الحميدي بقوله: "وكان محباً للعلم، مؤثراً للأدب، مفرطاً في إكرام من ينتسب إليهما، ويفد عليه متوسلاً بهما، بحسب حظه منهما، وطلبه لهما، ومشاركته فيهما"[٣].

وزاد في ذلك ابن الأثير بقوله: "إذ كان عالماً محباً للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنفوا لها تصانيف كثيرة"[٤]، وكان لتكوينه العلمي ونشأته الثقافية والعلمية اللامعة، اللامعة، الأثر البالغ في موقفه من الحركة العلمية في عهده، وكان من أعظم رواد الحركة الفكرية، عالماً متمكناً من الشريعة والأدب، بارعاً في النثر والنظم، وكان يعشق مجالس العلماء والأدباء، حتى أنه كان خلال الغزو، يصطحب معه طائفة من الكتاب والشعراء، ينتظمون في مجلسه خلال حله وترحاله[٥].

وعلى الرغم من انشغاله بالجهاد والغزو، إلا أن المنصور كان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للمناظرة بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة[٦].

أ-علوم القرآن الكريم:

---

(١) وهي جزيرة تقطع عرض البحر من الجنوب إلى الشمال، وصقلّية سمّيت باسم شيقلوا على ساحل البحر الشامي من جزائر أهل المغرب مقابلة لافريقية موازية لبعض بلاد افريقية ومن الجهة الأخرى موازية لأرض الروم، وعرض هذه الجزيرة مائة وسبعة وخمسون ميلاً وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلاً، وهي حصينة كثيرة البلدان والقرى، كثيرة المواشي وأرضها تنبت الزعفران وبها المياه والأشجار والمزارع والضرع وأنواع الفواكه. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٤٨٢/١-٤٨٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٨/٢-٥٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٦٦-٣٦٨.

(٢) بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة: الطاهر احمد مكي، ط٣، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٤م، ص٨٩-٩٠.

(٣) جذوة المقتبس، ص٧٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٦؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٧.

(٤) الكامل في التاريخ، ٥٣٠/٧.

(٥) الاحاطة، ٥٩/٢-٦٠. للمزيد من التفاصيل. ينظر: محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٣٨؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ٧٠٣/١-٧٠٤.

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٦؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المغرب، ص٣٧.

أعتنى المسلمون في الأندلس بعلوم القرآن وأهتموا به؛ لأنّه المصدر التشريعي الأول للدين الإسلامي ومنبع الأحكام، فشاركوا مشاركة فعالة في ازدهار الدراسات القرآنية، فظهر القرآء والمفسرون والفقهاء والمحدثون الذين قدموا لهذا العلم الإنساني الشيء الكثير، لذا نجد هناك عناية منقطعة النظير لعلماء أهل إفريقية بتفسير القرآن، والوقوف على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر ممّا سواه مما جعل لعلم القراءات مدى كبيراً في المجتمع الأندلسي، وعنايتهم بالخطّ تبعاً لذلك، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس؛ لأنّ سند طريقتهم في ذلك متّصل بمشيخة الأندلس، لذا نجد الاهتمام بتدريس القرآن كان اساساً في التعليم للمبتدأين في الأندلس(١).

وبهذا الصدد ذكر المقري أن المسلمين اجتهدوا في علوم متنوعة بقوله: "وقراءة القرآن بالسبع(٢) ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونقٌ ووجاهة"(٣).

وكان لازدهار الحياة الدينية في الأندلس، حافزٌ ودافعٌ في ظهور العديد من علماء صنهاجة الذين تخصصوا في ميادين علوم القرآن والشريعة والفقه، ومن هؤلاء العلماء أبي القاسِم خَلَفَ بن سُليمان بن عَمْرُون البَزَّاز، ويقال له بقيل مَولَى إنعامٍ لَبني أُميَّة، وأصْله صَنهَاجيّ من أهْل إسْتِجَة، سَكَنَ قُرْطُبَة، إذ كان معلماً للقرآن نحوياً لَغوياً شَاعِراً كتَبَ عن أبي عليّ البغداديّ(٤)، ومُحَمَّد بن مُعاوية القُرشيّ(٥)، وكانَ

(١) ابن خلدون، العبر، ٧٤١/١.

(٢) والقراءات السبع هي سبعة آراء في نطق القرآن الكريم ومتواترة لدى أئمة المذاهب الأربعة ومن هؤلاء القراء: عاصم بن ابي النجود الاسدي الكوفي ونافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني وعبد الله بن كثير الداري المكي وابو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي. ينظر: الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين، البيان في تفسير القرآن، ط٤، دار الزهراء للنشر–بيروت، ١٩٧٥م، ص١٢٣–١٢٤.

(٣) نفح الطيب، ٢٢١/١.

(٤) أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي، رحل إلى الأندلس فدخلها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، إذ كان بارعاً في الادب والشعر واللغة كما ألف القالي العديد من التصانيف أشهرها كتاب الأمالي وهو كتاب في نوادر الأخبار والأشعار، والبارع في اللغة والمقصور والممدود والمهموز والأمثال والإبل ونتاجها ومقاتل الفرسان في حلي الإنسان والخيل وشياتها، توفي بقرطبة في ٧ جمادى الأولى (٣٥٦هـ/٩٦٦م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٨٣/١–٨٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦٤–١٦٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣١–٢٣٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٢٦/١–٢٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣٨/٢٦–١٤٠.

(٥) ابي بكر محمد بن مُعَاوية بن عَبْد الرَّحمن بن مُعاوية بن إسحاق بن عَبْد الله بن مُعَاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بأبن الأحمر من أهل قُرْطُبَة، كان شيخاً جليلاً حليماً ثقة فيما روى صَدُوقاً، وتُوفِّي ليلة الخميس ٢٧ من=

وكانَ حسَن الخَطّ، وولَّىَ قَضَاء شذُونَة والجَزيرة، وتُوفِّي بقُرْطُبَة لَيْلة الاثنين من ذي القعدة سنَة (٣٧٨هـ/٩٨٨م)[١]، ولعل هذا النص يعطي صورة واضحة لكونه عالماً بالقرآن ومن الفقهاء الذين لهم علم بالأحكام الشرعية، وبهذا لا يمكن لمن يكون جاهلاً بأحكام الشريعة أن يولى أمور القضاء في الناس، وإلا كيف يستطيع فض الخلافات، ورد الحقوق إلى أصحابها بالقسط والعدل.

وجاء من بعده أبو أيوب سليمان بن خلف بن سليمان بن عمرون، ويعرف بابن بقيل، وبقيل لقب أبيه، ويعرف أيضاً بابن عمرون من أهل قرطبة، كان عالماً بالقرآن والشريعة، روى عن محمد بن معاوية القرشي، وأبي عيسى الليثي[٢]، وأحمد بن مطرف[٣]، واسماعيل بن بدر[٤][٥].

=رجَب سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٧٠/٢-٧١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٨٨-٨٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٢٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ١٠٣/٢.

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٦٣/١؛ ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، فهرسة ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط٢، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان، ١٩٨٣م، ص١٠٤؛ ابن خير الأشبيلي، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي (ت: ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، فهرسة ابن خير الأشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ١٩٩٨م، ص٢٩٧ و ص٣٢٢؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١٧٤/٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٦٧/٣.

(٢) أَبَي عِيسَى يَحْيَى بن عبد الله بن يَحْيَى بن يَحْيَى بن يحيى بنِ وِسْلاسَ اللَّيْثِيُّ المَالِكِيُّ، من أَهْلِ قُرْطُبَة، إذ كان قاضيًا ببجّانَةَ وإِلبِيرَة، ورَحَل النّاس إليه من جميع مدن الأَنْدَلُس وتوفي في ٢٢ من رجب سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٨٩/٢-٩٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٦٧/١٦-٢٦٨.

(٣) أبو عُمر احمدُ بن مُطَرِّف بن عَبْد الرَّحْمن بن قَاسِم بن عَلْقمة بن جابر بن بَدْر الأَزْدِيّ من أهل قُرْطبة، يعرف بابن المشّاطْ، رحَل جده مع عبد الرحمن بن مُعاوية وكان ضمن رجاله وكان يُكْتَبُ أَمَويا لِموالاَته لَهُمْ وأَزْدِياً من أَنْفُسِهم، إذ كان رجلاً صالحاً فاضلاً زاهداً ورعاً مُعْتَنياً بالآثار والسنَن له شأن كبير عند ولاة الأندلس يشاورونه فيمن يصلح للأمور، كما وُلّي الصلاة بقُرطبةَ، تُوفِّيَ في سنةَ (٣٥٢هـ/٩٦٣م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٥٦/١-٥٧؛ ابن ماكولا، الإكمال، ٥٢٢/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٤٧-١٤٨؛ ابن عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، مطبعة فضالة – المحمدية- المغرب، ١٩٨١م، ١٣٤/٦-١٣٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٠٧-٢٠٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٩/٢٦.

(٤) أبو بكر إسماعيل بن بَدْر بن زِياد من أهْل قُرطبة، شاعر وأديب مشهور في خلافة عبد الرحمن الناصر وولاه أَحْكَامَ السُّوق في اشبيلية وتُوفِّيَ في أول خلافة المسْتَنْصر باللهِ سَنةَ (٣٥١هـ/٩٦٢م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٨٠/١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٦/١٦.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ص١٩٤-١٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٢٨.

وكذلك روى عن اهل الحديث كابن عون الله[١] ووهب بن مسرة[٢] وأبي علي القالي، سمع عليه كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك، وأجاز له الكثير من علماء قرطبة، وهو خير فاضل ولي قضاء أستجة، وتوفي يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان (٤٠٨هـ/١٠١٧م) ودفن بمقبرة أم سلمة بعد صلاة العصر أيام دولة على بن حمود[٣].

وكذلك أبو ثابت فَرَج بن عَيْشُون بن إسحاق بن عَيْشُون السطي[٤] الأندلسي من سكنة مدينة أهل أَسْتِجَة، وتولى امامة المدينة لعلمه الوافر وصلاحه بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي، إذ سَمِعَ من القاسِم بن أَصْبَغ[٥] كثيراً[٦]، كما سمع من الحسن بن سعد[٧]، وكان لابن الفرضي ايضاً سمع كثيراً عن عن ابن عيشون السطي لما حدث به عن سنة رسول الله محمد (صل الله عليه وآله وسلم)، وكما وُلّي الصلاة بحاضرة استجة إلى أن توفي في رمضان من سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م)[٨].

---

(١) أبو جعفر أحمدُ بن عَوْن الله بن حُدَير بن يَحْيى بن تبع بن تبيع البزَّاز من أهل قُرطبةَ وكان شَيْخاً صَالحاً صَدُوقاً، صَارِماً في السُّنَّة متَشَدِّداً على أهلِ البِدع تُوفِّيَ ليلة السَّبت في ١٧ من شَهرْ ربيع الآخر سنة _٣٧٨هـ/٩٨٨م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٦٧/١-٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١٧/٥-١٢٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٩٠/١٦.

(٢) أبي الحزم وَهب بن مَسَرَّة بن مُفَرِّج بن حَكَم التميمي المالكي من أَهلِ وَادِي الحِجَارَة إماماً حَافِظاً للفقه ثقة بَصِيراً بالحديث مع ورع وفضل، وكانت الرحلة إليه من الثّغر كله للسماع منه واسْتُقْدِمَ إلى قُرْطُبَة للتدريس فيها وتُوفِّيَ ليلة الأحد في ١٦ من شعبان سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) بوَادِي الحِجَارَة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٦١/٢-١٦٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٦٠؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٦٤/٦-١٦٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٧٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٩٩٨م، ٧١/٣.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص١٩٤-١٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٢٨.

(٤) سطة: قبيلة شهيرة بشمال إقليم فاس، وهي من شعب صنهاجة. ينظر: ابن منصور، قبائل المغرب، ١/ ٣١٦ و٣٣٤.

(٥) القاسم بْن أصبغ بْن محمد بْن يوسف بْن واضح من أهل قرطبة، كَانَ إِمَامًا من أَئِمَّة الْعلم مكثراً مصنفاً، وَمن تصانيفه تصانيفه كتاب الْخمر وكتاب السنن وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب فِي أَحْكَام الْقُرْآن على أَبْوَاب، وتوفي سنة (٣٤٠هـ/٩٥١). ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٩٢/٢٥-١٩٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨٥/٢٤.

(٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٣٩٢/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢٧.

(٧) أبو عليّ الحسن بن سعد بن إدريس بن خَلَف بن رزين بن كسيلة بن مليكة الكُتاميّ البربريّ من أهل قرطبة شيخاً صالحاً من كتاب الحديث النبوي الشريف، وكان يذْهب الى النَّظر وتركِ التَّقْليد وَيَميلُ إلى قَوْل محمد بن إدريس الشَّافعي، توفي في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٢٩/١-١٣٠؛ ابن ماكولا، الإكمال، ١٣٥/٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٨/٣-٥٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/١٢-١٩.

(٨) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٣٩٢/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢٧.

كما كان أبو محمد سرواس بن حمود الصنهاجي، الذي سكن مدينة طليطلة، معلماً للقرآن الكريم وحّدث بها عن أبي ميمونة دراس بن إسماعيل(١)، وكان من أصحابه وحدث عنه الصاحبان(٢)، وتوفي في ربيع الأول من سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م)(٣).

ب-علم الحديث:

وكان لعلوم الحديث اثر واضح عندما تم تدوينه في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ومطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي(٤)، ولاسيما المناقشات في الحديث وانواعه والرواية والسند والتواتر، وطبقات الصحابة والقرب من زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأهمية التي دفعت العلماء لدراسة هذا العلم، لكونه يعّد المصدر التشريعي الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم، وأحد الأعمدة الفكرية، مما لاقى اهتماماً واسعاً لدى الأمة الإسلامية عامة والأندلس خاصة، وأصبحت كل من قرطبة، وغرناطة، وبلنسية وغيرها من المدن الأندلسية منارات الحياة الفكرية لهذا العلم.

(١) أبو ميمونة دَرَّاسُ بن إسماعيلَ من اهْل مَدِينة فَاس، فقهياً حَافِظاً للرأي عَلَى مَذْهب مَالِك بن انس، إذ دخل الأندلس مجاهداً، وطالباً فتردد بها في الثغر من الحفّاظ المعدودين، والأئمة المبرّزين من أهل الفضل والدين، وتُوفِّي في ذي الحجة سَنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) بمدينة فَاس. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٧٣/١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٨١/٦-٨٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٢/٢٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧/١٤.

(٢) والصاحبان هما: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الأموي من أهل طليطلة وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبيدة عبيدة الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون، وكانا معاً كفرسي رهان في العناية الكاملة بالعلم والبحث على الرواية والتقييد لها والضبط لمشكلها. ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص٢٥-٢٦ و ٩١؛ الصالحي، طبقات علماء الحديث، ٢٨٥/٣-٢٨٦؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٩٤/٣.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٢٢٧؛ السُّوْدُوْنِي، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط١، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة- صنعاء- اليمن، ٢٠١١م، ٤٢١/٤-٤٢٢.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٠٨/١.

ومن أوائل الكتب التي كانت لها شهرة واسعة النطاق في علم رواية الحديث، هو كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ/٧٩٥م)، الذي جمع فيه ما صح من أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ دخل الأندلس، وأصبح مذهبهم ولقبوا بالمالكية[١].

ومن الذين برعوا بهذا العلم من رجالات صنهاجة هو أبو ثابت فَرَج بن عَيْشُون بن إسحاق بن عَيْشُون السطي (ت: ٣٨٩هـ/٩٩٨م)، الذي كان عالماً بالحديث والسنة النبوية كما اشرنا إلى ترجمته في علوم القرآن[٢]، وكذلك أبو محمد سرواس بن حمود الصنهاجي(ت: ٣٩١هـ/١٠٠٠م) الذي برز في رواية الحديث النبوي[٣]، وإلى جانب ذلك برز أبو محمد عبد الله بن إبْراهِيم بن محمد اللواتي الصنهاجي(ت: ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، الذي برع بعلم الكَلام والنّظر، مَنسُوباً إلى مَعرِفة الحديث، وجمع كتاباً في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سماه الدلائل، فكان احفظ الناس بالحديث ومعانيه وأعلمهم وأبصرهم بعلله ورجاله والإتقان للنقل، والبصر بالنقد، والحفظ للأصول، والحذق برأي أهل المدينة، والقيام بمذهب المالكية، والجدل فيه على أصول البغداديين، فرداً لا نظير له في زمانه، وكان الأصيلي من حُفّاظ رأي مالك، وكان يدرس كِتاب البُخاريّ رِوايَة أبي زيد المرْوَزيّ[٤].

(١) الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط١، منشورات الشريف الرضي- أمير-قم، ١٩٩٦م، ص٢١٣-٢١٥؛ شلبي، ابو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة- القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٧٤ و ١٩١-١٩٢.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٣٩٢/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢٧.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٢٢٧.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٩٠/١.

وكذلك أبو محمد عبد الله بن سلام الصنهاجي من أهل قرطبة، الذي كان من رواة الحديث، إذ روى عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم[١]، وسمع منه وحدّث عنه قاسم بن إبراهيم الخزرجي[٢]، وإلى جانب ذلك كان رجلاً صالحاً زاهداً، وتوفي سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)[٣].

ومِنْ ثَمَّ ترك هؤلاء الأعلام من رجالات صنهاجة آثاراً واضحة في تطور الحركة العلمية لعنايتهم بالحديث ورجاله، وما من شك أن هؤلاء المحدثين أدوا دوراً مهماً في انتشار علم الحديث بالأندلس وازدهار الدراسات الدينية في البلاد.

جـ- علم الفقه:

أما الفقه الذي يعني "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر والنّدب والكراهة والإباحة وهي متلقّاة من الكتاب والسّنّة وما نصبه الشّارع لمعرفتها من الأدلّة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلّة قيل لها فقه"[٤]، فأحتل هذا العلم مكانة مهمة بين العلماء ويصف لنا هذا الواقع المقري بقوله: "وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى إن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه؛ لأنّها عندهم أرفع السّمات"[٥]، ومِنْ ثَمَّ حصل الفقهاء على المنزلة الرفيعة التي خولتهم من التقرب من الحكام للحصول على منصب القضاء فتهافت فقهاء البربر عامة وصنهاجة خاصة على تولي منصب القضاء في الأندلس، وربما كان هذا حافزاً مشجعاً في اقبال الكثير منهم على دراسة الفقه وتعلم مسائله؛ لأنّ الفقيه حضي بمكانة وتقدير وإجلال خاص في بلاد الأندلس من جهة، ولأنّ معظم الوظائف والمناصب في الدولة كالقضاء، والشورى، والحسبة، والفتوى تقع على عاتق الفقهاء، ولهذا تسابق العلماء بالأندلس

(١) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي، أصله من طليطلة، سكن قرطبة لطلب العلم، ثم استوطنها، كان خيراً فاضلاً ديناً ورعاً، مجتهداً فقيهاً عابداً زاهداً، حَافِظاً للفِقْه عَلَى مَذْهب مالك مُشَاوراً في الأحْكام صدْراً في الفتيا ويُنَاظر عَلَيه في الفِقْه توفي في طليطلة سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٨٧/١-٨٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٧٩/١٦-٨٠.

(٢) أبو محمد قاسم بن ابراهيم بن قاسم بن يزيد بن يوسف الانصاري الخزرجي، الذي يعرف بابن الصابوني، عالماً في القرآن والحديث واسع الأدب، من أهل قرطبة سكن اشبيلية، من مؤلفاته: اختيار الجليس والصاحب، وفضل العلم، وفضل الاذان، وفضائل عاشوراء، توفي في سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م). ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص٤٤٥.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٢٤٥.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٥٦٣/١.

(٥) نفح الطيب، ٢٢١/١.

على تعلّم الفقه، وعلوم القرآن، والشريعة من جهة أخرى، إلا أن العالم الزاهد عبد العزيز التونسي[١] الذي "درسّ الناس الفقه عليه، ثم تركه لما رآهم نالوا بذلك الخطط والعمالات وقال: صرنا بتعليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص"[٢].

ومن هؤلاء الذين كان لهم دور بارز في علوم الفقه الإمام أبو محمد عبد الله بن إبْراهِيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر اللواتي الصنهاجي من أهلِ أصِيلة، بغربي طنجة، وأصله من كورة شذونة من بلاد الأندلس وكان جده من مسالمة[٣] أهل الذمة ورحل أبوه إبراهيم إلى أصيلة من بلاد العدوة المغربية بعدما كان وراقاً للخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر[٤]، وكان اللواتي من كبار أصحاب الحديث والفقه، ولُقّبَ بشيخ المالكية وعالم الأندلس، إذ قَدِمْ قُرطُبة سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م)، فسَمِع بها من أحمد بن مُطَرّفٍ،

(١) أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي، المعروف بابن بزيزة من الفقهاء وعلماء التفسير والكلام، ورواة الحديث والأدب، ومن أئمة المالكية، من أهل تونس، له تصانيف منها تفسير القرآن جمع فيه بين ابن عطية والزمخشري وشرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي في فقه الحديث، توفي في تونس سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م). ينظر: الأدناوي، أحمد بن محمد (ت: ق ١١ الهجري/ ق ١٧ الميلادي)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ١٩٩٧م، ص٤٢٦؛ محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٤م، ١/٩٥-٩٧.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص٣٥٨؛ ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت: ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: احمد التوفيق، ط٢، منشورات كلية الآداب–الرباط– مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص٩٢.

(٣) هو لفظ يطلق على كل رجل دخل في الاسلام حديثاً من النصارى وغيرهم من ابناء الديانات الأخرى بالبلاد الاسلامية. ينظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١/٣٤٦؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطان ط١، دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت، ١٩٩٧م، ١/٨٤١.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١/٢٩٠-٢٩١؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٧/١٣٥-١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥١/٦٧-٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠-٣٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٢١٣؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ١/٣٠٢-٣٠٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٤/٢٧٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢-٤٣؛ الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي– بيروت – لبنان، ١٩٧٠م، ص١٦٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٥٦٠-٥٦١.

وأحمد بن سَعيد[١]، ومحمد بن مُعاوية القُرَشي، وأبو بكر اللؤلؤي[٢]، والقاضي ابن السليم[٣][٤]، ثم رحل إلى بجانة(Pechina)[٥]، وسمع فيها عن ابن فحلون[٦]، ومِنْ ثَمَّ رَحَل إلى وادِي الحِجارة والتقى

(١) أبو عُمر أحمدُ بن سَعيد بن حَزْم بن يُونس الصدفي من أهل قُرطبةَ، عُنِي بالآثار والسُّنَن وجَمْع الحَديث والتاريخ من علماء مكة ومصر ثم رحل منها إلى الأَنْدَلُس فصنف تاريخاً في المحدِّثين بلغ فيه الغاية وتُوفِّيَ ليلة الخميس ٢٣ من جُمادى الآخرة سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١/٥٥-٥٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٢٥-١٢٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨١-١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٢٦٨/١.

(٢) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ اللُّؤْلُؤِيُّ، فَقِيْهُ قُرْطُبَةَ وشَيْخُ المَالِكِيَّةِ، وكَانَ أَفْقَهَ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَأَبْصَرَهُم بِالفُتْيَا، وَعَلَيْهِ مَدَارُ العِلْمِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (٣٥٠هـ/٩٦١م). ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٢٧-٢٨.

(٣) ابو بكر محمد بن إسحاق بن بن منذر بن ابراهيم بن السليم الاموي المالكي، من أشراف كورة شذونة، تولى اجداده لبني أمية، وإليهم تنسب المدينة المعروفة ببني السليم، من كورة شذونة، تولى منصب قاضي الجماعة بقرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، كان حافظاً للفقه، عالماً بالحديث، ضابطاً لما رواه، متصرفاً في علم النحو واللغة والشعر، حسن الخطابة والبلاغة، وله عند أهل الأندلس مكانة ومنزلة في العلم والفضل معروفة، وكان مع هيبته ورياسته حسن العشرة والأنس، كريم النفس، توفي في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ٢/٧٩-٨٠؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٣؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٦/٢٨٠-٢٨٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٩-٦٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/٢١٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٢٤٤.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١/٢٩٠-٢٩١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٧/١٣٥-١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥١/٦٧-٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠-٣٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٢١٣؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ١/٣٠٢-٣٠٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٤/٢٧٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢-٤٣؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٥٦٠-٥٦١.

(٥) وهي مدينة بالأندلس تقع على ساحل خليج بحر الروم ذوات نعم كثيرة الثمار والخيرات والبساتين والمتنزهات والكروم، وخربت مدينة بجانة بعمارة مدينة المرية، وذكر أيضاً أن بجانة من أعمال كورة البيرة. ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٧-٣٨، و٤١-٤٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٨٦-٨٧؛ البكري، المسالك والممالك، ٢/٨٩٢-٨٩٣، و ٨٩٨؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٢٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٦٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٩-٨٠.

(٦) أبو عثمان سَعِيد بن فحلون بن سَعِيد الأندلسي، اصله من أهل إلبيرة وسكن بجَّانَة، محدث الأندلس صدوقاً لهُ أخلاق كريمة، راوياً لكِتَابِ (الوَاضحَةِ) لِعَبْدِ المَلِكِ بنِ حَبِيْبٍ، تُوفِّي يَوم الثَّلاثاء في ٢ من رَجَب سَنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وهُو ابن ثَلاثٍ وتسعين سَنة وستة أشهُر ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ١/٢٠٠-٢٠١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣١١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٥١؛ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر- القاهرة، د.ت، ١/٣٩١-٣٩٢.

بوَهْب بن مَسَرّة فَسَمِع منهُ وأقَام عندهُ سَبْعة أشْهُر، ثم ارتحل إلى المَشْرِق فدخل القيروان في المحرمَ سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م)، لقي بها شيوخ إفريقية كأبي العباس[١] ومحمد بن احمد التميمي[٢]، وعلي بن محمد الدباغ[٣]، وعبد الله بن أبي زيد[٤] ثم رحل منها إلى مصر مع أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه الزاهد ومعه علي بن محمد القابسي[٥] أيضاً، فسمع بمصر من القاضي أبي طاهر البغدادي[٦]، البغدادي[٦]،

(١) أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الأبياني من اهل تونس، كان من شيوخ أهل العلم وحافظاً لمذهب مالك من أهل الخير يميل إلى مذهب الشافعي، صالحاً ثقة مأموناً فقيهاً عاقلاً حليماً نبيلاً فصيحاً، جيد الاستنباط، توفي في سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م). ينظر: ابن عياض، ترتيب المدارك، ٦/١٠-١٨؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٠.

(٢) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي القيرواني، مؤرخ جليل من فقهاء المالكية مفتيا عالمًا بعلم الحديث والرجال وله مصنفات منها: كتاب فضائل مالك بن انس وطبقات علماء إفريقية، وطبقات عباد افريقية، توفي في سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م). ينظر: أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني- بيروت – لبنان، د.ت، ص١-٣٨؛ ابن ماكولا، الاكمال، ٧/١١؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٥/٣٢٣-٣٢٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٥/٣٩٤-٣٩٥.

(٣) أبو الحسن بن علي بن محمد بن مسرور الدباغ القيرواني، فقيه المالكية من أهل العلم والورع والتواضع، ثقة في الحديث، توفي سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م). ينظر: ابن عياض، ترتيب المدارك، ٦/٢٥٨-٢٦٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢/٨٩.

(٤) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي، كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية واديباً وشاعراً، وإليه انتهت الرياسة في الفقه وكان يسمى مالك الصغير وله كتب كثيرة منها كتاب النوادر والزيادات على المدونة، وكتاب مختصر المدونة، وكتاب تفسير أوقات الصلوات ومات سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) . ينظر: ابن عياض، ترتيب المدارك، ٦/٢١٥-٢٢٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٧/١٠-١٣.

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي، من أهل قابس بالمغرب، فقيه على مذهب مالك من فقهاء القيروان، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به، وصنف في الحديث كتاب (الملخص) جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس في كتاب الموطإ توفي في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م). ينظر: ابن ماكولا، الإكمال، ٦/٣٦٠؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٧/٩٢-٩٦؛ ابن خلكان، الوافي بالوفيات، ٣/٣٢٠-٣٢١؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦١.

(٦) أبو طاهر المخلص محمد بن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ البغدادي الذهبي، المُحَدِّثُ الصَّدُوْقُ، توفي سنة (٣٩٣هـ/١٠٠١م).ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٣/١٢٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/٤٧٨-٤٧٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣/١٩٠-١٩١.

وابن شعبان[١]، وحمزة بن محمد الكناني[٢][٣]، وأبي محمد الحسن بن رشيق[٤]، ومحمد بن عبد الله بن بن حيوية[٥] ومِنْ ثَمَّ إلى الحجاز لإداء فريضة الحج سنة (٣٥٣هـ/٩٦٦م)، فسمع من شيوخها ومنهم أبي زيد محمد بن أحمد المروزي[٦] الفقيه، وَأَبي بكر الْآجُرِيّ[٧]، ثم رحل منها إلى العراق ودَخَل بَغدادَ بَغدادَ أيام

(١) أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن شعبان الفقيه من أهل مصر كان مصنفًا على مذهب مالك بن انس، كان له معرفة بسائر العلوم من اللغة والادب والتاريخ، واسع الرواية كثير الحديث، ومن مصنفاته الزاهي الشعباني المشهور في الفقه، وكتاب في أحكام القرآن، توفي سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م). ينظر: ابن ماكولا، الاكمال، ١١٠/٧؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ٢٧٤/٥-٢٧٥؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٥٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٧٨/١٧-٧٩.

(٢) أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني المصري الحافظ قال مسلمة: بصري، بصير بالأحاديث والأسانيد توفي في سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م). ينظر: ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر-بيروت-لبنان، ١٩٨٨م، ٢٩٥٧/٦-٢٩٥٨؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معجم الشيوخ، تحقيق: بشار عواد وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٤٠؛ السُّوْدُوْنِي، الثقات، ٣٦/٤.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٩٠/١-٢٩١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٣٥/٧-١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٧/٥١-٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠-٣٤١.

(٤) أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف كثيرة منها: كتاب العمدة في معرفة معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد، توفي في جزيرة صقلية سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٨٥/٢-٨٦.

(٥) القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية النيسابوري، أحد أئمة الشافعية في الفرائض، ثقة في الحديث الحديث توفي ليلة الاثنين في ١٨ من شهر رجب سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م). ينظر: ابن عساكر، ٣٤٧/٥٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦٠/١٦-١٦١؛ الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم وآخرون، ط١، دار الوفاء- المنصورة، ١٩٩٣م، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٦) أبو زيد مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عَبْد اللَّه المروزي الفقيه، كان حافظاً للمذهب الشافعي، حسن النظر مشهوراً بالزهد والورع، والورع، توفي أبو زيد الفقيه بمرور يوم الخميس في ١٣ من رجب سنة (٣٧١هـ/٩٨١م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٣٣٠/١.

(٧) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، الفقيه الشافعي المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثاً، وكان وكان ثقة في الحديث صدوقاً ديناً، وله تصنيفات كثيرة منها كِتَابُ الشَّرِيعَةِ فِي السُّنَّةِ وَالرُّؤْيَةِ والغُرباءِ، توفي في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٢٣٩/٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٩٢/٤-٢٩٣.

حكم صاحبُ الدّولة أحمد بن بُويه الأقْطَع[١]، فلقي بها أَبِي بَكْر الْأَبْهَرِي[٢][٣]، وتَفَقّه هُنالِك لمالِك، وروى وروى عنه علي بن عمر الدارقطني[٤]، وسمع من محمد بن عبد الله البزاز[٥] أيضاً، ومحمد بن أحمد الصواف[٦]، وحبيب بن الحسن[٧]، وأحمد بن يوسف[٨]، إذ أقام بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً فوصلت فوصلت أخباره إلى مسامع الحكم المستنصر الذي كان معتنياً بهذا الشأن، فاستقدمه من العراق فأقبل إلى

(١) أبو الحسين أحمد بن ابي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن بهرام جور الملك بن يزد جردين، لقب بمعز الدولة صاحب العراق والأهواز يقال له الأقطع لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى، ووصوله إلى بغداد من جهة الأهواز، فدخلها متملكاً في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وتوفي في سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م). ينظر: ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، سروش- طهران، ٢٠٠٠م، ٢٧٨/٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٧٤/١-١٧٦.

(٢) أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صالح الأبهري الفقيه المالكي، كان ثقة في الحديث أميناً انتهت إليه الرياسة في مذهب مالك، وله تصانيف كثيرة منها كتاب شرح مذهب مالك بن أنس والاحتجاج. توفي في سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٨١/٣-٨٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٣٢/١٦-٣٣٣.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٩٠/١-٢٩١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٣٥/٧-١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٧/٥١-٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠-٣٤١.

(٤) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، وقد برع في مختلف العلوم كالقراءات والفقه والنحو والادب، ولكنه برز في الحديث وعلومه، ولاسيما في العلل وصار يسمى امير المؤمنين في الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة وله مصنفات كثيرة منها كتاب السنن والضعفاء والمتروكين، توفي في سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م)). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٣٤/١٢-٣٩؛ ابن المستوفي، تاريخ اربل، ٣٦٨/٢؛ ابن خلكان وفيات الاعيان، ٢٩٧/٣-٢٩٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤٤٩/١٦-٤٥٧.

(٥) أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزاز الشافعي، ثقة كثير الحديث حسن التصنيف، توفي في سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٧٥/٣-٧٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٥/٢٦-١١٧؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- بيروت- لبنان، ١٩٩٧م، ٢٨٢/١٥.

(٦) أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ، المعروف بابْنُ الصَّوَّافِ، عالم في الحديث ثقة، تُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سَنَة (٣٥٩هـ/٩٦٩م). ينظر: ابن المستوفي، تاريخ اربل، ٦٢١/٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٨٤/١٦-١٨٥.

(٧) أَبُي الْقَاسِم القزاز حبيب بْن الْحَسَن بْن داود، عالم في الفقه والحديث ثقة، توفي سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م). ينظر: الخطيب الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٢٤٧/٨-٢٤٨؛ ابن أبي يعلى، ابو الحسن محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ/١١٣١م)، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ١٩٥٢م، ٤٧/٢.

(٨) أَبو بَكْر أَحْمَد بْن يُوسُف بْن أَحْمَد بْن خلاد العطار، وأصله من نصيبين وكَانَ أحد الشيوخ الثقات عند الحكام، توفي يوم الأربعاء ودفن يوم الخميس في ٢٠ من صفر سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٤٢٩/٥-٤٣٠؛ ابن نقطة الحنبلي، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص١٨٤-١٨٥.

الأندلس، فلما وصل إلى المرية مات الحكم المستنصر فانعكس أمله وبقي حائراً، ثم بعدها ذهب إلى قرطبة حاضرة السلطان ونشر بها علمه كالفقه والحديث، كما جمَع كِتاباً في اختلاف مالِك والشّافعي وأبي حنيفة سَمّاه (كتاب الدّلائل على أمّهات المسائل)، إلا أنه بقي مدة حتى هم بالانصراف مرة ثانية إلى المشرق، إلا أنه علق بحبل محمد بن أبي عامر، وكان قد عرف مكانته في العلم وبُعد أثره فيه، فرغب في اصطناعه وأجرى عليه الأرزاق فعظمه ابن أبي عامر على غاية التعظيم، وأخرج أمر السلطان بتوليه قضاء سرقسطة، والسبب ما حدث بين الأصيلي وابن زرب القاضي(١)، وأصحابه مشاحنة، أثارتها النفاسة، وعلو مكانة الأصيلي في العلم، وتفوقه عليهم، فأراد ابن أبي عامر صلاح حالهم بتفريقهم، فقلد الأصيلي قضاء سرقسطة، فدارت بين الأصيلي ووالِيها بين يدي ابن أبي عامر منافسة، ومحارجة لأشياء أنكرها عليه الأصيلي، وكان في خلق الأصيلي حرج، فطلب أن يعفى من القضاء فعوفي، فصرفه ابن أبي عامر عن القضاء، صرفاً جميلاً، وأراد حاجته الى قربه بالحضرة، فأمر بتقديمه للشورى بقرطبة، ولاسيما بعد وفاة القاضي ابن زرب، فإنه استكملت رئاسته، حتى كان بالأندلس نظير ابن أبي زيد بالقيروان وعلى هديه، وكان من حفاظ مذهب مالك بن انس(٢).

وذكر أن الأصيلي استدعاه ابن أبي عامر للفتوى مع عدد من الفقهاء، فاستشارهم في أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة، أراد شراءها، فمنعه جماعة الفقهاء منها، غير الأصيلي وحده فإنه أفتاه بجوازه، واحتج لذلك، فرجع ابن صاعد منهم الى قوله، والأصيلي أفتى لابن أبي عامر بجواز

(١) ابو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي، شيخ المالكية وقاضي الجماعة بقرطبة، وكان فقيهاً، نبيلاً، فاضلاً، جليلاً وله كتاب في الفقه سماه الخصال في مذهب مالك عَارض بِهِ كتاب الْخِصَال لِابْنِ كاس الْحَنَفِيّ فجَاء فِي غَايَة الإتقان وَله الرَّد على ابْن مَسَرَّة وَكَانَ بَصيرًا بِالْعَرَبِيَّةِ والحساب في أوائل الدولة العامرية، توفي في سنة (٣٨١هـ/٩٩١م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٠٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٤٦-١٤٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤١٤/١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٢٠/٥.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٩٠/١-٢٩١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٣٥/٧-١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٧/٥١-٦٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠-٣٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٣/١؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ٣٠٢/١-٣٠٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٧٥/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢-٤٣؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٦٠/١٦-٥٦١.

الصلاة، في العمارية[١] أيضاً التي كان يلزم الركوب فيها في أسفاره، وإباحة ذلك في الفريضة، دون النزول بالأرض إذا كانت صلاته إيماء للوجع الذي أصاب قدميه من علة النقرس[٢].

وقرأَ علَيْه النّاس كِتاب البُخاريّ برِوايَة شيخ الشافعية القاضي أبي زيد محمد بن أَحْمَدَ المَرْوَزِيُّ، وكانَ اللواتي حرِجَ الصّدر، ضَيِّق الخُلْق وكان عالِماً بالكَلام والنّظر، وله كتاب الدلائل، ونوادر حديث، في خمسة أجزاء، والانتصار، ورسالة المواعد المنتجزة، ورسالة الرد على من استحل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسالة الرد على ما شذ فيه الأندلسيون، وتوفي ليلة الخميس في ١٩ من ذي الحجة سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م)، على أثر موت ابن أبي عامر، وجهزه عبد الملك المظفر ابن أبي عامر على عادته للفقهاء، وبعث إلى ابنه أكفاناً له وحنوطاً من عنده، رعاية لمكانة من أبيه المنصور، فقبل ابنه كرامته، وجهز شيخه فيما كان أعده لنفسه، وأوصى أن يدفن في خمسة أثواب، وكان آخر ما سمع منه لما احتضر اللهم إنك قد وعدت بالجزاء عند كل مصيبة، ولا مصيبة عليّ أعظم من نفسي، فأحسن جزائي عنها يا أرحم الراحمين، ثم خفت وكان قد أعدّ قبره لنفسه، يقف عليه ويتعظ به، وكان كثيراً ما يتخوف من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وما يجري فيها من الفتن، فذكر يوماً شأنها في مجلسه، ودعا الله تعالى أن يتوفاه قبلها، وفعلاً حصل ذلك، ودُفِنَ يوم الخَميس بعد صَلاة العصرِ بِمَقْبَرة الرّصافة، وهوَ ابن ثمانٍ وستين سنة[٣].

وهذا أنموذج من علماء صنهاجة أعطانا اهمية بالغة للرحلات العلمية التي قام بها، التي أثرْت الحركة الفكرية والثقافية في سبيل تحصيل العلوم والمعارف، ومِنْ ثَمَّ كانت الرحلة إلى المشرق محط انظار طلبة العلم، فكانوا يسعون جاهدين للقاء العلماء والأساتذة منهم، ونلحظ ذلك من خلال ما أشار إليه

---

(١) مِحْمَلٌ كَبِيرٌ مُظَلَّلٌ يُجْعَلُ عَلَى الْبَعِيرِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كِلَيْهِمَا. ينظر: ابن بطال الركبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان(ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِيرِ غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ، دراسة وتحقيق وتعليق: مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية– مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ١٨٣/١.

(٢) ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٤٠/٧.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٩٠/١–٢٩١؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ١٤١/٧–١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٧/٥١–٦٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٣/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢–٤٣؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٦٠/١٦–٥٦١.

ابن خلدون في ضرورة الرحلة لطلب العلم بقوله: "لا بدّ له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة"(١).

ومِنْ ثَمَّ اتسمت رحلته بالنتاج العلمي والثقافي الغزير والمتنوع، فلا غرو أن تكون هذه الرحلة من أعظم الرحلات التي وطدت الصلات العلمية بين المغرب والمشرق، إذ أشارت بوضوح مشاركته لهؤلاء العلماء في الجانب العلمي، ومدى اسهامه في ذلك التبادل الحضاري، الذي كان قائماً بين بلدان المشرق الإسلامي، بلقاء هذا العالم الصنهاجي بكبار العلماء والشيوخ للأخذ بالرواية عنهم، فأصبح بذلك حلقة اتصال علمي وثقافي.

وعلى ما يبدو أن السبب الحقيقي وراء انتشار الرحلة في طلب العلم، هي الظروف الداخلية التي عاشتها الأندلس أبان حقبة الحكم المستنصر والمنصور ابن أبي عامر، من شيوع الأمن وحرية الفكر واهتمامهم الشديد بالعلم وتشجيعهم للرحلة لجلب أمهات الكتب من المشرق، ورغبتهم في تحصيل المعارف وشغفهم بها مبكراً، وهذا كله خلق بيئة سليمة لنهضة علمية واسعة النطاق.

ومن علماء صنهاجة في هذا المجال، أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي(٢) الصنهاجي أيضاً، وكان يُعْرَفُ بالخيَّاط، الذي برع بعلوم القرآن والفقه، فكان فقيهاً عالماً بالمسائل، حافظاً على مَذْهَب مَالك، حَسَن التكلم في الفِقْه، وورعاً زَاهِداً فاضلاً سَكَنَ الثغر أعواماً كثيرة مُجاهداً، وكان مَنْسُوباً إلى البأس واشتهر في الثغر وذاع صيته هُناك، وقدم قُرطبة فتُوفيِّ فيها ليلة الثلاثاء لثلاث خَلون من جُمادى الأولى سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، وهو ابن ست وخمسين سنة ودُفن في مَقْبُرة الرَبض(٣).

(١) العبر، ٥٤٨/١.

(٢) كانت الطبقة الأولى من صنهاجة والتي كان أهلها بنو ملكان بن كرت والتي كانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر ولمدية وملیانة وكانت اكبر حواضره من جزائر بني مزغنة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٧٧/١.

وكما برز في علوم الفقه أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم بْن أبي زَيْد اللواتي الصنهاجي أيضاً وهو من أَهْلَ مرسية[١]، سَمِعَ من أحمد بن محمد[٢] الطلمنكي(Talamanca)[٣]، ورحل إِلَى الْمشرق فلقي القَاضِي عَبْد الوهّاب بْن عَلِيّ[٤] بِمصْر وَقَرَأَ عَلَيْهِ بِجَامِع الْفسْطَاط التَّلْقِين لَهُ والمعونة فِي جمع حاشد أَكثر من خَمْسمِائَة وَسمع أَخُوهُ أَبُو الْحُسَيْن يحيى بن إِبْرَاهِيم اللواتي الصنهاجي المقرىء، وَعنهُ خَبره وَأَجَازَ لَهما عَبْد الوهّاب كتبه كلهَا وَمَا رَوَاهُ وَذَلِكَ سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) قبل وفاته بقليل[٥].

كما برز في الفقه أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي الصنهاجي أيضاً، وأصله من العدوة وولاه سليمان بن حكم أمير البرابرة الشورى بقرطبة، وكان حسن التفقه، وقد نوظر عليه في المسائل، وكان لا يحسن سواها، وكان عفيفاً متواضعاً وتوفي في آخر شوال سنة(ت:٤٣١هـ/١٠٣٩م)، ودفن بمقبرة العباس، وصلى عليه القاضي المصروف أبو بكر بن ذكوان[٦].

---

(١) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ٢٢/١؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٥٦/١.

(٢) أبي عُمَر احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، فقيه ومحدث واسع الرواية كان أول من أدخل القراءات إليها، حيث جلس لتعليم القرآن وحروف القراءات، وله الكثير من المصنفات منها: الدليل إلى معرفة الجليل مائة جزء، وكتاب تفسير القرآن، نحو مائة جزء أيضا، وكتاب الوصول إلى معرفة الأصول، وكتاب البيان في إعراب القرآن، توفي في سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م). ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص٤٨-٤٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦٢؛ مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط١، دار الكتب العلمية- لبنان، ٢٠٠٣م، ١٦٨/١-١٦٩.

(٣) وهي مدينة بثغر الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً، وجعلها ابن سعيد من اعمال وادي الحجارة. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافيا، ١٠٤، و ١٦٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٥٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣؛ أبي الفدا، تقويم البلدان، ص١٨٤-١٨٥؛ الدرويش، العلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية من مدن وحصون طليطلة (مدريد- وادي الحجارة – أقليش – طلمنكة)، ص١٨٣-١٩١.

(٤) القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر، من أهل بغداد، كان فقيهاً متأدباً شاعراً على مذهب مالك، تولى قضاء بادرايا وباكسايا في العراق بنواحي واسط، سافر في اواخر عمره إلى مصر واستقر فيها، وله مصنفات منها: الإشراف على نكت مسائل الخلاف و المعونة على مذهب عالم المدينة، توفي في مصر سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٣٣/١١-٣٤؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢٢١/١٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٩/٣-٢٢٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٨.

(٥) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ٢٢/١-٢٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٥٦/١.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ص١٤٥.

وكما برز في علوم الفقه والقراءات أبو الحسين يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد بن البياز اللواتي الصنهاجي أيضاً المقرئ المرسي المولود في سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، أحد شيوخ الأندلس، ذكر أنه قرأ القراءات وسمعها، على يد أحمد بن محمد الطلمنكي ومكي بن أبي طالب[١]، ومِنْ ثَمَّ رحل إلى مصر فسمع الحروف من عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي[٢]، وسمع كتاب التلقين من القاضي عبد الوهاب المالكي، وتصدر ابن البياز لتعليم القرآن، وتتلمذ على يديه الكثيرون وفي مقدمتهم أبو الحسن علي بن أحمد بن الباذش[٣]، ومحمد بن الحسن بن غلام الفرس[٤]، وعلي بن عبد الله بن ثابت الخزرجي[٥]، ومن ومن مصنفاته كتاب (النبذ النامية) وتوفي بمرسية في ٣ محرم سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م)، وله من العمر ٩٠ سنة[٦].

(١) أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي القيرواني الأصل، قرطبي السكن، كان نحوياً فاضلاً، عالماً بوجوه القراءات، متبحراً في علوم القرآن والعربية، فقيهاً أديباً متفنناً، وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب إعراب مشكل القرآن، وكتاب التبصرة في القراءات السبع، وكتاب البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة، توفي في سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م). ينظر: الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت: ٥٧٧هـ/١١٨١م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار– الزرقاء – الأردن، ١٩٨٥م، ص٢٥٤–٢٥٥؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٢٠–٢٢١.

(٢) أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن الطرسوسي المعروف بالطويل، شيخاً ثقة نزل مصر وكان شيخها مؤلف كتاب المجتبى الجامع، توفي في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م). ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية– الرياض، ١٩٣٢م، ١/٣٥٧–٣٥٨.

(٣) أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش الجياني الغرناطي، كان ممن جمع علم القرآن والحديث واللغة والشعر والنحو، ومن أحفظ الناس لكتاب سيبويه وأرفقهم عليه من ورع وزهد في الدنيا خالص، وله مصنفات كثيرة منها الشرح على كتاب سيبويه، وعلى كتاب المقتضب، وعلى الأصول لابن السّراج، توفي في سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م). ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص٤١٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠/٩٣.

(٤) محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد المعروف بابن غلام الفرس، الفقيه والمقرئ والمجود للقرآن بجامع دانية، وكان زاهداً ورعاً مقدماً في الإقراء والضبط والإتقان، توفى في سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م). ينظر: الضبي، بغية، ص٧٠؛ القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، ٣/١٠٥–١٠٦؛ ابن الابار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية – مصر، ٢٠٠٠م، ص١٥٩–١٦٠؛ الذهبي، معرفة القراء، ص٢٨٠–٢٨١.

(٥) أَبُو الحسن عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَابِتِ الْخَزْرَجِيِّ المقري الشَّهِيدُ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، كان من جِلّة المقرئينَ المجوّدين، ذا ذا حظٍّ وافر من روايةِ الحديث، زاهدًا فاضلًا خيِّرًا ، توفي في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م). ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص٤٢٣–٤٢٤؛ ابن الابار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص٢٨٢–٢٨٣.

(٦) الضبي، بغية الملتمس، ص٤٩٧–٤٩٨؛ الذهبي، معرفة القراء، ص٢٥١؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/٣٦٤.

المبحث الثاني: علوم اللّغة العربية وآدابها:

وبعد أن تطرقنا للعلوم الدينية، فهذا يدفعنا إلى تسّليط الضوء على علوم قد تكون هي المفتاح للعلوم الأخرى، ولا يخفى على القارئ فهي تعدّ من المرتكزات الاجتماعية التي من خلالها يُعرف تطور المجتمعات، ألا وهي العلوم اللغوية والأدبية، وبهذا الصدد، علينا معرفة حظ قبيلة صنهاجة من هذه العلوم وتطورها، وكيف تعاملت رجالات صنهاجة معها، ولاسيما وهم يتكلمون الأمازيغية، الأمر الذي قد يسبب لهم صعوبة في تعلّم اللغة العربية قبال لغتهم الأصلية.

أ- علوم اللّغة:

اهتم علماء بلاد الأندلس باللغة العربية مبكراً، ونالت حظاً وافراً من الاهتمام والتشجيع من طرف السلطة الأموية، وأن هذا الازدهار اللغوي لم يأتِ من فراغ، بل هو ثمار غرسها الخليفة الحكم المستنصر الذي كان شديد الاعتناء باللغة والنحو(١) فطلب من المؤرخ أبي بكر مُحَمَّد بن حسن الزبيدي بتأليف كتاب يجمع فيه النحويين واللغويين في المشرق والأندلس، من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمانه(٢).

إذ أن علوم اللغة فرضتها عليهم ظروف التعايش والاندماج داخل نسيج المجتمع الأندلسي المتعدد الأطياف والأعراق كضرورة ملحة، ذلك أن اللغة العربية أضحت لغة جميع اطياف المجتمع الأندلسي وأعراقه، ولذلك نجد البربر بصفة عامة وصنهاجة بوجه خاص اهتموا اهتماماً بالغاً وحرصوا على تعلّمها واتقانها لعاملين رئيسيين: أولهما أن اللغة العربية اصبح تعلمها من الضروريات لفهم الدين الإسلامي الحنيف وأدراكه، الذين اعتنقوه وآمنوا به وزادوا حباً فيه من خلال اتقانهم للغة العربية، وثانيهما أن اللغة العربية صارت لغة الإدارة وكل الوظائف المهمة والسامية التي تعتمد بالدرجة الأولى على من يضبط اللغة العربية، ويمتلك خطاً يمنحه حظاً وافراً ليتقرب به من إحدى الوظائف المهمة بالدولة، كخطة الكتابة(٣) في بلاط الخلافة أو الكتابة لدى الوزراء والقضاة والعلماء، ومِنْ ثَمَّ كان هؤلاء يحصلون على رواتب مجزية، وبذلك أصبح هذا الأمر ميداناً للتنافس بين أُدباء كل عصر، والهدف من ذلك هو نيل

---

(١) ابن حزم، رسائل، ١٩٤/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٦.

(٢) ابن خير الأشبيلي، فهرسة، ٣١٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٠٧/٢.

(٣) حرص الأمويون في الأندلس على إيجاد إدارة حازمة تعمل على تسيير شؤون دولتهم الإدارية والمالية، منها كاتب الرسائل والذي كان يتولاها يحظى على منزلة عظيمة في قلوب وعيون أهل الأندلس واشرف اسمائه الكاتب والآخر كاتب الزمام، وقد عُرفت بالمجمل هذه الإدارة باسم الكتابة. ينظر: المقري، نفح الطيب، ٢١٧/١.

حظوة الحكام والتقرب إليهم عن طريق اللغة العربية وآدابها، ونتيجة لذلك أصبحت المناصب الإدارية والقضائية محتكرة في أغلب الأحيان من قبل ذوي الكفاءات العلمية والأدبية، وكان ذلك حافزاً مهماً دفع الناس إلى طلب العلم، وكان هدف الأغلبية من ذلك هو الاستفادة من الامتيازات المادية التي يحصل عليها العالم، فضلاً عن القيمة المعنوية التي يحصل عليها العالم في نظرّ العامة والخاصة من الناس، وحتى كان من بين بربر صنهاجة الذين أبدعوا في فن اللغة العربية، فأضحوا ينافسون العرب في مجال تخصصهم، وظهرت بوادر هذه المنافسة عند اللذين استقام لسانهم حتى اصبح لساناً عربياً لا عجمة فيه، واثروا الحركة العلمية بنتاجاتهم الفكرية في الأندلس، وقد أشار إلى ذلك ابن صاعد الأندلسي بقوله:" ودامت على ذلك أي الأندلس لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد الملك فيها لبني أمية"(١).

ومن هؤلاء الذين نبغوا باللّغة العربية العالم الجليل أبي القاسِم خَلَفَ بن سُليمان بن عَمْرُون البَزَّاز، الصنهاجي(ت: ٣٧٨هـ/٩٨٨م)، الذي كان نحوياً لَغوياً وكان حسَن الخَطّ(٢)، وابن دراج الصنهاجي أيضاً الذي تصدر في آخر عمره لتدريس اللغة العربية والأدب والأنساب في سرقسطة، وما يؤيد ذلك ما ذكره العمري بقوله: "إلى أن أقام ابن دراج في سرقسطة محسناً إليه ولاتها، غير مرخص في قيمة غلاتها، أقام يعلّم اللغة والنسّب، ويعيد ندى اندية العرب، ويعرف في هذا كيف أنشق، وفي هذا كيف انشعب"(٣).

ب-الأدب:

أعتنى البربر بصفة عامة وصنهاجة بصفة خاصة كغيرهم من سكان الأندلس، بالعلوم الأدبية ودرسوها في أوقات مبكرة، بل كانوا متمكنين من الأدب منذ أيام دخولهم لشبه الجزيرة الآيبيرية بدليل ما ذكره ابن بسّام بقوله: "وحضرة قرطبة، منذ استفتحت الجزيرة، وهي كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها انتشأت التأليفات الرائقة، وصنفت

(١) طبقات الأمم، ص٦٢.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٦٣/١؛ ابن عطية، فهرسة، ص١٠٤؛ ابن خير الأشبيلي، فهرسة، ص٢٩٧ و ص٣٢٢؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١٧٤/٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٦٧/٣.

(٣) مسالك الابصار، ٥٠/١٧-٥١.

التصنيفات الفائقة، والسبب في ذلك، تبريز القوم قديماً وحديثاً هنالك على من سواهم، أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قط إلا على أهل البحث والطلب، لأنواع العلم والأدب"(١).

وقد أحب أهل الأندلس الشعر بدليل ما ذكره المقري بقوله: "والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم، إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب، وإذا كان الشخص بالأندلس نحويّاً أو شاعراً فإنّه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر العجب، عادةٌ قد جبلوا عليها"(٢).

وأن السبب الحقيقي من وراء ظهور بواعث الشعر مبكراً في الأندلس، يعود اساساً إلى خلفاء بني أُمية الذين اهتموا اهتماماً بالغاً بالشعر والأدب وعلى رأسهم الحكم المستنصر(٣)، والذي ازدهرت بعهده العلوم والآداب أعظم ازدهار، اذ كان مذهب اهل الأندلس في التعليم أنهم يقدمون تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، فقد أشار القاضي أبو بكر بن العربيّ في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التّعليم؛ لأنّ الشّعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربيّة في التّعليم ضرورة فساد اللّغة(٤)، وكان الشعر كثير ما يستشهد به في التفسير وفهم العلوم الشرعية فإذا خفي عليكم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب عن ابن عباس قال: "إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ، فَالْتَمِسُوهُ بِالشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ"(٥)، فَإِذَا "خَفِيَ عَلَيْهِمُ الْحَرْفُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِلُغَتِهِمْ رَجَعُوا إِلَى دِيوَانِهِمْ فَالْتَمَسُوا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ كَانَ مَا تَضَمَّنَهُ أَلْفَاظُهَا يُوجِبُ الْعَمَلَ دُونَ الْعِلْمِ كَفَى فِيهِ الِاسْتِشْهَادُ بِالْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَا يُوجِبُ الْعِلْمَ لَمْ يَكْفِ ذَلِكَ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشِّعْرِ وَيَنْبَغِي الْعِنَايَةُ بِتَدَبُّرِ الْأَلْفَاظِ كَيْ لَا يَقَعَ الْخَطَأُ"(٦).

---

(١) الذخيرة، ٣٣/١.

(٢) نفح الطيب، ٢٢٢/١.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٤٢/٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٧٤٢/١.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، نشر وتوزيع مكتبة المعارف – الرياض، ١٩٨٣م، ١٩٨/٢.

(٦) الزركشي، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ/١٣٩١م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية – بيروت– لبنان، ١٩٥٧م، ٢٩٤/١.

وفتح المنصور ابن أبي عامر باب قصره امام نخبة كبيرة من العلماء لحبه الشديد لهم فكان يكثر مجالستهم ويناظرهم وقد اكثر العلماء ذكر مناقبه، فضلاً عن حبه للشعراء والأدباء، بسبب ولعه وتذوقه للأدب والشعر وعني بهما عناية خاصة لا نظير لها، ومن أبرز هؤلاء الشعراء الصنهاجيين الذين اختص مجلسه بهم ما بين الحقبة (٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠١م)، الأديب اللغوي والشاعر أبي القاسِم خَلَفَ بن سُليمان بن عَمْرُون البَزَّاز، الصنهاجي(ت: ٣٧٨هـ/٩٨٨م)، الذي قال عنه ابن الفرضي إنّه كان نحوياً لَغوياً شاعراً كان حسَن الخَطّ[١].

أما الشخصية الثانية فهي شخصية يجب علينا التوقف عندها لدراستها دراسة مستفيضة، نظراً لشهرتها في مجال الأدب والشعر، ألا وهي شخصية الأديب الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلي الصنهاجي البربري[٢]، الذي تربى ونشأ في قسطلة دراج بين أحضان أُسرة تداولت الرياسة عليها من لدن جده الأعلى دراج إلى بنيه[٣]، إذ أشار ابن حزم بانتماء بني دراج إلى قبيلة صنهاجة البربرية، ولو لم يشر إلى ذلك لَعُدَ ابن دراج عربياً قحاً لا جدال في ذلك، لكون رهطه من الداخلين الأوائل مع جيش طارق بن زياد منذ أيام الأولى لفتح شبه الجزيرة الأيبيرية سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، وأن هؤلاء ذابوا واندمجوا في المجتمع الأندلسي وصاروا من البلديين، الذين ينعتون بأندلسيتهم قبل كل شيء[٤].

وعلى الرغم من ذلك فأننا لا نرى أثراً واضحاً لهذه البربرية في حياة ابن دراج ولا في شعره ونثره، بل أنّه لا يتحدث عن نسبه على الأطلاق[٥]، ويوحي لنا هذا بأن ابن دراج ولد ونشأ أندلسياً خالصاً، فهو فهو لم يشعر قط بعصبيته لنسبه الصنهاجي البربري[٦].

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١٦٣/١؛ ابن عطية، فهرسة، ص١٠٤؛ ابن خير الأشبيلي، فهرسة، ص٢٩٧ و ص٣٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٣٠/٧؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١٧٤/٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٦٧/٣.

(٢) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠١-٥٠٢؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/١؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٥٩/٢-٦٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٧٢/٤. ينظر: محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٣٨.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٠/٢.

(٤) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٢١-٢٢.

(٥) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٢٤.

(٦) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٢٥.

وحصل اختلاف في تحديد مدينة قسطلة دراج التي ولد فيها الشاعر، فذكرها ابن سعيد بقوله: "مدينة من أعمال جيان"[١]، بينما عدّها الحميري بقوله: "قرية في غرب الأندلس"[٢]، هي اليوم في حدود البرتغال التي تسمى (Cacella) من أعمال منطقة (Algarve) وهذا الاسم مأخوذ من كلمة الغرب العربية، وتقع هذه القرية على ساحل المحيط الأطلسي بين الحدود الإسبانية طلبيرة، وقد انساق وراء هذا الرأي عدداً من الباحثين المحدثين منهم إ. ليفي بروفنسال، والأستاذ بلاشير في بحثه عن ابن دراج، ثم ردده المستشرق نيكل في كتابه الشعر الأندلسي، والأستاذ غرسيه غومز وبالنثيا في كتابها تاريخ الفكر الأندلسي[٣].

ويرى محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لديوان ابن دراج أن الذين نقلوا عن الحميري اخطأوا، لأنّ ابن سعيد فرّق بين ثلاثة مواضع تحمل اسم قسطلة في جغرافية الأندلس، أولها القسطلة الواقعة في غرب الأندلس، وثانيهما القسطلة التابعة لجيان، وثالثهما قسطلة من كور الجزيرة الخضراء في أقصى جنوب الأندلس على مضيق جبل طارق، ويميل محمود علي مكي إلى رأي ابن سعيد في أن قسطلة دراج موطن الشاعر ابن دراج هي التي من عمل جيان، وأنها ليست قسطلة الغرب التي تقع الآن في البرتغال كما قال الحميري: وحجته في ذلك أن ابن سعيد كان يعرف المواضع الثلاثة بدليل تفريقه بينهما في دقة ووضوح تامينِ، بينما لم يكن الحميري يعرف من هذه المواضع إلا قسطلة الغرب، مما يحتمل معه أن يكون قد خلط بينهما، ويضيف مكي إلى ذلك أن ابن سعيد كان عارفاً بجغرافية الأندلس، فضلاً عن أنه أقدم من الحميري، وعين الصواب والمنطق السليم أنه لا يمكن أن يجهل بلده وموطن أسرته، فهو من قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد، التي تقع بين جيان وغرناطة، ولا شك أن ابن سعيد أعلم الناس بجغرافية كورة جيان، من غيره من الجغرافيين والمؤرخين[٤].

أما ما يخص ولادة ابن دراج فكانت في شهر محرم من سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م)[٥]، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن حياته قبل اتصاله بالمنصور ابن أبي الذي كان من بين الشعراء الأربعين

(١) المغرب في حلى المغرب، ٦٠/٢.
(٢) الروض المعطار، ص٤٧٩.
(٣) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٦٥؛ نقلاً عن محمود علي مكي، مقدمة ابن دراج، ص٢٩-٣٠.
(٤) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج ، ص٣٠-٣٢.
(٥) ابن بشكوال، الصلة، ص٤٤.

الذين رافقوا المنصور أيام حملته المشهورة على برشلونة في سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)[١]، وهذا ما أشار إليه إليه الحميدي بقوله: "أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي، نسب إلى موضع هناك يعرف بقسطلة دراج، كان كاتباً من كتاب الإنشاء في أيام المنصور ابن أبي عامر، وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء، وشعره كثير مجموع يدل على علمه، وله طريقة في البلاغة والرسائل، تدل على اتساعه وقوته، وأول من مدح من الملوك المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر مدبر دولة هشام المؤيد"[٢]، فكان ابن دراج من الرواد الذين قاموا بإلقاء القصائد الحماسية التي كان لها دور في رفع معنويات الجيش وبثّ روح الحماسة فيهم.

ويرى أحد الباحثين بعد أن قوي عود القسطلي وأنس في نفسه القدرة الأدبية شق طريقه إلى بلاط الحاجب العامري بقرطبة، لما بلغه عنه من إكرامه للأدباء وتقديره لهم وعلى رأسهم صاعد البغدادي الذي نال الحظوة عنده وقربه إليه ، فما كان من ابن دراج إلا نظم قصيدة عارض بها قصيدة صاعد لعلها تكون همزة وصل بينه وبين المنصور، وعسى أن يثبته في ديوان شعرائه، ويغدق عليه من هباته، ولاسيما أنّه كثير العيال مع رقة حاله وزوال سلطان أجداده فمعروف أن أجداده كانوا سادة بلدة قسطلة وحكامها، أي: إنّه ألف العيش الرغد و الحياة الناعمة فلعل سلطان قومه قد زال ولعل رياستهم انتقلت إلى غيرهم ، ولكن الشاعر ظل على تعلقه بحياة القصور والاتصال بالرؤساء[٣].

وعلى الرغم من كون ابن دراج شاعر الأندلس إلا أنه شُكك بقصائده وأنها ليست من نظمه بسبب حساده ومنافسيه في البلاط العامري، عندما ألقى قصيدة طويلة مستحسنة، فساء الظن بجودة ما أتى به من الشعر وأتهم فيه، وكان للشعراء في أيام المنصور ابن أبي عامر ديوان يرزقون منه على مراتبهم، ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مظانها، فسعى به إلى المنصور، وأنّه منتحل سارق لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء، لكونهم يعلمون مما يفعله المنصور من اختبار الشعراء والأدباء قبل ادخالهم في ديوان العطاء، فقد أشار ابن بسّام إلى ذلك بقوله: "ولم يكن عند ابن أبي عامر تحرير ولا بصر بالنقد مشهور"[٤]، لذا عمد المنصور إلى استدعائه لاختباره عشي يوم الخميس لثلاث خلون من شوال سنة

(١) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٧٩-٨٠؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/٥٩-٦٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، الاندلس، ص٢٢٩.

(٢) جذوة المقتبس، ص١١٠.

(٣) هيكل، احمد، الأدب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط٤، دار المعارف- القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٠٩.

(٤) الذخيرة، ٧/١٦.

(٣٨٢هـ/٩٩٢م) واقترح عليه، فبرز وسبق، وكانت قصيدته التي مدح فيها المنصور التي عارض بها أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي بقصيدة عدد أبياتها ٥٣ بيتاً جاء في مطلعها:

أَضَاءَ لَهَا فجرُ النُّهى فَنَهاها	عن الدَّنَفِ المُضْنى بِحَرِّ هواها
وضَلَّلها صبحٌ جلا ليلة الدُّجى	وَقَدْ كَانَ يَهدِيها إِليَّ دُجاها
وَأَقسم جُودُ العَامِرِيِّ لَيَرْجعَنْ	حَفِيّاً بِهَا مَنْ كَانَ قَبلُ جَفَاها
وَأَنّى لَهَا مَثْوَى أَبيها وَقَدْ دَعَتْ	بوارقُ كَفِّ العامِرِيِّ أَبَاها
بُنَيَّ إليكِ اليوم عَنِي فإنها	عزائمُ كَفُّ العامريّ مداها
هو الحاجِبُ المنصورُ والمَلِكُ الَّذِي	سَعى فتعالى جَدُّه فَتَنَاهى[١]

إلا أن ابن الخطيب ذكر تاريخ دخول الشاعر ابن دراج رسميا ضمن ديوان العطاء في جملة الشعراء المرتزقين كان أيام دخول المنصور برشلونة سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)[٢].

ويرى محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لديوان ابن دراج هناك أبيات قِيلتْ أيضاً ليبعد التهمة عنه في المجلس الذي أراد المنصور فيه أن يختبر ابن دراج ويكشف عن صحة التهمة التي وجهتْ إليه وهي السرقة والانتحال، فأراد أن يعرف امكانياته الشعرية والبديهية في أن يصف له طبق التفاح التي احيطت بأزهار البهار، وهي صورة مركبة لا يستطيع وصفها على سبيل الارتجال إلا شاعر، ثم أن هذه الأبيات يبدو عليها طابع الارتجال السريع كما يأتي:

يا حبذا خجل التفاح في طبق	منضد بجني الزهر متسق
فيه عيون بهار قد أحطن به	نواظرا بجفون العاشق الأرق
كأن ما أحمر من تفاحه خجلاً	بدر بدا قطعاً من حمرة الشفق
في مجلس الملك المنصور يانعة	كأنما غذيت من جوده الغدق[٣]

ثم إن ابن دراج لم يزل يسهر ويجود شعره فيما بعد، وفي ذلك المجلس بين يدي المنصور محمد بن أبي عامر قال القصيدة البائية الطويلة وكان عدد أبياتها ٦٤ بيتاً وهي من البسيط المشهورة التي لاقت نجاحاً باهراً وفي مطلها:

---

(١) ابن دراج، ديوان، ص١٠-١٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩.

(٢) الاحاطة، ٦٠/٢.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٤٤-٤٥، و٥١٢.

حسْبي رِضاكَ من الدَّهرِ الّذي عَتَبَا	وعَطْفُ نُعْماكَ للحظِّ الذي انقلبا
فإن نأى الشك عني أوفها أنذا	مهيأ لجلي الخبر مرتقبا
عبدٌ لِنُعماكَ فكّيه نجم هُدى	سار بمدْحِكَ يجْلُو الشَّكَّ والرِّيَبَا
كروضةِ الحُزنِ أهدى الوشي منظرها	والماءَ والزَّهرَ والأنواء والعشبا
أو سابق الخيل أعطى الحضر متّئدا	والشّدّ والكرَّ والتقريبَ والخَبَبا[١]

وبعدما زالت التهمة عنه وكَذّب الدعوى التي قُذف بها، فوصله المنصور ابن أبي عامر بمائة دينار، وأجرى عليه الرزق، وأثبته من جملة الشعراء[٢] المرتزقين في ديوان شعرائه، وهكذا يصبح شاعراً رسمياً أيام دخول المنصور برشلونة سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م) [٣] وأفتخر ابن دراج في انتصاره وبظفره على على حساده، بعدما أشار إلى الامتحان الذي عقد له بقوله:

ودسسوا لي في مثنى حبائلهم	شنعاء بت بها حران مكتئبا
حتى هززت فلا زند القريض كبا	أو شئت خاطب بالمنثور أو خطبا[٤]

إلى أن يقول:

ولستُ أوّلُ من أَعْيَتْ بدائَعهُ	فاستدْعتِ القولَ ممّن ظنَّ أو حسبا
إنّ إمرأ القيسِ في بعضٍ لَمُتَّهَمٌ	وفي يديهِ لواءُ الشِعرِ إنْ ركِبا
والشِّعر قد أَسَرَ الأعشى وقيَّدَهُ	دهرًا، وقد قِيلَ والأعشى إذا شَرِبا
وكيف أظمأ وبحري زاخر قطنا	إلى خيالٍ من الضّحْضَاحِ قد نَضَبَا[٥]

(١) ابن دراج، ديوان، ص٣٦٣-٣٦٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١-١١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٣٦٣-٣٦٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١-١١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩-١٦٠.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ٦٠/٢.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص٣٦٣-٣٦٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١-١١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩-١٦٠.

(٥) ابن دراج، ديوان، ص٣٦٣-٣٦٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١-١١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩-١٦٠.

ثم عرض على المنصور قدراته في مجالات الأدب المختلفة من نثر وكتابة وخطابة من خلال الأبيات الشعرية التي ألقاها:

إنْ شئتَ أملَى بديعَ الشِّعرِ أو كَتَبَا	إنْ شئتَ أملَى بديعَ الشِّعرِ أو كَتَبَا
كروضةِ الحُزنِ أهدى الوشي منظرها	والماءَ والزَّهرَ والأنواء والعشبا
أو سابق الخيل أعطى الحضر متّئدا	والشّدّ والكرَّ والتقريبَ والخَبَبا[١]

ولما تيقن المنصور ابن أبي عامر حقيقة مقاله وصدق حديثه وانشاده وغزارة علمه وأدبه، اتخذه من كتاب الإنشاء والرسائل في ديوانه، فأصبحت له مكانة عالية في البلاط العامري[٢]، إلا أن المنصور المنصور اجرى اختبار آخر لابن دراج على ما يبدو كما يذكر ابن خلكان بقوله: "إن المنصور ابن أبي عامر أمره أن يعارض قصيدة أبي نوّاس الحكمي التي مدح بها الخطيب بن عبد الحميد صاحب ديوان الخراج بمصر"[٣]، وهي قصيدة رائية عدد أبياتها ٤٠ بيتاً في مطلعها:

أجارةَ بيْتَيْنا أبوكِ غَيورُ	وميْسورُ ما يُرْجى لدَيْكِ عَسِيرُ[٤]

وبهذا احرج المنصور صاعداً بأمر معارضتها فأبى صاعد من ذلك إجلالاً لأبي نواس، فعزم عليه المنصور فأنشده متمثلاً:

أني لمستحي علاك	من ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالروية	كيف يدرك بالبديه[٥].

إلا أنّه لم ينفعه ذلك عنده، وأصرّ عليه المنصور أن يفعل من الغد فأنشده قصيدته التي أولها

خدال البرى أني بكن بصير	طوتكن عني خلسة وقتير[٦]

(١) ابن دراج، ديوان، ص٣٦٣-٣٦٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦٠؛ الذهبي، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩/٥٠-٥١.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ١١٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٨؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ٢/٢٤٣-٢٤٤. ٢٤٤.

(٣) وفيات الاعيان، ١٣٥.

(٤) أبي نواس، الحسن بن هانئ (ت: ١٩٧هـ/٨١٢م)، ديوان أبي نواس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، ط١، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٠٠م، ص٤٨٠-٤٨٣.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ٧/٢٢.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ٧/٢٢.

وعلق ابن بسام على قصيدته هذه بقوله: "وصاعد على تتابعه في الكذب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب، قد أخذ بطرف من الترفيق، وخلا بجانب من لقم الطريق، ألا تراه كيف صرح باليأس، عن شق غبار أبي نواس ولكن ابن أبي عامر حمله على الغرر، وعرضه لسوء الخبر"(١).

وبالمقابل طلب المنصور من ابن دراج مثل ما فعل بابن صاعد، فنظم له قصيدته الرائية المكونة ٦٥ بيتا التي مطلعها:

دَعِي عَزَماتِ المستضامِ تسيرُ	فَتُنْجِدُ فِي عُرْضِ الفَلا وتَغُورُ
لعلَّ بما أَشجاكِ من لوعةِ النَّوى	يُعَزُّ ذليلٌ أَوْ يُفَكُّ أَسيرُ
أَلَمْ تعلَمِي أَن الثَّواءَ هو التَّوى	وأَنَّ بيوتَ العاجِزينَ قُبورُ (٢)

ثم أخذ يواصل مدحه للمنصور بن أبي عامر بقوله:

تُخَوِّفُنِي طولَ السِّفارِ وإِنَّهُ	لتقبيلِ كفِّ العامِريّ سَفِيرُ
دَعِيني أَرِدْ ماءَ المفاوِزِ آجِناً	إِلَى حَيْثُ ماءُ المكرُمَاتِ نميرُ
لَقَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ المنى طَوْعُ هِمَّتِي	وأَنِّي بعطفِ العامِرِيِّ جديرُ
مناقِبُ يَعْيا الوَصْفُ عَنْ كُنْهِ قَدْرِها	ويَرْجِعُ عَنْها الوَهْمُ وَهْوَ حَسِيرُ
ألا كُلُّ مَدْحٍ عَنْ مَدَاكَ مُقَصِّرٌ	وكلُّ رجاءٍ فِي سِواكَ غُرُورُ
حنانَيْكَ فِي غُفْرانِ زَلَّةِ تائِبٍ	وإِنَّ الَّذِي يَجْزِي بِهِ لغَفورُ (٣)

وقد قضى ابن دراج نحو خمسة وعشرين عاماً في ديوان العطاء بعدما توطدت مكانته في كنف الدولة العامرية من سنة (٣٧٤-٣٩٩هـ/٩٨٤-١٠٠٨م)، وذكر محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لديوان ابن دراج واحتفظ لنا ديوانه باثنتين وثلاثين ما بين قطعة وقصيدة، وقد سجل فيها كثيراً مما مر على الدولة العامرية من أحداث، واختص في أكثرها بمدح المنصور ابن أبي عامر من منطلق إعجابه الشديد بشخصية هذا البطل الإسلامي، إنما كانت محل إعجاب الشعب الأندلسي المسلم، حتى اضحى

(١) الذخيرة، ٢٣/٧.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٢٩٧-٣٠٤.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٢٦٧-٣٠٤.

يمثل رمزاً لمجد الإسلام في تلك البلاد، وقد اكتسب ذلك المجد بجهاده المتواصل على مر عشرين سنة من العمل الجبار والعزيمة التي لم تهزم له فيها راية تذكر[١].

وبعد وفاة المنصور ابن أبي عامر صارت الحجابة لولده عبد الملك المظفر سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م)[٢]، إذ ذكر ابن بسّام أن عبد الملك لم يكن كأبيه ولا مقارباً له بأي حال في تذوق الأدب وتقديره وتمييز جيده من رديئه، فقرب إليه الجلالقة والبرابرة ممن لا يهش لسماع، ولا يطرب لإيقاع من جهة[٣]، ومن جهة أخرى بالرغبة في توفير المال والقصد في الانفاق[٤]، وعلى الرغم من ذلك نجده نجده عمل على احترام رسوم أبيه المنصور، فأقر الشعراء على مراتبهم والدليل على ذلك ما ذكره ابن بسّام عن ابن حيان بقوله: " إلا أنّه مع زهده في الأدب تمسك بمن كان استخلصه أبوه من طبقات أهل المعرفة من خطيب، وشاعر، ونديم، وشطرنجي، ومعدل، وتاريخي وغيرهم حفظاً لصنائع والده وقياماً برسومه، فقررهم على مراتبهم، ولم ينقصهم سوى الفوز بخصوصيته، وكانت ترفع إليه بطائق أهل الشعر ويصلهم، على تساهلهم في مديحه لأمانتهم من نظره فيها، وأحرز لهم مع الفائدة عفو القريحة، وذلك بيّن لمن تأمله في أشعار مادحيه لفتورها"[٥]، وكان أشد حرصاً على طبقات العلماء والفقهاء والكتّاب والأطباء والأطباء والمنجمين والشعراء[٦]، ويبدو أن ابن دراج خشي على مركزه بسبب زهد الحاجب عبد الملك المظفر في الشعر والشعراء في ديوان العطاء إلا أن عبد الملك المظفر ادخله ضمن ذلك الديوان لو لم يبخس حقه طالما كان وفياً ولساناً مسجلاً لأمجاد أبيه وانتصاراته، ولهذا نجد أن عبد الملك لم يتهاون في تثبيت اسم ابن دراج في ديوان شعرائه ونلحظ ذلك من خلال الأبيات التي مدح فيها المظفر بقوله:

منن بأيسر شكرها أعييتني	فمتى أقوم بشكر ما أوليتني
أعطيتني ذخر الزمان وإنما	شرف الحياة وعزها أعطيتني
لبيك شاكر نعمة أنت الذي	لما دعوت غياثها لبيتني
وخططت بالكف الكريمة ملحقي	والفخر فخري إذ سميتني

(١) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٤٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣.

(٣) الذخيرة، ٧٩/٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٦/٣.

(٥) الذخيرة، ٧٩/٧-٨٠.

(٦) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٨٤.

حسبي فحين ذكرتني كرمتني	وكفى فحين نطقت بي أعييتني
ذكراك أعظم نعمة ألبستني	ورضاك أعلى خطة وليتني
وعلمت أني في وفائك سابق	فسبقت بالنعم التي وفيتني[١]

وخلال الفتنة البربرية برز ابن دراج الصنهاجي بألوان من شعره ونثره أيضاً، وبقي الأخير في حيرة من أمره إلى أن انتصر سليمان المستعين ومن معه من بربر صنهاجة وباقي القبائل البربرية على عبد الجبار المهدي والحزب الأندلسي فمدح المستعين بثلاثة قصائد برز فيها شعره السياسي[٢]، إلا أن المستعين لم يبل صداه ولا يسد خلته[٣]، وبيّن ذلك من خلال أبيات نسجها مصرحاً فيها شكواه وآلامه بقصيدة مطلعها:

بلغت عبدك الخطوب مداها	يوم تبليغك النفوس مناها
وتناهى جهد الحياة ممن لم	يسع فيما رضيت إلا تناهى
ملك نافست بأدنى رضاه	بشرته ربحا بأقصى رضاها
ولقد شافهت سيوف عداه	لو كفاها بها شمات عداها[٤]

ولم يلبث ابن دراج أن يقنط من سليمان المستعين ويتركه ويقصد وزيره القاسم بن حمود العلوي سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، في قرطبة، ولعل ابن دراج شعر بما كان يدبره العلويون وعلى رأسهم علي حاكم سبته وأخوه القاسم من اطاحة بعرش سليمان وإقامة دولة علوية تخلف دولة المروانيين في حكم الأندلس[٥]، وعلى إثر ذلك مدح القاسم الحمودي بقصيدة أولها:

كم أستطيل تضللي وتلددي	وأروح في ظلم الخطوب وأغتدي
والأرض مشرقة بنوري ربها	والفجر منبلج لعين المهتدي
بأغر من بيت النبوة والهدى	كالبدر من ولد النبي محمد
القاسم المقسوم راحة كفه	في بسط معروف وقبض مهند

(١) ابن دراج، ديوان، ص١٨-١٩.

(٢) ينظر: الفصل الثالث، المبحث الرابع/ دورهم في فتنة الأندلس، ص١٥٧-١٥٩.

(٣) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٦٥.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص٦٩-٧٠.

(٥) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٦٥-٦٦.

الهاشمي الطالبي الفاطمي	الوارث العليا بأعلى قعدد
سيف الخلافة في العدى وأمينها	دون الغبوب وزينها في المشهد[١]

وعلى ما يبدو أن ابن دراج لم يجد لدى القاسم ما كان يأمل في الحصول عليه، مما دفع ابن دراج حينئذ مغادرة قرطبة نحو سبته عند علي بن حمود، فأنشد لاميته المشهورة وهي من ٧١ بيتاً، عدها ابن بسّام من الهاشميات "الغرّ بناها من المسك والدرّ لا من الجص والآجر، لا بلّ خلّدها حديثاً على الدهر، وسرّ بها مطالع النجوم الزهر، إذ فضّلها على هاشميات الكميت بن زيد الأسدي والسيد الحميري وكُثير عزة الخزاعي وشيعيات دعبل بن علي الخزاعي"[٢] وافتتحها بقوله:

لَعَلَّكِ يَا شمسُ عند الأصيلِ	شَجِيتِ لِشَجْوِ الغرِيبِ الذَّليلِ
فكونِي شَفيعي إِلَى ابْنِ الشَّفِيعِ	وكُونِي رَسُولِي إِلَى ابن الرَّسُولِ
فإمَّا شَهِدْتِ فأَزْكى شَهيدٍ	وإِمَّا دَلَلْتِ فأَهدى دَليلِ
عَلَى سابِقٍ فِي قُيودِ الخُطُوبِ	ونجمِ سَناً فِي غُثاءِ السُّيولِ
يُنادِي النَّدى لِسقامِ الضَّياعِ	ويشكو إِلَى المُلْكِ داءَ الخُمُولِ
ويَعجَبُ كَيْفَ دنا من عَليٍّ	وَلَمْ تنفصِمْ حَلَقاتُ الكُبولِ
إِلي الهاشِميّ إِلَى الطَّالِبيِّ	إِلَى الفاطِميِّ العَطُوفِ الوَصُولِ
إِلَى ابنِ الوَصِيِّ إِلَى ابن النَّبيِّ	إِلَى ابن الذَّبيح إِلَى ابن الخَليلِ[٣]

إلا أن ابن دراج بائتْ جميع محاولاته بالفشل الذريع للتقرب إلى الحموديين مما دفعه بالرجوع مسرعاً إلى الأندلس إلى ملوك دولة الفتيان العامريين الصقالبة[٤]، الذين استقلوا بشرق الأندلس في عهد عهد ملوك الطوائف فتردد بين سنتي (٤٠٧هـ/١٠١٦م) و (٤٠٨هـ/١٠١٧م)، بين إماراتهم في المرية

(١) ابن دراج، ديوان، ص٧٠-٧٤.

(٢) الذخيرة، ٨٧/١-٨٨.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص٧٥-٨١؛ ابن بسام، الذخيرة، ٨٧/١-٨٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤٣/٤-٤٤.

(٤) يقصد به خيران وزهير العامريين الذين اطاعهم الفتيان وفحولهم وخصيانهم واستقل كل واحد منهم بما تحت يده بعد خراب الخلافة. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ٣٧/١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤-٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤١؛ ابن عذاري، البيان لمغرب، ١٩٨/٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٤١.

وبلنسية وشاطبة وطرطوشة مادحاً امراؤها من دون أن يجد عندهم ما كان يصبوا إليه وأول من مدحه منهم خيران العامري في سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)[١].

لك الخير قد أوفى بعهدك خيرانِ	وبشراك قد آواك عزُ وسلطانُ
هو النجح لا يدعى إلى الصبح شاهد	هو الفوز لا يبغى على الشمس برهانُ
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي	وأجزلت البشرى علي خراسان
تقلّد سيف الله فينا بحقهِ	فبرت عهود بالوفاءِ وأيمان
فما قصرت بي عن علاك شفاعة	ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان[٢]

وفي الواقع أن قصيدة ابن دراج من أجمل ما نظمه في مدح هذا الصقلبي الذي لم يكن على حظ كبير من تقدير الشعر أو العناية به، أما خيران العامري فأنّه لم يكافِ ابن دراج على مدحه إياه إلا بقدر ما سمحت به جلافة الصقلبي وبعده عن تذوق الأدب[٣]، ويؤيد ذلك الحميدي بقوله: "لما أنشد أبو عمر عمر ابن دراج خيران العامري قصيدته المشهورة فيه عند خروجه من البحر، وبخسه حظه في الجائزة، بلغ الخبر أبو جعفر بن جواد[٤]، الذي كان مشهور الفضل، مذكور في علم الطب، معروف بالمروءة، وسعة النفس والإيثار فقصده بخمسة عشر مثقالاً، ودفعها إليه، وقال له: اعذر أخاك فإنه في دار غربة"[٥]، وقد اصبحت فعلة خيران هذا مثلاً يضرب به، وبقي صداده يتردد في الأندلس، حتى نرى الشاعر الغرناطي الفقيه عمر الزجال يقول لأحد ممدوحيه:

ولا خير أن تجعل كفاء قصيدتي	كفاء ابن دراج على مدح خيران[٦]

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٩٢/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٥/٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المغرب، ص٦١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٩٣/٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٠٧/٧؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ٣٥٥/٣ و ٣٥٢/٤ و ١٧٩/٥؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٤٤/٥.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٨٦-٩٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤١٣؛ ابن بسام، الذخيرة، ٩٢/١-٩٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٢٠.

(٣) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٦٨-٦٩.

(٤) لم اجد له ترجمة.

(٥) جذوة المقتبس، ص٣٩٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٢٠.

(٦) المقري، نفح الطيب، ٤٣/٥؛ المقري؛ ازهار الرياض، ١٢٠/١.

وبعدها غادر لاجئاً إلى بلاط منذر بن يحيى التجيبي صاحب مدينة سرقسطة في نهاية سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)، وفي هذا الوقت اجتمع خيران العامري مع منذر التجيبي لمبايعة عبد الرحمن بن محمد المرتضى الذي أعلن ثورته على علي بن حمود الحسني الإدريسي وانضمت إليه معظم مناطق شرق الأندلس كما بينا سابقاً وزحف باتجاه غرناطة في سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)[١]، وفي هذه المناسبة انشد ابن دراج الصنهاجي قصيدته في مدح عبد الرحمن المرتضى وخصص الشاعر جانباً كبيراً من قصيدته وأيضاً لمنذر بن يحيى التجيبي وجاء منها بقوله:

جهادك حكم الله من ذا يرده	وعزمك أمر الله من ذا يصده
وطائرك اليُمن الذي أنت يُمنه	وطالعك السعدُ الذي أنت سعده
رضاك له يا مرتضى دين واثق	بأنك للدين الحنيف تعده
وفخر لو استنجدت في وصفه الورى	لأسأر من عدّ الحصى من يعده
ولم يبل ما أبلاه آباء منذر	لأولهم بل مفخر تستجده
ومن يتخذ في غير بحرك موردا	فلم يتخذ إلا لنعليك خده[٢]

وبعد صلته بالمرتضى تشجع ابن دراج على التوجه إلى منذر التجيبي وكانت أولى قصائده في مدح التجيبي عند قدومه على سرقسطة في سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)[٣]، القصيدة الرائية المشهورة التي كان كان عددها ٦٥ بيتاً التي جاء في مطلعها:

بُشراكَ من طُولِ التَّرَحُّلِ والسُّرى	صبحٌ بِرَوْحِ السَّفْرِ لاحَ فأَسْفَرا
مِنْ حاجِبِ الشَّمس الَّذِي حَجبَ الدجى	فَجراً بأَنهارِ الندى مُتفجِّراً
وكَفاكَ مَنْ جعلَ الحياةَ بضاعةً	ورأَى رِضَاكَ بِهَا رخيصاً فاشتَرى
ورمى عَليَّ رِداءهُ منْ دُونِهِم	لِكٌ تُخُيِّر للعُلا فَتَخَيَّرا
و المُنْذِرُ الأَعداءَ بالبُشرى لَنَا	صَدَقتْ صِفاتُكَ مُنذِراً ومُبشِّرا[٤]

(١) ابن حزم، رسائل، ٣٨/١ و ٥٨/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١٦/٧-٦١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥٩/٢٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣١٧/١-٣١٨. ينظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ١٢٤/٢.

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٨١-٨٦.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢١٢/٣.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص١٢٤-١٣١.

واستقر ابن دراج بعدها في سرقسطة لمدة طويلة قاربت العشر سنوات تمتع بها ببعض الهدوء والنعمة قضاها عند منذر التجيبي وابنه يحيى بعده، ولاسيما أن مملكة سرقسطة راعت الحركة الأدبية والعلمية والفلسفية، وكان في مقدمة الشعراء الذين احتضنتهم هذه المملكة هو ابن دراج الصنهاجي[١]، ومن أروع شعره السياسي وأجمله ما قاله في منذر التجيبي قصيدته الميمية الطويلة المكونة من ١١١ بيتاً التي يبدو أنه أراد أن يعارض بها أحدى قصائد المتنبي في سيف الدولة وأولها:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ	وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها	وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ[٢]

فعارضه بقصيدته الميمية بقوله:

لَعَلَّ سَنَا البَرْقِ الَّذِي أَنا شائِمُ	يهيمُ منَ الدُّنيا بِمَنْ أَنا هائِمُ
أَمَا فِي حَشَاهُ مِن جوايَ مخايِلٌ	أَما فِي ذُرَاهُ من جُفُوني مَيَاسِمُ
إِذَا زارَنِي أَعْشى جُفُونَ رَقِيبِهِ	وأَخرَسَ عَنِّي مَا تقولُ اللَّوائِمُ
وقد صَرَمَتْهُ حادِثَاتٌ كَأَنَّها	بيُمْناكَ يَا مَنْصُورُ بِيضٌ صوارِمُ
بكل تُجَيَبْي إِلَيْكَ انْتِسَابُهُ	وإِنْ أَنْجَبَتْهُ تَغلِبٌ والأَراقِمُ
فأَنسَتْكَ يَا مَنصُورُ رَوْضَ حَدَائِقٍ	تُلاعِبُ فِيهِنَّ المُنى وتُنَادِمُ[٣]

وعارضه بقصيدة اخرى رائية أيضاً عدد أبياتها ٨٨ بيتا بقوله:

عمرت بطول بقائك الأعمار	وجرت برفعة قدرك الأقدار
ودنت لك الدنيا بقاصية المنى	وتخيرت لك فوق ما تختار
وإذا الحروب تساجلت أيامها	فقتيل سيفك في الملوك جبار
وحباك بالملك الذي لو شئت لم	تضق القصور بنا ولا الأحيار[٤]

(١) الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٨-١٦١.

(٢) المتنبي، ديوان، ص٣٨٥.

(٣) ابن دراج، ديوان، ص١٥٨-١٦٦.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص١٥١-١٥٨.

إلا أن هذا الاستقرار الذي عاشه ابن دراج لم يدم بعد وفاة منذر التجيبي سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م) طويلاً، إذ خلفه على العرش ابنه يحيى[١] وبقي مع هذا الحاكم الجديد مدة من الزمن مادحاً له ومسجلاً ومسجلاً كل ما وقع في عهده من أحداث مهمة من غزوة أو سفارة، إلا أنه ساءت علاقته بيحيى بن منذر التجيبي، لأسباب لا نعرفها على وجه التحقيق، ولعل الامير لم يعامل الشاعر بمثل ما كان يعامله به أبوه منذر بن يحيى، الذي ضيق عليه الخناق فأضطر وهو ابن سبعين عاماً مهاجراً[٢]، والدليل ما ذكره ابن بسام بقوله: "منذر بن يحيى أمير سرقسطة، فألقى عصا سيره عند من أواه، ورحب به وأوسع قراه، فلم يزل عنده، وعند ابنه بعده، مادحاً لهما، مثنياً عليهما، رافعاً من ذكرهما، غير باغٍ بدلاً بجوارهما، إلى أن مضى بسبيله، بعد أن جرت له، رحمه الله، على إحسانه الباهر، في فتنة البرابر مع أملاك الجزيرة، في طول الاغتراب والنجعة"[٣].

فهاجر ابن دراج نحو الموفق أبي الحسن مجاهد العامري صاحب مدينة دانية سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م)[٤]، لكونه عُني بالعلماء والأُدباء فقربهم وأدناهم منه فشاع العلم في حضرته حتى وصل إلى جواريه وغلمانه[٥]، وعندما سمع تلك الأخبار عن اكرام مجاهد العامري للعلماء وحفاوته بهم ، ، وعند وصوله إلى دانية ألقى ابن دراج قصيدة رائعة مدح فيها العامري في مطلعها:

إلى أي ذكر غير ذكرك أرتاح	ومن أي بحر بعد بحرك أمتاح
إليك انتهى الري الذي بك ينتهي	ولاح لي الرأي الذي بك يلتاح
قد اكتتبت في اللوح فخراً مؤيداً	صدور الدنا منها سطور وألواح[٦]

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٧٥-١٨١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص١٩٧-١٩٩.

(٢) محمود علي مكي، مقدمة ديوان ابن دراج، ص٧٥-٧٦.

(٣) الذخيرة، ١/٦١.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤/٤٥، و ٧/٦٣٥؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢١٧-٢١٨.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤/٤٥، و ٧/٦٣٥؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ص٢١٨.

(٦) ابن دراج، ديوان، ص٤٧٨-٤٨٠.

فهو يرى في مجاهد آخر أمل له بعد أن ادركه اليأس، ولعل في قوله هذا تعريضاً بممدوحه السابق يحيى منذر التجيبي، وتكلم عن آلامه بهذا الصدد بقوله:

إليها حدتني حادثات كأنها	بوارح يحدوهن برح وأبراح
وحسبي منه في الهواجر والسرى	جناح له من حسن ظني وإنجاح
فما صدني عن ملتقى الغيل ضيغم	ولا راعني في مورد الماء تمساح
ولا برحتني يا موفق نشوة	سجاياك لي فيها كئوس وأقداح
فكل فؤاد مخلص فيك مخلص	وكل لسان صادق لك مداح[١]

ولم يثبت لدى محمود علي مكي الوقت الذي قضاه ابن دراج في كنف مجاهد، وربما كان من الأرجح أنه توفي هناك في دانية، وإذا صح ذلك فإن مقامه كان في هذه المدينة قرابة السنتين[٢]، إذ أنه توفي في ليلة الأحد لأربع عشر ليلة بقيت من جمادى الثانية سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م)[٣].

وهكذا انتهت أيام ابن دراج وقد ترك ابن دراج ديواناً شعرياً ضخماً يحتوي على ١٧٠ قصيدة، من أحسن ما جادت به قريحته الشعرية، التي صوّرت من خلالها الأحداث التاريخية التي عاشها الشاعر كشاهد عيان على عصره في الأندلس الإسلامية.

وذكر ابن حزم ذلك بقوله: "وكان قد أحدث ابن دراج عندنا نوعا من البلاغة ما بين الخطب والرسائل"[٤]، ثم زاد في ذلك الحميدي بقوله: "هو معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء، وشعره كثير مجموع يدل على علّمه، وله طريقة في البلاغة والرسائل يستدل بها على اتساعه وقوته، قال: سمعت أبا محمد علي بن أحمد وكان عالماً بنقد الشعر يقول: لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعُد، وقال مرة أخرى: لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب، والمتنبي"[٥]، وذكره الذهبي بقوله: "كان الأديب ابن دراج القسطلي إمام

(١) ابن دراج، ديوان، ص٤٨١.

(٢) مقدمة ديوان ابن دراج، ص٧٩.

(٣) ابن ماكولا، الإكمال، ٣١٩/٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٤٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٨/١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٦٥/١٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٦/٨.

(٤) رسائل، ٣٥٢/٤.

(٥) جذوة المقتبس، ص١١٣-١١٤؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٤٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٤٩/٢٩.

البلغاء والشعراء"[١]، وذكره ايضاً في موضع آخر بقوله: "العلامة المنشئ البليغ أبو عمر أحمد بن محمد... من اعيان الادباء وفحول الشعراء"[٢].

فأن هذه المفاخرات بين شاعرنا ابن دراج الصنهاجي وبين كبار الشعراء من أهل المشرق، إذ وضعوه المرتبة والمكانة نفسها التي تمتع بها هؤلاء الشعراء كالشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي[٣]، والشاعر المتنبي[٤]، وكان من المطلعين على أوابد اللغة وشواردها، حتى أنه لم يسأل عن شيء إلا استشهد له بكلام العرب نظماً ونثراً[٥].

وإن النعوت التي قالها ابن حزم عن شاعرنا ابن دراج لا تخلوا من المفاخرة بين اهل بلاد الأندلس والمشرق، والدليل على ذلك ما ذكره الثعالبي من آثار تركها ابن دراج بقوله: "بلغني أن أبا عمر القسطلي كَانَ عِنْدَهمْ بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشَّام وَهُوَ أحد الفحول وَكَانَ يجيد مَا ينظم وَيَقُول، ثمّ ساق له بعض أشعاره"[٦]، وذكره ابن بسّام بقوله: " وكان في وقته لسان الجزيرة شاعراً أولاً حين عدّ معاصريه من من شعرائها المشهورة، وآخر حاملي لوائها، وبهجة أرضها وسمائها، وأسوة كتابها وشعرائها، له عقد فخرها المحمول وسهم، وبه بدئ ذكرها الجميل وختم، حل اسمه من الأماني محل الأنس، وسار نظمه ونثره في الأقاصي والأداني مسير الشمس، وأحد من تضاءلت الآفاق عن جلالة قدره"[٧]، وهكذا انتهت ايام ابن دراج، إذ ذكره ابن حيان معجباً من أخباره، معرباً عن جلالة مقداره، فقال: "وأبو عمر القسطلي سباق

(١) سير اعلام النبلاء، ٣٦٥/١٧.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٠٠/١٧.

(٣) أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، من اهل بلاد الشام، شاعر واديب موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس، استقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل، من مؤلفاته فحول الشعراء، وديوان الحماسة ومختار أشعار القبائل، توفي في الموصل سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٢٤٢/٨-٢٤٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٨/١٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١١/٢-١٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٠٠/١٧.

(٤) ابو الطيب أَحْمَد بْن الْحُسَيْن بْن الْحَسَن بْن عَبْد الصمد الجعفي، الْمَعْرُوف بالمتنبي، من أهل الكوفة، شاعر واديب. توفي في سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ٣٢٤/٤-٣٢٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٨٢/٧١-٨٤؛ ابن خلكان وفيات الاعيان، ١٢٠/١-١٢٥.

(٥) مقدمة ديوان المتنبي، ص٥.

(٦) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ١٩٨٣م، ١١٩/٢.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ٥٩/١-٦٠.

حلبة الشعراء العامريين، وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين. وكان ممن طوحت به تلك الفتنة الشنعاء، واضطرته إلى النجعة، فاستقرى ملوكها أجمعين، ما بين الجزيرة الخضراء، فسرقسطة من الثغر الأعلى"(١).

وأضاف ابن بسام بقوله: "الفرق بينه وبين غيره أنه شديد أسر الكلام، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب، وما تراه من حوكه للكلام، وملكه لأحرار الألفاظ، وسعة صدره، وجيشة بحره، وصحة قدرته على البديع، وطول طلقه في الوصف، وبغيته للمعنى وترديده، وتلاعبه به وتكريره، وراحته بما يتعب الناس، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس"(٢).

ومن الواضح أن آراء هؤلاء النقاد جميعاً حول ابن دراج الذي كان شاعرًا ممتازاً حتى جعله ابن حيان خاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين، هي مبالغة من بعض الوجوه، ولكنها تدل على حقيقة مطوية مفادها، أن ابن دراج يعدّ من الشعراء الأفذاذ الذين ظهروا في الأندلس، وخلّدهم التاريخ ونرى الثعالبي يقرنه بالمتنبي، ويظهر أنه كان متأثراً في شعره تأثراً شديداً، إلا أنّه يستظهر جميع خصائص المتنبي، فهو يميل إلى الغريب في شعره من جهة، كما يميل إلى التصنع للثقافات من جهة أخرى، غير أنّه تعلق مثل المتنبي في مطلع مدائحه بشكوى الدهر والسخط على الناس في عصره، وساعده على ذلك أنّه كان عصر فتن وثورات على الأمويين واستعداد لظهور ملوك الطوائف، ويظهر أنّه عرف بين الشعراء الثائرين الناشئين المتأدلجين وراء المصالح وكان مداحاً لمن تؤول إليه السلطة سواء كان أموي أم علوي من أجل كسب رضاه وتقريبه منه للحصول على الجاه وكسب المال.

وكذلك نستطيع أن نستشف من خلال الاطلاع على قصائد ابن دراج وما حوته من مضامين تدل دلالة واضحة وتوحي للقارئ والمتمعن فيها على أن غاياتها شخصية بحته وبعيدة كل البعد عن الانتماء المذهبي والولاء القبلي لصنهاجة، ولاسيما أن الشاعر لم يتطرق بقصائده إلى بني زيري الصنهاجيين ملوك غرناطة، بل نجد في اشعاره التي نظمها تحوي في طياتها دلالات شخصية تعلقت بدوافع ابن دراج من وراء نظمها، ولاسيما تلك المصالح التي كان يبتغي الحصول عليها، وهي في الغالب أما مكاسب مادية أو حظوة سياسية للوصول إلى المناصب الادارية والمنزلة الرفيعة التي نالها ابن دراج في بلاط المنصور ابن أبي عامر عندما قام بمدحه والتقرب منه فذاع صيته، ولعل خير ما يؤيد كلامنا هذا ورؤيانا بحق قصائد

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٦٠/١.

(٢) الذخيرة، ٦١/١.

ابن دراج ودوافعه من ورائها هو أن اصبح كاتب الأنشاء في البلاط العامري على ما ذكره ابن حزم بقوله: "إن المنصور أبا عامر لما فتح شَنْت ياقب، استدعي أبو عمر أحمد بن محمد بن ...، وأُمره بإنشاء كُتب الفتح إلى الحضرة وإلى سائر الأعمال، وكان ابن دراج معروفاً بالتنقيح والتجويد والتؤدة، ... ثم جاءه بنسخة الفتح، وقد وصف الغزاة من أولها إلى آخرها، ومشاهد القتال، وكيفية الحال، بأحسن وصف وأبدع رصف، فاستحسنت ووقع الإعجاب بها"(١)، وذكره الذهبي بقوله: "وكان من كتّاب الإنشاء في أيّام المنصور ابن أبي عامر"(٢).

وإلى جانب نبوغه في النظم فقد برز ابن دراج في كتابة النثر من النوع الخالص، الذي تمثل في قطع وصفية وبعض الرسائل والوصايا، ولكن أهم ما يلاحظ على أسلوبه النثري في هذه المدة، ظهور أثر طريقة ابن العميد(٣) تلك الطريقة التي تميل إلى الإطناب، وتعتمد على السجع والجناس، مع ذكر بعض بعض الأمثال أو الإشارات التاريخية، مع تدعيم النثر بالشعر، وليس من شك في أن حياة الترف ومظاهر الفخامة في حقبة الحجابة، كانت من أسباب الاستجابة إلى هذه الطريقة من أسلوب النثر خلال هذه المدة، وكذلك آثار ابن العميد ومَنْ نحا طريقته كالصاحب بن عباد(٤)، وكان أديباً بارعاً في فن الترسل وله رسائل منشورة(٥)، قد وصلت إلى الأندلس قبيل فترة الحجابة، فيما وصل من تراث المشرق خلال القرن الرابع الهجري، وبخاصة في فترة الخلافة، ولكن أثر هذه الطريقة قد ظهر في حقبة الحجابة عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر(٦).

---

(١) رسائل، ٢/٢٢٥-٢٢٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ١١٢.

(٢) تاريخ الاسلام، ٢٩/٤٩-٥٠؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٢/٢٤٣.

(٣) ابو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد، من اهل خراسان، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه إذ اصبح وزيراً لعضد الدولة البويهي وترك مؤلفات كثيرة من اهمها كتاب بناء المدن الذي يشرح فيها أساليب البناء، والتخطيط العمراني، توفي في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥/١٠٣-١٠٩.

(٤) أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المعروف بالصاحب لانه صحب ابن العميد العميد ومؤيد الدولة البويهي، كان اديباً لغوياً تقلد الوزارة في عهد مؤيد الدولة البويهي. توفي سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/٢٢٨-٢٣١.

(٥) نشرت رسائل الصاحب ابن عباد في القاهرة سنة ١٩٤٧م بعناية عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف. ينظر: العبادي، في في التاريخ العباسي والأندلسي، ص١٧٢.

(٦) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص١٧١-١٧٢.

وبعد أن صار أدباء الأندلس، ينسجون على منوالها ويتمثلونها، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن دراج في إحدى رسائله إلى الخليفة سليمان بن الحكم عندما لم يجد لديه الاهتمام بالشعر والشعراء فعزم على الرحيل في طلب الرزق وكتب إلى سليمان يستأذنه بقوله: "حاشا لله أن استشف الحسي[١] قبل جمومه[٢]، واستكره الدر قبل حفوله، أو أتعامى عن سراج المعذرة، وارغب عن أدب الله في نظرة إلى ميسرة، ولكن:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ	حمر الحواصل لا ماء ولا شجر[٣]
ما أوضح العذر لي لو أنهم عذروا	وأجمل الصبر بي لو أنهم صبروا
لكنهم صغروا عن أزمةٍ كبرت	فما اعتذاري عمن عذره الصغر[٤]

وقد قلبت لهم ظهر الأمور، وميزت بين المعسور والميسور، فما وجدت أحسن بدءاً، ولا أحمد عوداً، مما أذن الله فيه لعباده الذين أعمرهم أرضه، وسخر لهم بره وبحره، أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه، وحيث نتقلب ففي كرمك، وأين نأمن ففي حرمك، وحيث لا توحشنا دعوتك، ولا تفوتنا نعمتك، من ملكك إلى ملكك، ومن يمينك إلى شمالك"[٥].

والمتأمل في نثر ابن دراج يدرك حقيقة مفادها أنه كان على قدر كبير من التحكم في الالفاظ اللغوية، دون تكلف منه في البحث عن مرادفاتها، لأنه تمكن من لغة العرب فصارت طيعة لسانه، يسترسل في التعبير دون تكلف.

---

(١) الحِسْيُ: موضعٌ سهْلٌ من الأرض يَسْتَنْقِعُ فيه الماء، ولا يلبث أن يْنْضَبَ، وجمُعُه: أحساء. ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع، ٢٧١/٣؛ ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٩٩٣م، ١٧٧/١٤.

(٢) والجَمومُ: البئر الكثيرة الماء، والجُمومُ يقال جَمَّ الماءُ يَجُمُّ جُموماً، إذا كثُر في البئر واجتمع بعدَ ما اسْتُقيَ ما فيها. ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م، ١٨٩٠/٥؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٢٠/١.

(٣) البيت الأول للحطيئة ابا مليكة جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم العبسي من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم وقد تمثله. ينظر: الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، كتاب الأغاني، تحقيق: دار احياء التراث العربي، ط١، دار احياء التراث العربي– بيروت – لبنان، ١٩٩٤م، ٤٣١/٢، ٤٥١.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٦٣/١.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ٦٣/١.

وزاد في ذلك ابن بسام في ذكره لجملة من فصول كلام ابن دراج، ومن أحسن ما احتفظ لنا به ذخيرته من نثر ابن دراج من رقعة له إلى منذر بن يحيى التجيبي يقول فيها: "حياك بتحية الملك، من أحيا بك دعوة الحق، ورداك رداء الإعظام، من أعلى بك لواء الإسلام، مجري الأقدار بإعلاء قدرك، ومصرف الليل والنهار بإعزاز نصرك، ومظهر من أطاعك على من عصاك، ومدمر من عاداك بسيوف من والاك، قد جعل الله أول أسمائك أولى بأعدائك، وأقرب اعتزائك صفواً لأوليائك، ثم سما بك حاجب الشمس، نوراً وأنساً لهذا الإنس، ونفس حياةٍ لكل نفس"(١).

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٦٤/١.

الخاتمة

الخـاتمـة

ويتضح من هذه الدراسة أن قبيلة صنهاجة تعد من أولى القبائل البربرية الكبرى التي شاركت في عمليات الفتح الأولى وما بعدها، ثم بدأت بالهجرة والإستقرار في الأندلس، كبداية لتوطيد أركانها ولتباشر بسلسلة من الأدوار الأجتماعية والأقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية. وعليه فقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والإستنتاجات ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بهذه الأدوار ووصلت إلى مرحلة تأسيس إمارة مستقلة لهم في غرناطة.

أولاً:- اسهمت الدراسة في بيان أصل تسميتهم ببربر صنهاجة، وما هو التاريخ الذي ظهرت فيه هذه التسمية مسندين رأينا في ذلك إلى جملة من المعطيات التي تثبت أصل تلك التسمية وبيانها، التي ترجع إلى الجد الأعلى للقبيلة المسمى "صنهاج بن برنس بن بر". وأما فيما يتعلق بنسبهم الذي اختلفت فيه المصادر وتبنى علماء الأنساب على اساس هذا الإختلاف نظريات حول نسبهم وعلى وفق الآتي: منهم من ذهب حول انتسابهم إلى اصول عربية تحديداً يمنية حميرية، والنظرية الثانية تُرشّح أنهم ذو أصول بربرية، إلا أننا استطعنا أن نثبت أن اصولهم بربرية. وذلك استناداً إلى ما ورد عن لسان زعيم صنهاجة يوسف بن زيري بن مناد مؤسس الدولة الزيرية في المغرب وأكدها بقوله "أنا صنهاجي بربري"، وبالنتيجة دحض جميع النظريات القائلة بأنتسابه إلى العرب، وأماط اللثام عن هذه الحقيقة، وكذلك الحال ينطبق على ما ذكره أحد أحفاده في الأندلس وهو حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي وهو الذي يردد ما ورد عن لسان جده (وأنا أحد البرابرة) من دون خوف وخجل، فهل يوجد أكثر من هذين الدليين على ما ينقض نسبهم إلى البربر؟

ثانياً:- كشفت الدراسة أن اماكن سكن قبائل صنهاجة في الأندلس واستيطانها، كان انعكاساً ونسخة طبق الأصل لمناطقهم التي كانوا قد سكنوها في المغرب قبيل الفتح من حيث طبيعتها المناخية والجغرافية التي تناسب مع بنيتهم الجسمانية وطبيعة المهن والحرف التي امتهنوها في المغرب ثم مارسوها بالأندلس، إذ أنهم استقروا بجهات الأندلس، ولاسيما استقرارهم بالجنوب كالجزيرة الخضراء والبيرة لقربها من بلاد المغرب، إلا أن هذا الأمر لا يعد استثناءً من أنهم سكنوا أغلب نواحي الأندلس وبحسب طبيعة معيشتهم في بلادهم الأصلية منهم من سكن المناطق الوعرة الجبلية ومنهم من سكن المناطق السهلية والمدن.

ثالثاً:- حل اللغط والاشكاليات والإتهامات التي دارت حول عقيدتهم وجذور انتماءاتهم المذهبية والعقائدية، إذ عاب البعض على اعتناق الصنهاجيين في مرحلة من مراحل التاريخ قبل الإسلام الديانة

المجوسية وربطوا هذا الأمر بعقيدتهم الإثني عشرية (التشيع) في اطار اثبات ولائهم للدولة الفاطمية، التي كانت على خلاف مع الخلافة الأموية في الأندلس، إلا أننا أثبتنا أن الأمر كان خلاف ذلك تماماً، إذ كانت ديانتهم المجوسية هي ديانة عابرة قبل أن يعتنقوا الدين الإسلامي ولا علاقة بين الديانتين، فالأولى وثنية والثانية رسالة سماوية، فليس هنالك ربط منطقي ما بين المجوسية ولا وجهة تشابه مع الدين الإسلامي بطوائفه ومذاهبه كلّها، فالأمر شتان وما هذا الإدعاء على الصنهاجيين إلا أُكذوبة كان ورائها دوافع سياسية بحتة، والدليل على ذلك أن الصنهاجيين لم يقيموا وزناً لولائهم المذهبي بلّ غيروه بحسب ما تقتضيه مصالح شيوخهم.

رابعاً:- توصلت الدراسة إلى أن حياتهم الإجتماعية التي طالما أعطت انطباعاً بالغ الأهمية في تاريخ الشعوب عامة والإسلامية والقبلية بصفة خاصة، إذ لم تكن قبيلة صنهاجة استثناءً من هذا المضمون، إذ حافظت على موروثها الإجتماعي من حيث الأعراف والعادات والتقاليد والنظم المعيشية التي تشبعوا بها في موطنهم الأصلي ونقلوها معهم وحافظوا عليها وعلى تجذرها عندما استوطنوا القرى والمدن الأندلسية، والدليل على ذلك أنهم نادراً ما تزوجوا من خارج نساء بطون القبيلة، وحافظوا على زيّهم التقليدي السائد في المغرب وجعلوه هوية تعريفية لهم في الأندلس، وقد جرى المحافظة على طبيعة تلك الوشائج والروابط القبلية التي ربطت أبناء القبيلة بزعيمها أيضاً، إذ كانت أساساً في نشوء إمارتهم في غرناطة في عهد بني زيري الصنهاجيين في بناء تلك الإمارة.

خامساً:- اثبتت الدراسة أن صنهاجة أدتْ دوراً محورياً في ادامة عجلة النشاط الإقتصادي للخلافة الأموية في الأندلس، والدليل على ذلك أنّه بمجرد أن ترك أبناء قبيلة صنهاجة الزراعة أبان الفتنة البربرية وما بعدها، تضرر اقتصادها وترك آثاراً بالغة على المجتمع الأندلسي، الأمر الذي دفع خلفاء الدولة الأموية يناجونهم ويطلبون منهم العودة لأراضيهم بغية استصلاحها وإنتاج المحاصيل الزراعية فيها كما فعل الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي، وهذا الأخير لم يكتفِ بالطلب منهم ذلك وإنما اصدر عفواً عن أبناء القبيلة الذين أودعهم السجن في اعقاب مشاركتهم في الثورة على حكومة قرطبة سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، فأطلق صراحهم وأجبر البعض منهم على العمل في استصلاح الأراضي الزراعية، والبعض الآخر وظّفهم في التنقيب عن المعادن واستخراجها من باطن الأرض حتى سميت بعض المناطق بأسمائهم، كالحديد والمغنطيس والذهب والفضة والزئبق والأحجار الكريمة، نسبة لإنجازاتهم الإقتصادية فيها.

سادساً:- قامت قبيلة صنهاجة بدور مهم في المجالين السياسي والعسكري، فقد كانوا عموماً يشكّلون بحكم كثرتهم العددية ثلث أمم البربر، ومشاركتهم في أحداث عصر الولاة بالأندلس، لشدة بأسهم في الحروب جعلهم ذات مكانة هامة في الأندلس، مما دفع الولاة والأمراء والخلفاء الاعتماد عليهم كقادة ضمن تشّكيلات جيوشهم ومن القوى الضاربة لديهم وتفضيلهم على من سواهم من البربر لحسم المعارك كلما اقتضت الضرورة لذلك، ولاسيما في الأحداث الداخلية بين الاطراف المتنازعة على أرض الأندلس، فضلاً عن صد الهجمات المتكررة من قبل النصارى على الثغور الأندلسية من الفتح (٩٢هـ/٧١٠م) حتى نهاية عصر الخلافة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م).

سابعاً:- أدتْ قبيلة صنهاجة دوراً فعالاً في الفتنة البربرية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، التي حدثت بسبب قيام عبد الرحمن شنجول بأخذ منصب الخلافة من الأمويين، وسرعان ما أعلن محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي إعادة الحق له وساعدته في ارجاع ذلك الحق قبيلة صنهاجة القوية التي تخلت بدورها عن عبد الرحمن شنجول الذي آزرته لأول وهلة، ولكن بعدها اشعل فتيل الثورة ابن عبد الجبار المهدي عندما أمر بقتل الصنهاجيين والتنكيل بزعمائهم، مما دفعهم للإلتفاف على سليمان المستعين بالله ونصبوه خليفة عليهم بأمر من زعيمهم زاوي بن زيري الصنهاجي ومِنْ ثَمَّ رجحت كفة المستعين بفضل مساعدة الصنهاجيين له وضربت قبيلة صنهاجة أروع البطولات إلى جانب إخوانهم من البربر في موقعتي قنتيش ورمداي، وخسر على إثرها ابن عبد الجبار المهدي المعركة بسبب ملذاته وغروره، وإعترافاً بالفضل اقتطع المستعين بالله بعض كور الأندلس على القبائل البربرية عرفاناً لهم بالجميل لما قدموه من تضحيات جسيمة، وكانوا ستة، فأعطى صنهاجة من بني زيري بن مناد البيرة، إذ بقيت بيد حبوس بن ماكسن بن زيري وذريته حوالي مائة سنة، وأعطى مغراوة جوفي البلاد، وبني برزال وبني يفرن جيّان وذواتها، والمغاربة وبني دمر وازداجة شذونة وموررو، وولي علي بن حمود على سبتة، والقاسم بن حمود على مدينة طنجة وأصيلة والخضراء.

ثامناً:- إنَّ الإسّهامات الفكريّة والعلميّة لعلماء قبيلة صنهاجة شكلت علامة فارقة في إثراء الحركة الفكرية بالأندلس، على الرغم أن الغالبية العظمى من علمائها كانوا لا يجيدون اللغة العربية وإنما يتكلمون الأمازيغية لغتهم الأصلية، لكن ذلك لم يمنعهم من تعلم اللغة العربية وتجاوز هذه العثرة، إذ درسوا اللغة العربية، وعلوم القرآن، والفقه، والحديث، وعملوا على تدريسها في الأندلس، وبرعوا في الفلسفة والمنطق فضلاً عن الأدب والشعر والنثر.

قائمة المصادر الأولية والمراجع الحديثة

قائمة المصادر الأولية:

- **القرآن الكريم**
- **ابن الأبار**، محمد بن عبد الله بن أبي بكر(ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).

١-التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر- لبنان، ١٩٩٥م.

٢-الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م.

٣-معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية - مصر، ٢٠٠٠م.

- **ابن الأثير**، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٤-الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

٥-اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر - بيروت، د.ت.

- **ابن الأحمر**، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الخزرجي (٨٠٧هـ/١٤٠٤م).

٦-بيوتات فاس الكبرى، تحقيق: دار المنصور للوراقة- الرباط- المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط-المغرب، ١٩٧٢م.

- **الأدريسي**، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٧-المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة ليدن المحروسة- هولندا، ١٨٦٣م.

٨-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٨م.

الأدناوي، أحمد بن محمد (ت: ق ١١ الهجري/ ق ١٧ الميلادي).

٩-طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ١٩٩٧م.

- **الأزهري**، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

١٠- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.

- **الأصطخري**، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد(ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

١١- المسالك والممالك، دار صادر- بيروت، ٢٠٠٤م.

- **الأصفهاني**، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد صفي الدين(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

١٢- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.

١٣- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع-تونس، ١٩٧١م.

- **الأصفهاني**، أبي الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م).
١٤- كتاب الأغاني، تحقيق: دار احياء التراث العربي، ط١، دار احياء التراث العربي- بيروت – لبنان، ١٩٩٤م.
- **الأنباري**، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت: ٥٧٧هـ/١١٨١م).
١٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن، ١٩٨٥م.
- **الأنطاكي**، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
١٦- صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس-طرابلس-لبنان، ١٩٩٠م.
- **البري**، محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى (ت: ٦٤٥هـ/١٢٤٧م).
١٧- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق: محمد التونجي، ط١، دار الرفاعي للنشر والتوزيع-الرياض، ١٩٨٣م.
- **ابن بسام**، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)
١٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب- ليبيا – تونس، ١٩٧٩م.
- **ابن بشكوال**، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٢م).
١٩- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، دار مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٥٥م.
- **ابن بطال الركبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان(ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م).
٢٠- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ، دراسة وتحقيق وتعليق: مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية- مكة المكرمة، ١٩٨٨م.
- **ابن بطوطة**، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد(ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
٢١- رحلة ابن بطوطة المسمات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، اكاديمية المملكة المغربية- الرباط، ١٩٩٧م.
- **البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
٢٢- جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ط١، دار الارشاد للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٦٨م.
٢٣- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٩٢م.
٢٤- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتب الاسلامي- القاهرة، د.ت.

- **البلاذري**، احمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
٢٥- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، ط١، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦م.
- **ابن بلقين**، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الزيري (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م).
٢٦- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ٢٠٠٦م.
- **البيدق**، أبو بكر علي الصنهاجي (٥٦٠هـ/١١٦٤م).
٢٧- المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط-المغرب، ١٩٧١م.
- **ابن تغري بردي**، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
٢٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب- مصر، ١٩٦٣م.
- **الثعالبي**، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م).
٢٩- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.
- **ابن الجزري**، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ/١٤٢٩م).
٣٠- غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية- الرياض، ١٩٣٢م.
- **ابن الجوزي**، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قِزأُوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
٣١- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية- دمشق-سوريا، ٢٠١٣م.
- **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م).
٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م.
- **حاجي خليفة**، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).
٣٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي-بيروت، د.ت.
- **الحازمي**، أبو بكر زين الدين محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م).
٣٤- الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر- الرياض، ١٩٩٤م.
٣٥- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق وتعليق: عبد الله كنون، ط٢، العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة، ١٩٧٣م.

- **ابن حبيب**، أبو مروان عبد الملك بن سليمان السلمي (٢٣٨هـ/٨٥٢م).
٣٦- كتاب التاريخ، وضع حواشيه: عبد الغني مستو، ط١، المكتبة العصرية-بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م.
- **ابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).
٣٧- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٣م.
٣٨- رسائل ابن حزم، تحقيق: احسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ١٩٨١م.
٣٩- طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.
٤٠- فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد-لبنان، ١٩٦٨م.
- **ابن حماد**، ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي (ت: ٦٢٨هـ/١٢٣٠م).
٤١- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨١م.
- **الحميدي**، أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
٤٢- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، ١٩٦٦م.
- **الحميري**، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م).
٤٣- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ١٩٨٠ م.
- **ابن حوقل**، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي(ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
٤٤- صورة الأرض، دار صادر-أفست ليدن- بيروت، ١٩٣٨م.
- **ابن حيان**، أبو مروان حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
٤٥- المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تحقيق وتقديم: محمود علي مكي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ٢٠٠٣م.
٤٦- المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٧٣م.
٤٧- المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق اسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب، ١٩٩٠م.
٤٨- المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح وآخرون، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.

٤٩- المقتبس(للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية-بيروت، ٢٠٠٦م، ص٧٨-٧٩.

٥٠- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانة بإكسفورد الأب ملتشور م. أنطونيا، بولس كنتر الكتبي بباريس، ١٩٣٧م.

- **ابن خاقان**، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي(ت: ٥٢٨هـ/١١٣٤م).

٥١- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، دار عمار- مؤسسة الرسالة- دمشق، ١٩٨٣م.

- **ابن الخراط الأشبيلي**، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله(ت: ٥٨١هـ/١١٨٥م).

٥٢- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، ١٩٩٠م.

- **ابن خرداذبة**، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م).

٥٣- المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن- بيروت، ١٨٨٩م.

- **ابن الخطيب**، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

٥٤- الأحاطة في اخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٥- أعمال الأعلام في من بويع قبل الأحتلام من ملوك الأسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف- بيروت، ١٩٥٦م، مجلد١.
ج١،ج٢، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.

٥٦- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٦٣م.

٥٧- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه وعلق عليه ونشره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٩٢٨م.

٥٨- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ٢٠٠٢م.

- **الخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

٥٩- تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٦م.

٦٠- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، نشر وتوزيع مكتبة المعارف – الرياض، ١٩٨٣م.

- **ابن خلدون**، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

٦١- رحلة ابن خلدون، تحقيق وتعليق: محمد بن تاويت الطَّنجي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.

٦٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م.

- **ابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الأربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٦٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م.

- **ابن خياط،** أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م).

٦٤- تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم- بيروت، ومؤسسة الرسالة- دمشق، ١٩٧٦م.

٦٥- طبقات ابن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ١٩٩٣م.

- **ابن خير الأشبيلي،** ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي (ت: ٥٧٥هـ/١١٧٩م).

٦٦- فهرسة ابن خير الأشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

- **ابن دحية الكلبي،** أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م).

٦٧- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، مراجعه: طه حسين، دار العلم للجميع ــ بيروت – لبنان، ١٩٥٥م.

- **ابن دراج،** ابو عمر احمد بن محمد بن العاصي القسطلي (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م).

٦٨- ديوان ابن دراج، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، منشورات المكتب الإسلامي-دمشق، ١٩٦١م.

- **ابن دريد،** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م).

٦٩- جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م.

- **الدمشقي،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٧٠- طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم وآخرون، ط١، دار الوفاء- المنصورة، ١٩٩٣م.

- **الدواداري،** أبو بكر بن عبد الله بن أيبك بن عز الدين (ت: بعد ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م).

٧١- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: جونهيلد جراف – اريكاجلاسِن، ١٩٩٤م.

- **ابن أبي دينار،** أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م).

٧٢- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة – لبنان، ١٩٩٣م.

- **الذهبي،** شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٧٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٩٣م.

٧٤- تذكرة الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.
٧٥- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة- دمشق، ١٩٨٥م.
٧٦- العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.
٧٧- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٧م.
- **الرشاطي**، أبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله(ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
٧٨- الأندلس في اقتباس الأنوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، ١٩٩٠م.
- **ابن رشد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٨م).
٧٩- تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية- القاهرة، ١٩٦٧م.
- **الرقيق القيرواني**، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (٤٢٠هـ/١٠٢٩م).
٨٠- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، دار الفرجاني للنشر والتوزيع- المغرب، ١٩٩٤م.
- **ابن أبي زرع** ، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي (ت: حوالي ٧٢٦هـ/١٣٢٥م).
٨١- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: دار المنصور للوراقة- الرباط- المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط-المغرب، ١٩٧٢م.
- **الزركشي**، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ/١٣٩١م).
٨٢- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية – بيروت- لبنان، ١٩٥٧م.
- **الزهري**، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت بعد: ٥٤١هـ/١١٥٤م).
٨٣- كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد، د.ت.

- **ابن الزيات**، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت: ٦١٧هـ/١٢٢٠م).
٨٤- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: احمد التوفيق، ط٢، منشورات كلية الآداب-الرباط- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء-المغرب، ١٩٩٧م.
- **السُّبكي**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م).
٨٥- معجم الشيوخ، تحقيق: بشار عواد وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ٢٠٠٤م.

- **أبو السعادات،** مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م.

- **ابن سعد،** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع(ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م).

٨٧- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م.

- **ابن سعيد،** علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٨٨- كتاب الجغرافيا، تحقيق: وتعليق: اسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٩٧٠م.

٨٩- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف-القاهرة، ١٩٥٥م.

- **ابن سلام،** يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (ت: ٢٠٠هـ/٨١٥م).

٩٠- تفسير، تحقيق: هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

- **ابن سعيد القرطبي،** أبي الحسن عريب بن سعيد الكاتب (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م).

٩١- كتاب الأنواء أو ما يسمى بتقويم قرطبة، نشره رينهرت دوزي، ١٨٧٣م، د.م.

- **السلفي،** صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني(ت: ٥٧٦هـ/١١٨٠م).

٩٢- معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية – مكة المكرمة، د.ت.

- **ابن السمّاك،** أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك المالقي الغرناطي (ت: ق٨ الهجري/ ق١٤ الميلادي).

٩٣- الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ٢٠٠٤م.

- **السمعاني،** ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت: ٥٦٢هـ/١١٩٦م).

٩٤- الانساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، ١٩٦٢م.

- **السُّوْدُوْنِي،** أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ/١٤٧٤م).

٩٥- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط١، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة- صنعاء- اليمن، ٢٠١١م.

- **السيوطي،** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٩٦- لب اللباب في تحرير الأنساب، ط٢، دار صادر- بيروت، ومكتبة المثنى- بغداد، ١٩٦٤م.

- **ابن شمائل القطيعي**، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
٩٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٩٩١م.

- **شيخ الربوة الدمشقي**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب(٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).
٩٨- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، اعتنى بطبعه العلامة مهرن والعلامة فراين، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية-بطرسبورغ-روسيا، ١٨٦٤م.
- **الشيرازي**، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م).
٩٩- طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي- بيروت – لبنان، ١٩٧٠م.
- **ابن صاعد الأندلسي**، أبو القاسم صاعد بن أحمد(٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م).
١٠٠- طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩١٢م.
- **الصالحي**، ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي(ت: ٧٤٤هـ/١٣٤٣م).
١٠١- طبقات علماء الحديث، تحقيق: اكرم البوشي و ابراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ١٩٩٦م.
- **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
١٠٢- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث-بيروت، ٢٠٠٠م.
- **ابن الصيرفي**، أبو القاسم تاج الرياسة علي بن منجب بن سليمان(ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
١٠٣- المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق: عبد الرزاق حسين، ط١، دار البشير- عمان، ١٩٨٥م.
- **الضّبي**، أبو جعفر احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م).
١٠٤- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧م.
- **الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م).
١٠٥- تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث – بيروت، ١٩٦٧م.
- **ابن ظافر**، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور بن الحسين(ت: ٦١٣هـ/١٢١٦م).
١٠٦- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع- أربد-الأردن، ١٩٩٩م
- **ابن عبد البر**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
١٠٧- الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، ١٩٨٥م.

- **ابن عبد الحكم**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م).

١٠٨- فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللباني للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٦٤م.

١٠٩- فتوح مصر والمغرب، تحقيق وتقديم: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ٢٠٠٤م.

- **ابن عبد الملك المراكشي**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك(ت: ٧٠٣ هـ/١٣٠٣م).

١١٠- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠١٢م.

- **ابن العديم**، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م).

١١١- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر-بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.

- **ابن عذاري**، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حياً نحو: ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

١١٢- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٨٣م، ج١.

ج٢، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٨٠م.

ج٤، تحقيق: احسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

- **العذري**، أحمد بن عمر بن أنس بن الدلاني (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م).

١١٣- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- اسبانيا، ١٩٦٥م.

- **أبو العرب**، محمد بن أحمد بن تميم (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م).

١١٤- طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني- بيروت - لبنان، د.ت.

- **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م).

١١٥- تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر-بيروت، ١٩٩٥م.

- **ابن عسكر**، أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر بن هارون (ت: ٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي (ت:٦٣٩هـ/١٢٤١م).

١١٦- أعلام مالقة المسمى الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام، أو مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤشساء والأخيار، وتقييد ما لهم من المناقب والآثار، تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، ط١، دار الامان ودار الغرب الاسلامي-بيروت، مطابع دار الصادر-بيروت، ١٩٩٩م.

- **العصامي**، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م).
١١٧- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م.
- **ابن عطية**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
١١٨- فهرسة ابن عطية، تحقيق: محمد ابو الأجفان و محمد الزاهي، ط٢، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان، ١٩٨٣م.
- **العمري**، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
١١٩- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٠م.
- **ابن عياض**، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م).
١٢٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، مطبعة فضالة – المحمدية- المغرب، ١٩٨١م.
- **ابن غالب**، محمد بن ايوب البلنسي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م).
١٢١- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية – القاهرة، ١٩٥٦م.
- **الغبريني**، أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت: ٧١٤هـ/١٣١٤م).
١٢٢- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط٢، دار الافاق الجديدة-بيروت، ١٩٧٩م.
- **الغزي**، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م).
١٢٣- ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.
- **ابن فارس**، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
١٢٤- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٩٧٩م.
- **أبي الفدا**، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
١٢٥- تقويم البلدان، تحقيق: المستشرق رينود والمستشرق ماك. ن. ديسلان، دار الصادر-بيروت، ١٨٥٠م.
١٢٦- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية- القاهرة، د.ت.
- **ابن فرحون**، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م).
١٢٧- الديّباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر- القاهرة، د.ت.

- **ابن الفرضي،** أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م).
١٢٨- تاريخ علماء الأندلس، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه: عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٨م.
- **ابن الفقيه،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م).
١٢٩- البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٩٦م.
- **ابن الفوطي،** كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد(ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م).
١٣٠- مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي- طهران، ١٩٩٥م.
- **القاضي النعمان،** أبو حنيفة أبي عبد الله بن محمد بن منصور بن أحمد(ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م).
١٣١- رسالة افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط٢، الشركة التونسية للتوزيع والنشر- تونس، ١٩٨٦م.
- **ابن قتيبة الدينوري،** أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
١٣٢- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٢م.
- **القرماني،** احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩هـ/١٦١٠م).
١٣٣- أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٩٢م.
- **القزويني،** زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٣٤- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت. د.ت.
- **القُفطي،** أبو حسن جمال الدين علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).
١٣٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار الفكر العربي- ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ١٩٨٢م.
- **القلقشندي،** أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨هـ).
١٣٦- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.
١٣٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ١٩٨٠م.
- **ابن القوطية،** أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
١٣٨- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت، ١٩٨٩م.

- **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
١٣٩- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.
- **ابن الكردبوس**، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي القاسم التوزري (من علماء القرن ق٦ الهجري/ ق١٢ الميلادي) .
١٤٠- الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح عبد الله الغامدي، ط١، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ٢٠٠٨م.
- **ابن الكلبي**، أبو المنذر هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ/٨١٩م).
١٤١- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية- بيروت، ١٩٨٨م.
- **ليون الإفريقي**، الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت بعد: ٩٥٧هـ/١٥٥٠م).
١٤٢- وصف إفريقيا، نقله عن الفرنسية إلى العربية: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان، ١٩٨٣م.
- **ابن ماكولا**، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر(ت: ٤٧٥هـ/١٠٨٢م).
١٤٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
- **المالكي**، ابو بكر عبد الله بن محمد (٤٥٣هـ/١٠٦١م).
١٤٤- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي- بيروت، ١٩٩٤م.
- **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد (ت:٢٨٦هـ/٨٩٩م).
١٤٥- نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة التأليف والترجمة والنشر- الهند، ١٩٣٦م.
- **المتنبي**، أبي الطيب احمد بن حسين الجعفي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م).
١٤٦- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٣م.
- **مجهول**، مؤلف(ت: القرن ٤ الهجري/ ق ١٠ الميلادي).
١٤٧- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان، ١٩٨٩م.

- **مجهول**، مؤلف (ت: ق ٦ الهجري/ ق١٢ الميلادي).
١٤٨- الأستبصار في عجائب الامصار، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ١٩٨٦م.
- **مجهول**، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
١٤٩- تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٧م.
- **مجهول**، مؤلف (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)
١٥٠- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر-القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **مجهول**، مؤلف (ت: حوالي ق ٨ الهجري/ق١٤ الميلادي).
١٥١- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمانة، ط١، دار الرشاد الحديثة- القاهرة، ١٩٧٩م.
- **مجهول**، مؤلف (ت: ق ٨ الهجري/ق ١٤ الميلادي).
١٥٢- فتح الاندلس، تحقيق: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الأسبانية للتعاون العلمي.
- **مجهول**، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م).
١٥٣- مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار ابي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- المغرب، ٢٠٠٥م.
- **المراكشي**، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩).
١٥٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠٠٦م.
- **ابن المستوفي**، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الأربلي(ت: ٦٣٧هـ).
١٥٥- تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام- دار الرشيد للنشر- العراق، ١٩٨٠م.
- **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
١٥٦- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس- بيروت، ١٩٩٦م.
١٥٧- التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي- القاهرة، ١٩٣٨م.
- **ابن مسكويه**، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م).
١٥٨- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، سروش-طهران، ٢٠٠٠م.

- **المقدسي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت: حوالي ٣٨٠ هـ/٩٩٠م).
١٥٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، ليدن دار الصادر- بيروت، ومكتبة مدبولي- القاهرة، ١٩٩١م.
- **المقريزي**، أبو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
١٦٠- اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م.
١٦١- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطان ط١، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.
١٦٢- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي- بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٧م.
- **المقري**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن احمد(ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).
١٦٣- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٩٣٩م.
١٦٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، ١٩٠٠م.
- **الملزوزي**، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن المكناسي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
١٦٥- نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية- الرباط، ١٩٦٣م.
- **المنجم**، اسحاق بن الحسين (ت: بحدود ق٤ الهجري/ ق١٠ الميلادي).
١٦٦- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٧م.
- **ابن مندة العبدي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت: ٤٧٠هـ/١٠٧٧م).
١٦٧- المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التميمي، نشر وتوزيع وزارة العدل والشؤون الإسلامية –ادارة الشؤون الدينية –البحرين، د.ت.
- **ابن منظور**، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م).
١٦٨- لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٩٩٣م.
- **المهلبي**، الحسن بن احمد (٣٨٠هـ/٩٩٠م).
١٦٩- المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر –دمشق، ٢٠٠٦م.

- **ابن نقطة الحنبلي**، أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م).
١٧٠- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٩٨٨م.
- **أبي نواس**، الحسن بن هانئ (ت: ١٩٧هـ/٨١٢م).
١٧١- ديوان أبي نواس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، ط١، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٠٠م.
- **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
١٧٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **ابن هشام**، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن ايوب (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م).
١٧٣- كتاب التيجان في ملوك حمير، يرويه عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية- صنعاء، ١٩٢٨م.
- **ابن الوردي**، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
١٧٤- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٩٩٦م.
- **اليافعي**، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).
١٧٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٦م.
- **ياقوت الحموي**، أبي عبد الله شهاب الدين بن عبد الله(ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
١٧٦- معجم الأدباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٣م.
١٧٧- معجم البلدان، ط٢، دار الصادر-بيروت، ١٩٩٥م.
- **اليعقوبي**، احمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م).
١٧٨- البلدان، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠١م.
- **ابن أبي يعلى**، ابو الحسن محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ/١١٣١م).
١٧٩- طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ١٩٥٢م.
- **ابن يونس**، أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد الصدفي المصري (ت: ٣٤٧هـ/٩٥٨م).
١٨٠- تاريخ ابن يونس، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٠م.

المراجع الحديثة:

- **أرسلان،** شكيب.

١٨١- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت–لبنان، ١٩٣٦م.

- **أشباخ،** يوسف.

١٨٢- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد بن عبد الله عنان، نشر وتوزيع المركز القومي للترجمة–القاهرة، ٢٠١٤م.

- **بروفنسال،** إ. ليفي.

١٨٣- تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، ط٣، Espasa Calpe, S. A, Madeid، ١٩٦٧م.

١٨٤- الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة: الطاهر احمد مكي، ط٣، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٤م.

- **بروكلمان،** كارل.

١٨٥- تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس و منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٦٨م.

- **بوباية،** عبد القادر.

١٨٦- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣٠م)، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠١١م.

- **بوتشيش،** ابراهيم القادري.

١٨٧- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة–بيروت، ٢٠٠٠م.

- **جوليان،** شارل أندري.

١٨٨- تاريخ أفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الاقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي إلى سنة (٧٤٧هـ/١٨٣٠م)، ترجمة: محمد مزالي و البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية- الدار التونسية للنشر، ٢٠١١م.

- **الحجي،** عبد الرحمن علي

١٨٩- التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩١م)، ط٢، دار القلم–بيروت لبنان، ١٩٨١م.

- **حسن**، حسن علي.
١٩٠- الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي- مصر، ١٩٨٠م.
- **حسين**، حمدي عبد المنعم محمد.
١٩١- ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- **حقي**، محمد
١٩٢- البربر في الاندلس، دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الاموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، ط١، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠١م.
- **خطاب**، محمود شيت.
١٩٣- قادة فتح الأندلس، ط١، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، ومنار للنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠٠٣م.
- **الخلف**، سالم بن عبد الله.
١٩٤- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م.
- **الخوئي**، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين.
١٩٥- البيان في تفسير القرآن، ط٤، دار الزهراء للنشر-بيروت، ١٩٧٥م.
- **أبا الخيل**، محمد بن ابراهيم.
١٩٦- الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) دراسة في التاريخ السياسي، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض، ١٩٩٥م.
- **دبوز**، محمد علي.
١٩٧- تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.
- **الدراجي**، بوزياني.
١٩٨- القبائل الامازيغية، أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي- الجزائر، ٢٠٠٧م.
- **الدرويش**، جاسم ياسين.
١٩٩- أعلام نساء الاندلس، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠١٧م.
- الدرويش، جاسم ياسين، العلياوي، حسين جبار مجبتل.
٢٠٠- برشلونة بين الإسلام والنصرانية (٩٤-٦٦٤هـ/٧١٢-١٢٦٩م)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٧م.
٢٠١- دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (لاردة- بياسة- أستورقة)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٧م.

٢٠٢- دراسات في تاريخ المدن الأندلسية من مدن وحصون طليطلة (مدريد- وادي الحجارة – أقليش – طلمنكة)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٨.

٢٠٣- دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (تطيلة – سمورة – طركونة – قلعة رباح- لشبونة- لورقة- مدينة سالم)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٨.

- **الدليمي**، انتصار محمد صالح

٢٠٤- التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢/٩٧٦م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.

- **دندش**، عصمت عبد اللطيف.

٢٠٥- دور المرابطين في نشر الاسلام غرب افريقيا (٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م)، تحقيق: أبي بكر بن العربي، ط١، دار الغرب الاسلامي- بيروت، ١٩٨٧م.

- **دُوزِي**، رينهرت بيتر آن.

٢٠٦- تاريخ مسلمي اسبانيا، تعريب حسن حبشي، ط١، دار المعارف-القاهرة، ١٩٦٣م .

٢٠٧- تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.

٢٠٨- المسلمون في الأندلس اسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٠٩- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مكتبة ومطبعة عيسى الجلبي وشركاه من مصر- القاهرة، ١٩٣٣م.

- **دويدار**، حسين يوسف.

٢١٠- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية-القاهرة، ١٩٩٤م.

- **ديرنر**، دونالد.

٢١١- تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: راشد البراوي، دار الجيل للطباعة – مكتبة الوعي العربي للنشر- المغرب، ٢٠٠١م.

- **الزركلي**، خير الدين بن محمود بن محمد.

٢١٢- الاعلام، ط١٥، دار الصادر للملايين-بيروت، ٢٠٠٢م.

- **السائح**، الحسن.

٢١٣- الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة -بيروت-لبنان، والدار البيضاء- المغرب، ١٩٨٦م.

- **سالم،** السيد عبد العزيز.

٢١٤- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٨١م.

- **سالم،** سحر السيد عبد العزيز.

٢١٥- مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري (للأندلس في العصر الإسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٩٠م.

- **السامرائي،** خليل ابراهيم وآخرون.

٢١٦- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.

- **السلاوي،** شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري.

٢١٧- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتب- مصر، والدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٤م.

- **ابن سوده،** أحمد.

٢١٨- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم- بيروت، ١٩٩٥م.

- **الشدود،** حيدر ناجي مطلك.

٢١٩- ابو عبد الله الشيعي ودوره في قيام الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة ذي قار، ٢٠١٢م.

- **شلبي،** ابو زيد.

٢٢٠- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة- القاهرة، ٢٠١٢م.

- **الصالح،** صبحي.

٢٢١- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط١، منشورات الشريف الرضي- أمير-قم، ١٩٩٦م.

- **الصوفي،** خالد.

٢٢٢- تاريخ العرب في أسبانيا – نهاية الخلافة الاموية في الأندلس، ط١، مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع- حلب، ١٩٦٣م.

- **طقوش،** محمد سهيل.

٢٢٣- تاريخ المسلمين في الأندلس (٩١-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م)، ط٣، دار النفائس- بيروت، ٢٠١٠م.

- **طه،** عبد الواحد ذنون.

٢٢٤- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ط١، دار المدار الاسلامي- ليبيا، ٢٠٠٤م.

- **طويل**، مريم قاسم.
٢٢٥- مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان،١٩٩٤م.
- **العبادي**، احمد مختار.
٢٢٦- في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٧١م.
٢٢٧- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٧٨م.
٢٢٨- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط١، منشأة المعارف- الاسكندرية، ٢٠٠٠م.
- **عبد الحميد**، سعد زغلول.
٢٢٩- تاريخ المغرب العربي ـ الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين، منشأة المعارف- الاسكندرية، ١٩٩٠م.
- **ابن عبود**، امحمد.
٢٣٠- التاريخ السياسي والاجتماعي لأشبيلية في عهد دول الطوائف (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، تقديم: وليم مونتغومري واط، تحت اشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطابع الشويخ - ديسبريس-تطوان- المغرب، ١٩٨٣م.
٢٣١- جوانب من الواقع الاندلسي في القرن الخامس الهجري، تقديم: محمد المنوني، دار ومطبعة الثورة للنشر والتوزيع- تطوان-المغرب، ١٩٨٧م.
- **أبو عُبيَّة**، طه عبد المقصود عبد الحميد.
٢٣٢- موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات- القاهرة، د.ت.
- **العرباوي**، محمد المختار.
٢٣٣- في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، ط١، نشر بيت الحكمة- بغداد، ٢٠٠٢م.
- **العربي**، عقون محمد.
٢٣٤- الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، ٢٠٠٨م.
- **أبو العلا**، ابراهيم عبد المنعم سلامة.
٢٣٥- التاريخ السياسي والحضاري لكورة مورور الأندلسية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، الاسكندرية-مصر، ٢٠١٢م.
- **العلياوي**، حسين جبار مجيتل.
٢٣٦- البشكنس ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس حتى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، ط١، دار امل الجديدة- سوريا- دمشق، ٢٠١٧م.
- **عنان**، محمد عبد الله.
٢٣٧- دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٩٧م.

- **عويس،** عبد الحليم.
٢٣٨- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٩١م.
- **الفرح،** محمد حسين.
٢٣٩- عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن الى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر، النشر والتوزيع الجمهورية اليمنية- وزارة الثقافة، ٢٠١٠م.
- **القاسمي،** هاشم العلوي.
٢٤٠- مجتمع المغرب الاقصى حتى منتصف القرن الربع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية-المملكة المغربية، ١٩٩٥م.
- **القنوجي،** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري.
٢٤١- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.
- **الكعاك،** عثمان.
٢٤٢- البربر، ط١، مطبعة الترقي- تونس، ١٩٥٦م.
- **كولان،** ج. س.
٢٤٣- الأندلس، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط١، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ودار الكتاب المصري- القاهرة، ١٩٨٠م.
- **لقبال،** موسى.
٢٤٤- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ١٩٧٩م.
- **لورو،** باتريك.
٢٤٥- الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، ٢٠٠٨م.
- **لويس،** ر . ارشيبالد.
٢٤٦- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م)، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٥١م.
- **مارسيه،** جورج.
٢٤٧- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة واستخراج النصوص، مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف- الاسكندرية، ١٩٩١م.

- **محفوظ**، محمد.
٢٤٨- تراجم المؤلفين التونسيين، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٤م.
- **محمود**، حسن احمد.
٢٤٩- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٩٥٦م.
- **مخلوف**، محمد بن محمد بن عمر.
٢٥٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط١، دار الكتب العلمية- لبنان، ٢٠٠٣م.
- **معلوف**، لويس.
٢٥١- المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ت).
- **مكي**، محمود علي.
٢٥٢- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- الظاهر- القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **ابن منصور**، عبد الوهاب.
٢٥٣- قبائل المغرب، المطبعة الملكية- الرباط-المغرب، ١٩٦٨م.
- **مونتسكيو**، شارل لوي دي سكوندا.
٢٥٤- تأملات في تاريخ الرومان، نقله عن الفرنسية إلى العربية عبد الله العروي، ط١، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، ٢٠١١م.
- **مؤنس**، حسين.
٢٥٥- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، ط٤، دار الرشاد- القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٥٦- معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط٤، دار الرشاد- القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٥٧- موسوعة تاريخ الاندلس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ١٩٩٥م.
- **الناصري**، أبو راس محمد بن احمد.
٢٥٨- عجائب الاسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية- وهران، ٢٠٠٥م.
- **ابن النية**، رضا.
٢٥٩- صنهاجة المغرب الاوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين الى مصر (٨٠-٣٦٢هـ/٦٩٩-٩٧٣م) دراسة اجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر- جامعة منتوري قسنطينة- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، د.ت.

- **الهادي**، روجي ادريس.

٢٦٠- الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقيا إلى عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الميلادي، نقله من الفرنسية إلى العربية: حمادي الساحلي، ط١، دار الغرب الاسلامي- بيروت – لبنان، ١٩٩٢م.

- **هنتس**، فالتر.

٢٦١- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية- عمان، ١٩٧٠م.

- **هيكل**، احمد.

٢٦٢- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط٤، دار المعارف- القاهرة، ١٩٨٥م.

- **وات**، مونتغمري.

٢٦٣- في تاريخ اسبانيا مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا، ترجمة: محمد رضا، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر-بيروت، ١٩٩٨م.

Abstract

The study of the tribes and their role in the emergence and growth of the Islamic state is one of the most worthy issues to be studied in scrutiny and depth. This role contributed to the emergence of the Islamic East with all its weight and power, and then its expansion to Morocco and the Iberian Peninsula after the Islamic conquest to these places.

Depending on what is mentioned above, the role of the Sanhajah tribe in public life in Andalusia cannot be excepted, since the role played by this tribe at various levels and areas was remarkable, controversial and enriching for the Islamic state and its expansion in Andalusia, especially that this tribe is one of the first major Barbarian tribes that came to the Iberian peninsula during the Islamic conquest.

The study consists of an introduction, four chapters and a conclusion. The first chapter talks about the origin and tribal proportions of Sanhaja tribe, and its religion, and contains four topics. The first topic dealt with the origin of their name by Barbarian Sanhaja, and the second topic talks about proportions of Sanhaja tribe. The third topic is about their roots, their phratries and their tribal affiliations, and their stability in the westren Islamic, as they are the first areas of the Sanhaji presence, and this led to the conclusion that their origins are barbaric and not Arabic, as most narrations have mentioned. The fourth topic deals with the religion of Sanhajah before and after Islam, their customs and rituals practiced by the members of this tribe, and their reflection on their social life And the extent to which the tribe was influenced by the influences and legacies of those religions as pagan idiolatry was their first religion, then the Magus, and then the Christianity before their conversion to the Islamic religion.

The second chapter deals with Sanhajah social and economic circumstances in Andalusia. The first topic of this chapter highlights the first migration of the Sinhajis to Andalusia during the conquest and beyond, focusing on the great impact that the Senhajis left on the first conquest and after, and the great sacrifices they made as proponents for the sake of the expansion of the Islamic religion And the second topic dealt with their social position, traditions and traditional clothes. Also, the most important economic activities carried out by the Sanhajah tribe in Andalusia.

The third chapter focuses on the political and military role of the Sanhajah in Andalusia during the period (92-422 AH / 710-1030). The first topic of this chapter shows the role of Sanhajah in the time of conquest and rulers (92-138 / 710-755). Their role in the political and military events that took place during

that period, and its facts, events and developments that took place in Andalusia and the French country of Gaul. The second topic of it contained the role of the Sinhajah tribe and its men during the Andalusian principality (138-316 / 755-928) as supporters to prince Abdul Rahman the Third, who did not hesitate to use the Sanhajah tribe to reduce the ambitions of the Fatimid state threats to his principality, taking advantage of their courage and strength in the battles. While the third topic talks about their role during the reign of Mansour bin Abi Amer, who relied on them in his attacks to the Christians of the North, preferring them to other Barbarians, because of their courage they had shown during the time of Nasser. So he did not hesitate to use them to expand his state. The fourth topic was to explain their pivotal role in the era of the sedition that took place in Andalusia during the period (399-422 AH / 1008-1030).

The fourth chapter dealt with the intellectual contribution of the Sanhajah in Andalusia, and it consists of two topics. The first one is the scientific and philosophical contributions of the scientist of Sanhajah, that established a milestone in the intellectual movement that originated in Andalusia since the beginning of the middle of the third century AH, and extended beyond several centuries. They studied the most important scientific contributions of Quran, Sharia, doctrine, and Hadith. The second topic is about the study of linguistic and literary sciences, and how the Sanhajah scientists dealt with these fields, and their great familiarity of them, especially those scientists who were speaking Amazigh, which formed a barrier to think deeply in the sciences of Arabic language and literature, but this did not dissuade them from studying them and being very creative in these sciences after they mastered the Arabic language in addition to their native language.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Basrah
College of Education for Human Sciences

THE ROLE OF THE SANHAJAH TRIBE IN PUBLIC LIFE IN ANDALUSIA (92 - 422 HA / 710 -1013 AC)

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences, University of Basrah as a Partial Fulfilment of the Requirements for the Doctor of Philosophy in Islamic History

By
Ahmad Faraj Flayyih

Supervisor
Prof. Dr. Hussain Jabbar Michaitil

1440 HA **2019 AC**